يسألونك

في الدين والحياة

تأليف

الدكتور أحمد الشرباصي

الأستاذ بجامعة الأزهر

المجلد الرابع

دار الجيل

بيروت ـ لبنان



يَسْأَلُونَكَ

في الدين والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلي وأسلم على جميع أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه وأحبابه ، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين .

واستفتح بالذي هو خير : « رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

قبس من كتاب الله

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ۞ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ۞ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ ۞ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ۞ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ۞ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۞ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

سورة آل عمران

مقدمة المؤلف

« ربِّ ، أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين »[1] .

« ربِّ ، أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك ، وإني من المسلمين »[2] .

ربِّ ، إن الإقرار بالعجز عن الوفاء بحق الشكر لك هو غاية ما يبلغه الإنسان حين تحيط به آلاؤك ونعمك من كل جانب . ويحاول بكل ما في وسعه أن يؤدي واجب الشكران لمواهب الرحمن ، فلا يستطيعه ولا يقدر عليه . كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ...

وأنت أنت وحدك المنعم المتفضل .

ومن بين الفضل العميم الموصول لربي سبحانه هذا المجلد الرابع من كتابي « يسألونك » الذي يسعى الى قرائه ، وكلي أمل أن يبارك الله في خطواته . وأن يضاعف من ثمراته ، كما أراد — عز شأنه — لأشقائه من قبل ، وكما أرتجي من أسباب عونه ، وسوائب عطائه من بعد .

---

(١) من سورة النحل ، الآية ١٩ .

(٢) من سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

وفي خاتمة مقدمتي للمجلد الثالث الذي سبق هذا المجلد قلت :

« هذا ، وما زال هدفي في خطواتي هو التعريف بدين الله عز وجل ، في يُسر وسهولة ، متنقلاً بين الإيجاز والإطناب ، حسب اختلاف المواطن والأحوال ، مُؤْثراً تبسيط العبارة ، حتّى تكون معواناً على تقريب الزاد الفقهي والروحي للمحتاجين إليه ، أو الحريصين عليه ، عاملاً على توثيق الرابطة بين الدين والحياة ، وتعميق الصلة بين الدين والأحياء ، حتّى يسعدوا بهذا الدين ، ويؤدوا واجبهم نحوه في نفوسهم ومجتمعهم ودنياهم ؛ شاعراً بأننا ما زلنا في حاجة ملحة إلى مزيد من الثقافة الدينية والثروة الروحية ، لكي نسمو نحو المستوى الذي يريده الإسلام من أمة الإسلام » .

وما زالت هذه الكلمات صالحة لأن تقال هنا كما قيلت هناك .

ولكنا قد نجد بين أيدينا في هذا المجلد الرابع طائفة من الأسئلة قد أجيب عليها بشيء من التوسع والبسط ، وذلك لأن الإجابة تهيأت لها ظروف ساعدت على الإفاضة والشرح ؛ بجوار ما للموضوعات التي دارت حولها ودعت إليها من أهمية ومكانة .

ولقد لاقى هذا الكتاب — بمن الله وكرمه — رواجاً لدى قرائه ، وإقبالاً منهم عليه ، واستزادة من خطواته ؛ وهذا يدل على العناية الخاصة التي يبديها أبناء الإسلام العظيم بكل ما يتعلق بجوهر الدين ، ويصلهم بالفقه فيه ، ويهيىء لهم الوقوف على مبادئه وتعاليمه ، بطريقة معبِّرة مفسِّرة .

ويضاف إلى هذا أمر آخر يحلو لهذا القلم أن يسجله ، وأن يرتجي منه المزيد ، وهو تلك الظاهرة الطيبة التي تجلت عند كثير من شباب الإسلام ، ومنهم عدد كبير في الجامعات ومختلف المعاهد — وهي ظاهرة العودة إلى رحاب الله ، والاستظلال بظله ، والاستمداد من هديه ، وذلك يعيدنا إلى تذكر قول الله جل جلاله :

« إنهم فتية آمنوا بربهم ، وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم ، إذ

قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذن شططاً »[1] .

ونسأل الله محقق الآمال ومبارك الأعمال ، أن يبارك هذه العودة من شباب الإسلام إلى صراط الإسلام ، وأن يجعلها بداية ميمونة لإقامة مجتمع إسلامي مؤمن ، لا تغره مبادىء مستوردة ، ولا شعارات وافدة ، ولا اتجاهات مثوفة ، بل يعتز — أولاً وقبل كل شيء ، وأخيراً وبعد كل شيء — بربه العلي الكبير الذي خلقه وهداه ، وقرآنه الذي جعله ربه « بصائر » فهو « يهدي للتي هي أقوم » ، ورسوله الرائد الذي لا يكذب أهله ، صلوات الله وسلامه عليـــه .

وليت قارئي يشاركني الابتهال إلى واهب القُوَى والقُدَر ، بأن لا يحرمنا نعمة لقاء قريب ، باسم الإسلام الذي قال فيه رب العزة : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً »

وعلى الله قصد السبيل .

أبو حازم
د . أحمد الشرباصي

(١) من سورة الكهف ، الآيتان ١٣ و ١٤

الطهـارة

البدء باليمين في الوضوء

السؤال : **لماذا نبدأ في الوضوء بغسل اليمين قبل الشمال ؟**

الجواب :

لعل الحكمة في البدء باليمين قبل الشمال في الوضوء وغيره ، هو أن جهة اليمين توصف في العادة بما يدل على المدح والثناء ، وجهة الشمال بعكس ذلك ، ولذلك قالوا قديماً إن اليمين تنقص عن الشمال . وكلمة « اليمين » مشتقة من مادة « اليُمْنِ » بمعنى الخير والبركة .

واليمين في لغة العرب ، وهي لغة القرآن يراد به الدليل على الخير . ويقال لمن كانت له مكانة محمودة : هو من أهل اليمين . وقد قيل إن الله تعالى قد أودع في الجانب الأيمن من الإنسان قوة ليست في الجانب الأيسر .

ولذلك قال القرآن الكريم عن أهل اليمن في سورة الواقعة : « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (أي شجر نبق بلا شوك) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (أي موز كثير منسق) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ » .

وقال عن أصحاب الشمال : « وأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ » أي في ريح شديدة الحرارة ، وماء يغلي ودخان شديد السواد .

ويقول عن الفائز بالجنة : «فَأَمَّا مَنْ أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ، إني ظننت أني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » .

ويقول عن صاحب النار والعذاب : « وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه خذوه . فغلوه ، ثم الجحيم صلوه » .

ويقول القرآن في سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يومَ لا يُخْزِي الله النبي والذين آمنوا معه،نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا . واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » .

وفي الحديث النبوي الشريف أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يحب التيمن أي البدء باليمين – في جميع أمره ما استطاع ، فكان يحب الابتداء باليمين في الأفعال الطيبة ، في اليد اليمين ، والرجل اليمين ، والجانب الأيمن . وهكذا .

فلعل هذه هي الحكمة في البدء باليمين قبل الشمال في الوضوء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

متى يباح التيمم ؟

السؤال : **متى يباح التيمم ؟ وهل يكون التيمم صالحاً لأداء أكثر من فرض كالوضوء ؟ .**

الجواب :

التيمم هو استخدام التراب الطيب الطاهر في مسح الوجه واليدين ، عند فقد الماء أو العجز عن استخدامه . وقد ثبتت مشروعية التيمم بالقرآن الكريم ، حيث قال الله تعالى في سورة المائدة : « وإن كنتم مرضى ، أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط (قضاء الحاجة) أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء

فتيمموا صعيداً طيباً (تراباً طاهراً) فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل » .

ويكون التيمم بدلاً من الوضوء والغسل ، أي يقوم مقامهما ، إذن فيكون المتيمم كالمغتسل المتوضيء .

ويباح التيمم في الأحوال التالية :

١ — عند فقد الماء وعدم وجوده ، بأن لم يوجد أصلاً ، أو وُجد منه قدر لا يكفي للوضوء .

٢ — العجز عن استعمال الماء، للمرض، أو خوف أن يزيد المرض، أو خوف أن يتأخر الشفاء من المرض، إذا استند في ذلك إلى تجربة أو إخبار طبيب حاذق.

٣ — الاحتياج إلى الماء ، للشرب او نحوه . في الحاضر او المستقبل . حتى مع القدرة على استعماله .

٤ — أن يغلب على ظنه حدوث مرض له لو استعمل الماء .

٥ — الخوف من عدو يحول بينه وبين الماء ، سواء أكان هذا العدو إنساناً أم حيواناً مفترساً .

٦ — الاحتياج إلى الماء لسقي حيوان معه ، كفرسه أو كلبه ، أو نحو ذلك.

٧ — الاحتياج إلى الماء للعجن أو الخبز أو الطبخ أو نحو ذلك .

٨ — الاحتياج إلى الماء لإزالة نجاسة غير معفو عنها .

٩ — الخوف من شدة البرودة في الماء . إذا كانت برودته غير عادية .

ويصلي المتيمم بتيممه الصلوات المفروضة والجمعة والعيدين والنوافل وصلاة الجنازة ، ويؤدي به الطواف حول الكعبة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

وضوء مقطوع اليدين

السؤال : **هل يجب الوضوء على من فقد يديه ؟ وكيف يصلي ؟ .**

الجواب :

لا صلاة إلا بوضوء للقادر عليه . ومن فرائض الوضوء غسل اليدين إلى المرفقين . لقول الله تبارك وتعالى عن الوضوء : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » . والمرافق جمع مِرْفَق . والمرفق هو المفصل الذي بين العضد والساعد .

ولقد أخرج الدارقطني – بإسناد حسن – عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : « هلموا أتوضأُ لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين . حتّى مس أطراف العضدين ، ثم مسح برأسه ، ثم أمرَّ بيديه على أذنيه ولحيته . ثم غسل رجليه » .

وروى مسلم عن أبي هريرة أنه غسل يده اليمنى حتّى شرع في العضد ، ثم اليسرى كذلك ، ثم غسل رجله اليمنى حتّى شرع في الساق ، ثم غسل اليسرى كذلك ، ثم قال : «هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ» .

وإذا كان المتوضىء مقطوع بعض اليد . غسل ما بقي مع المرفقين ، فإن كان مقطوعاً من فوقهما ، غسل ما بقي منهما . وإن كان مقطوعاً ولم يبق شيء من المرفقين فلا غسل عليه .

ويقول بعض الفقهاء : « ومن قُطع من يده بعض محل الفرض . وبقي بعضه ، وجب غسل الباقي . ومن قطعت يده من المرفق ، وجب عليه غسل موضع القطع » .

ويستطيع مقطوع اليدين عند السجود أن يمس الأرض بطرف ما بقي من عضديه حسبما يستطيع : يريد الله بكم اليسر . ولا يريد بكم العسر » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

الصلاة



بناء المسجد بأموال غير المسلمين

السؤال : **ما رأي الدين في بناء المساجد من تبرعات غير المسلمين ؟ .**

الجواب :

جاء في بعض كتب التفسير أنه إذا بنى بعض الناس من غير المسلمين — مسجداً للمسلمين ، أو قدّم مالاً لعمارة مسجد ، أو بناء مسجد ، فللمسلمين أن يتقبلوا هذا المسجد ، أو هذا المال ، بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر ديني أو سياسي .

وقد ذكرت لجنة الفتوى بالأزهر أن مذهب الحنابلة والشافعية والحنفية لا يرى مانعاً من صلاة الجمعة وغيرها من سائر الصلوات في المسجد الذي يبنيه مسيحي .

ومن ذلك نفهم أنه ليس هناك ما يمنع من قبول تبرعات من غير المسلمين للإسهام في بناء مسجد ، بشرط ألا يترتب على ذلك تدخل ما في شئون المسلمين أو عبادتهم ، أو يترتب على ذلك ضرر للمسلمين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الأذان بالأسطوانة

سؤال : **هل يجوز الأذان بالأسطوانة ؟ .**

الجواب :

المقصود الأساسي من الأذان هو الإعلام بدخول وقت الفريضة من

فرائض الصلاة ، وهو سنة مؤكدة، وقد ذكر الفقهاء أن من شروط الأذان النية ، فإذا أتى المؤذن بالألفاظ المخصوصة دون قصد لم يصح الأذان ، ويشترط في المؤذن ان يكون مسلماً عاقلا ذكراً .

وقد جرت العادة أخيراً في كثير من البلاد الإسلامية على إذاعة الأذان في المذياع وفي التلفزيون بوساطة تسجيل كلمات الأذان على أسطوانة أو شريط . والأصل في هذا التسجيل أن مؤذناً قد ردد كلمات الأذان وسجلوا هذه الكلمات ثم أعادوا إذاعتها بعد ذلك . والمراد من إذاعة هذا التسجيل هو لفت الناس إلى أن وقت الفريضة قد دخل .

ولكن الأذان على حقيقته يتم إذا كان هناك مؤذن بالفعل يجهر بكلمات الأذان لإسماع الآخرين،والأصل اذا كان هناك جماعة يتأهبون لأداء الفريضة ان يؤذن أحدهم ، لا أن يستعينوا بالأسطوانة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كيف تعلم الأم ابنها الصلاة ؟

السؤال : **أم تريد أن تعلم ابنها الناشىء الصلاة ، فكيف تقوم بذلك الواجب ؟ .**

الجواب :

إن الولد فيه غريزة التقليد ، وهذه الغريزة تكون واضحة قوية في السنوات العشر الأولى من حياته . فلو وجد أمامه القدوة الصالحة ، لكسب الكثير من صفات الخير وأعمال البر .

والصلاة تبدأ عند السابعة من عمر الصبي . ويؤدب عليها عند العاشرة ، للحديث القائل : « مروهم بها لسبع . واضربوهم عليها لعشر » .

ومن الخير عندما نبدأ تعليم الصبي الصلاة أن نعطيه فكرة سهلة مبسطة عن حكمة الصلاة ، فهي اولا عبادة أمر الله بها الخالق الرازق الوهاب ، وهي ثانياً نظافة للحس والنفس ، وهي ثالثاً نظام وترتيب ، وهي ثالثاً حركة ورياضة ، وهي رابعاً تعبير عن الشكر لله عز وجل .

ثم تقوم الأم بتحفيظ ابنها سورة « الفاتحة » إذا لم يكن قد حفظها من قبل ، وكذلك بعض السور القصيرة ، مثل : قل هو الله أحد ، وإنا أعطيناك الكوثر ، وإذا جاء نصر الله والفتح ...

ثم تقوم بتحفيظه « التشهد » الذي يسميه الناس « التحيات » .

ثم تعلمه الوضوء عملياً ، بأن تتوضأ أمامه ، وتجعله يتوضأ أمامها .

ثم تصلي أمامه صلاة الصبح مثلاً ، وهي ركعتان ، ولا مانع من أن يكون ذلك بصوت مرتفع ، لكي يثمر التعليم ، ثم تسأله أن يعيد أمامها هذه الصلاة ، وتصحح ما قد يقع فيه من خطأ ، وليكن ذلك برفق وتلطف ، وهكذا تفعل معه في بقية الصلوات .

وبعد أن تتكرر الصلاة من الصبي مع ملاحظة الأم للتوجيه والإرشاد ، يأخذ الصبي في أداء الصلاة مستقلاً مدركاً ما يفعل .

ونؤكد أن القدوة العملية الصالحة هي الأساس الأول في تعويد أولادنا العبادة ومكارم الأخلاق ، والطفل منذ وقت مبكر مولع بتقليد والديه ، وهو في كثير من الأحيان يقف خلف والدته وهي تصلي ليقلدها في الصلاة ، وهو يقلدها دون أن يدرك معنى الصلاة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

القنوت في الصلاة

السؤال : ما هو دعاء القنوت في الصلاة ؟ وما حكمه ؟ وما نص القنوت من الأحاديث النبوية ؟ .

الجواب :

القنوت معناه الالتجاء إلى الله تعالى ، في دفع شر ، أو جلب خير ، في وقفة في الصلاة ، قبل الركوع أو بعده ، وهو سنة مؤكدة في الصبح عند مالك والشافعي ، وفي الوتر كل السنة عند بعض الفقهاء ، وفي النصف الثاني من رمضان عند بعض آخر .

وقد روى مسلم والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي الصلاة أفضل ؟ . فقال : طول القنوت .

وروى أصحاب السنن عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال :

علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت . وقني شر ما قضيت ، انك تقضي ولا يقضى عليك، وانه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت .

وكذلك ورد دعاء آخر للوتر فيه : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك . ونستغفرك ونتوب إليك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك . اللهم إياك نعبد ، وإليك نسعى ونَحْفِد (أي نسرع بالطاعة) . نرجو رحمتك . ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار مُلْحِق »

والقنوت عند الشافعية مسنون عقب الرفع من ركوع الركعة الثانية من صلاة الصبح كل يوم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

القنوت في صلاة الصبح

هل يجوز للمسلم أن يصلي صلاة الصبح ، ويترك قراءة القنوت . نرجو الإجابة على المذهب المالكي .

الجواب :

جاء في مذهب المالكية أن من مندوبات الصلاة « القنوت » في صلاة الصبح فقط ، وهذا هو المشهور ، وقال بعض المالكية إنه سنة ، وتشدد بعضهم فقال : من تركه فسدت صلاته .

والقنوت معناه الدعاء والتضرع بأي عبارة ، مثل : اللهم اغفر لنا وارحمنا ، والمندوب في عبارته هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وهو :

« اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ونخنع لك (أي نخضع ونذل) ونخلع ونترك من يكفرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد (أي نجدّ ونجتهد) نرجو رحمتك ، ونخاف عذابك إن عذابك الجد (أي الحق) بالكافرين ملحق » .

ويقول بعض علماء المالكية : والحاصل أن القنوت لا يشرع إلا في الصبح ، ويتعلق به مندوبات اربعة : هو في نفسه مندوب ، وكونه بهذه العبارة السابقة المأثورة ، وكونه سراً ، وكونه قبل الركوع الثاني .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

التسبيح بعد الصلاة

السؤال : هل التسبيح بعد الصلوات جزء من الصلاة ؟ وماذا يقال في التسبيح ؟ .

الجواب :

الصلاة – كما عرَّفها الفقهاء – هي أفعال وأقوال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة . ومعنى « مختتمة بالتسليم » أنه عند التسليم تنتهي الصلاة . وعلى هذا نفهم أن التسبيح الذي يكون بعدها ليس جزءاً منها ، وانما هو سنة ، والوارد من هذه السنة ان يقول عقب الصلاة : « سبحان الله » ثلاثاً وثلاثين مرة ، و « الحمد لله » ثلاثاً وثلاثين مرة ، « والله أكبر » ثلاثاً وثلاثين مرة .

وقد وردت في ذلك أحاديث ، منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سبّح دُبُر (أي عقب) كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ؛ غُفرت له خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » .

وكذلك روى ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدُّثور (أي الأموال الكثيرة) بالدرجات العلى والنعيم المقيم . قال : وما ذاك ؟ . قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم . ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ . قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تسبّحون وتكبرون وتحمدون دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة .

فرجع فقراء المهاجرين إلى الرسول فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

صلاة الرسول بين السر والجهر

السؤال : كيف كان يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أكان يصلي جهراً أم سراً ؟ .

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى ، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً » .

وقد روى أهل التفسير أن معنى الآية هو : لا تجهر بصلاة النهار ، بل اجعلها سراً ، ولا تخافت أو تهمس بصلاة الليل ، واجعلها جهراً ، وصلاة النهار هي صلاة الظهر وصلاة العصر ، وصلاة الليل هي صلاة الصبح والمغرب والعشاء .

وقد ذكر المفسر القرطبي المالكي في كتابه « الجامع لأحكام القرآن » أن الإنسان يجهر في الصلاة بالليل ويخفت في الصلاة بالنهار في الفرائض ، وأما في النوافل فهو مخير بين الجهر والسر ، في الليل والنهار ، وروي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يفعل الأمرين جميعاً .

وكذلك روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يُسر في قراءته ، وأن عمر رضي الله عنه كان يجهر في قراءته ، فقيل لهما في ذلك ، فقال أبو بكر : إنما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي إليه ، وقال عمر : أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان (أي النائم) ، فلما نزلت الآية السابقة قيل لأبي بكر : ارفع قليلاً ، وقيل لعمر : إخفض قليلاً .

وفي مذهب المالكية أنه يندب الجهر في النوافل الليلية ، والسر في النوافل النهارية ، إلا ما له خطبة كصلاة العيد وصلاة الاستسقاء ، فيندب الجهر فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

سيلان الدم أثناء الصلاة

السؤال : كان يصلي ، وسال الدم من أسنانه ، فهل تفسد صلاته ؟ وهل يعيدها؟

الجواب :

القاعدة الشرعية أنه إذا فسد الوضوء وانتقض بأي مبطل من مبطلات الوضوء ، وكان ذلك أثناء الصلاة ، فإن الصلاة تفسد ، لأنه لا صلاة بغير وضوء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا احدث حتى يتوضأ » .

وقد قال الفقهاء إن الوضوء يفسد بخروج دم كثير من سائر البدنه . وقيل إذا سال الدم بحيث تجاوز موضع خروجه ، وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول : « ليس في النقطة والنقطتين من الدم وضوء ، إلا أن يكون سائلاً » .

وفي بعض المذاهب أنه إذا سال الدم أو القيح من أي موضع في البدن ، ولو من الفم ، ولو غلب عليه البزاق ، فإنه ينقض الوضوء ، ومتى انتقض الوضوء فسدت الصلاة التي كان يؤديها المصلي ، ويجب عليه ان يعيد هذه الصلاة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

صلاة السنة قبل الوقت

السؤال : هل تصبح صلاة السنة القبلية قبل دخول وقت الصلاة المفروضة التي تؤدى هذه السنة لها ؟ .

الجواب :

السنة هي ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظهره حالة كونه في جماعة ، وداوم عليه ، ولم يدل دليل على وجوبه ، والمفهوم من الإسلام أن سنن الصلوات مرتبطة بها ، سواء أكانت قبلية أم بعدية ، فسنة الفريضة تؤدى بعد دخول الوقت وقبل أداء الفريضة ، إذا كانت سنة قبلية ، وتؤدى عقب أداء الفريضة وقبل انتهاء الوقت إذا كانت بعدية .

وقد جاء عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الغداة (الصبح) ، كانت ساعة لا أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، فحدثتني حفصة أنه كان إذا طلع الفجر . وأذن المؤذن صلى ركعتين » .

وهناك حديث يقول : « بين كل أذانين صلاة » والمراد بالأذانين : الأذان والإقامة ، والمغرب مستثناة من ذلك ، ويفيد هذا الحديث أن السنة القبلية ستكون بعد الأذان وهذا يفيد دخول الوقت .

هذا وقد قال ابن دقيق العيد : في تقديم النوافل على الفرائض وتأخيرها عنها معنى لطيف مناسب . أما في التقديم فلأن النفوس لاشتغالها بأسباب الدنيا ــ بعيدة عن حالة الخشوع والخضوع والحضور التي هي روح العبادة ، فإذا قُدمت النوافل على الفرائض أنست النفس بالعبادة ، وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع .

وأما تأخيرها عنها فقد ورد أن النوافل جابرة لنقص الفرائض ، فإذا وقع

لنقص في الفرض ناسب أن يتبع بعضه ما يجبر الخلل الذي يقع فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

من شروط صلاة الجمعة

السؤال : **هل يجوز أن يصلي الإمام صلاة الجمعة بشخص مأموم واحد ؟ .**

الجواب :

من شروط الصحة لصلاة الجمعة أن تؤدى في جماعة ، وفي مذهب الشافعية والحنابلة أنه يجب ألا يقل عدد المصلين للجمعة عن أربعين شخصاً ولو بالإمام ، فلا تنعقد الجمعة بأقل من ذلك ، وفي مذهب المالكية يجب ألا يقل عدد المصلين للجمعة عن إثني عشر رجلاً غير الإمام ، وأن يكونوا ممن تجب عليهم الجمعة ، وأن يكونوا متوطنين ، وأن يحضروا من أول الخطبتين إلى تمام الصلاة .

وفي مذهب الحنفية أنه يشترط في الجماعة التي تصح بها الجمعة أن تكون بثلاثة غير الإمام ، وإن لم يحضروا الخطبة .

ومن هذا يتضح أنه لم يرد في مذهب من هذه المذاهب الفقهية الأربعة ما يفيد أنه يجوز صلاة الحجة بمأموم واحد .

وينبغي أن نلاحظ أن صلاة الجمعة لها شروط وجوب منها « الذكورة » فلا تجب صلاة الجمعة على المرأة ، ولكنها إن حضرت وأدت صلاة الجمعة أغنتها عن الظهر . ومن الشروط أيضاً « الحرية » فلا تجب الجمعة على الرقيق ، ولكن في المحل الذي تقام فيه صلاة الجمعة أو في محل متصل به .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

المرأة وصلاة الجمعة

السؤال : كيف تنوي المرأة إذا أرادت أن تصلي الظهر في يوم الجمعة في البيت ؟ أتكون النية لصلاة الجمعة أم لصلاة الظهر ؟ .

الجواب :

من المقرر في الفقه الإسلامي أن الجمعة مفروضة على الرجال من المكلفين ، وليست مفروضة على الإناث من المسلمين ، ولذلك ذكر الفقهاء لصلاة الجمعه شروط وجوب منها « الذكورة » ، فلا تجب على الأنثى ، ولكن إذا حضرت المرأة صلاة الجمعة وصلتها ، قبلها الله تعالى منها ، وأجزأتها عن صلاة الظهر .

ولعلنا من هذا نفهم أن الواجب على المرأة المكلفة المسلمة في ظهر يوم الجمعة ، هو أن تصلي فريضة الظهر لا فريضة العصر . وعليها أن تنوي صلاة الظهر لا صلاة الجمعة ، وهي تؤديها أربع ركعات كأي فريضة تؤديها ظهر كل يوم.

ومن المعروف أن النية محلها القلب ، فليس هناك داع يدعو المرأة إلى أن تقول بلسانها حينئذ : نويت أصلي فريضة الظهر من هذا اليوم : يوم الجمعة ، بل حسبها أن يخطر ذلك في بالها ثم تكبر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

. . .

قضاء الصلاة

هل يجوز للمسلم أن يقضي الصلاة التي تفوته ؟

الجواب :

الصلاة فريضة إسلامية لازمة واجبة على المسلم المكلف ، والقرآن المجيد

يقول : « إن الصلاة كانت على المومنين كتاباً موقوتاً » أي فريضة مكتوبة على المكلف ، محددة المواقيت . ويقول القرآن الكريم أيضاً : « حافظوا على الصلوات » .

وإذا فاتت المسلمَ صلاةٌ مفروضة أو أكثر من صلاة ، كان واجباً عليه أن يقضيها بترتيب ، إذا كانت غير زائدة على خمس صلوات ، فإن كانت أكثر من ذلك لم يلزم الترتيب ، وإذا كان الإنسان عالماً بعدد الفوائت قضاها كاملة العدد ، وإذا جهل الإنسان عدد ما فاته من صلوات ، فعليه أن يقضي من الفوائت عدداً يجعله يغلب على ظنه أنه يساوي ما فاته ، وعلى الإنسان أن يتحرى ذلك قدر طاقته إن لم يستطع تحديد ما فاته بالضبط ؛ وبذلك يسقط عنه عقوبة ترك الصلاة ، ويبقى عليه إثم تأخير الصلاة عن أوقاتها ، وهذا يتخلص منه الإنسان بالتوبة والاستغفار والله غفور رحيم .

ومن الممكن للإنسان إذا فاتته الصلاة في وقت طويل ، لستة شهور مثلاً . أن يبدأ في قضاء الفوائت خلال هذه الشهور الستة ، بأن يصلي الصلاة الواجبة عليه في وقته الحاضر ، ويصلي معها صلاة فائتة مماثلة لصلاة الوقت الحاضر فيصلي صبحاً من الفوائت التي عليه ، مع الصبح الواجب عليه في وقته الحاضر . ويصلي ظهراً مما عليه ، مع صلاة الظهر الواجبة عليه في وقته الحاضر ، وهكذا يستمر ستة أشهر ، وبذلك تخلو ذمته من الفوائت التي كانت عليه ، ويمكن أن يجعل قضاء هذه الفوائت في مكان السنن التي تصاحب الصلوات حتى يتم قضاء ما عليه ثم يعود إلى صلاة السنن .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

كيف تقضي الصلاة الفائتة ؟

سؤال : **تركت صلاتي الظهر والعصر ، وسأقضيهما بعد صلاة المغرب . فهل يجوز ؟ .**

الجواب :

الصلوات محددة المواقيت والمواعيد ، والواجب على المسلم أن يؤدي كل صلاة في وقتها المحدد لها ، ويحرم تأخير الصلاة عن وقتها بغير عذر مشروع ، ومن أخر الصلاة المفروضة عن ميعادها بغير عذر ، كان آثماً إثماً عظيماً .

ويجب على المسلم أن يقضي الصلاة الفائتة فوراً ، سواء أكان فواتها بعذر أو بغير عذر ، وأن يتوب إلى الله من التفريط . ولا يجوز تأخير قضاء الفوائت إلا لعذر ، كالسعي لتحصيل الرزق ، أو لتحصيل العلم الواجب عليه وجوباً عينياً ،

وينبغي مراعاة الترتيب عند قضاء الفوائت بعضها مع بعض ، فيصلي الصبح قبل قضاء الظهر ، والظهر قبل قضاء العصر ، وهكذا .. وينبغي كذلك مراعاة الترتيب بين الفوائت والفريضة الحاضرة ، فيصلي الظهر والعصر قبل المغرب .

وفي بعض المذاهب أنه لا يجوز أداء الفريضة الحاضرة قبل قضاء الفريضة الفائتة ، إلا إذا زادت الفوائت عن خمس فرائض ، حيث لا يلزم الترتيب حينئذ .

وفي مذهب الشافعية أن ترتيب الفوائت في نفسها سنة ، فلو قدم بعضها على بعض جاز ، وإن كان هذا مخالفاً للسنة .

وترتيب الفوائت مع الفريضة الحاضرة سنة أيضاً بشرطين :

الأول : ألا يخشى الإنسان فوات وقت الفريضة الحاضرة ، وفواتها يكون بعدم إدراك ركعة منها في وقتها .

الشرط الثاني : أن يكون متذكراً للفوائت قبل الشروع في الفريضة الحاضرة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

قضاء الفوائت عند المالكية

السؤال : كيف يقضي الإنسان ما فاته من الصلاة ؟ وهل يمكنه الصلاة دون قضاء ما فاته . وذلك حسب المذهب المالكي .

الجواب :

يجب على المسلم أن يؤدي كل صلاة في ميقاتها وموعدها ، لأن الله عز وجل يقول : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » أي فريضة مكتوبة محددة الميعاد ، ويحرم على المسلم أن يؤخرها عن وقتها ما دام في عقله ووعيه ، وليس له عذر شرعي في تأخيرها أو سقوطها ، فمن أخّر الصلاة عن وقتها بغير عذر كان آثماً إثماً عظيماً ، وأما من أخّرها لعذر مشروع فلا إثم عليه .

وإذا فات المسلم شيء من الصلوات المفروضة وجب عليه قضاؤها ، أي إذا كانت على الإنسان صلاة فائتة ، فإنه لا يصلي الفريضة الحاضرة قبل هذه الفريضة الفائتة ، بل يصلي الفائتة أولاً ثم يصلي الحاضرة ، ما دام ذلك ممكناً . ويصلي الفائتة على الصفة التي فاتت عليها ، فإن كان مسافراً سفرَ قصر ، وفاتته صلاة رباعية قضاها ركعتين ، ولو كان القضاء في الحضر ، وإن كان مقيماً وفاتته تلك الصلاة قضاها أربعاً ، ولو كان القضاء في أثناء السفر . ومن فاتته صلاة سرية — أي لا يُجهر فيها — كالظهر مثلاً ، فإنه يقرأ في قضائها سراً ، ولو كان قضاؤها ليلاً ، ومن فاتته صلاة جهرية كالمغرب مثلاً ، فإنه يقرأ في قضائها جهراً ، ولو كان القضاء نهاراً .

ويجب ترتيب الفوائت في نفسها ، سواء أكانت قليلة أم كثيرة ، بشرطين : الأول أن يكون متذكراً للسابقة ، والثاني أن يكون قادراً على الترتيب ، بأن لا يكون هناك إكراه على عدم الترتيب .

وإذا كان على الإنسان فوائت لا يدري عددها يجب عليه أن يقضي حتى يتعين براءة ذمته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الصــوم

ظهور هلال رمضان

السؤال : **إذا ظهر الهلال في أي بلد إسلامي ، فهل يجب الصوم على المسلمين إذا كانوا في غير هذا البلد المشار إليه ؟ .**

الجواب :

من المتفق عليه بين جمهور العلماء أن شهر رمضان يثبت بأحد أمرين :

الأول : رؤية هلال شهر رمضان ، إذا كانت السماء خالية مما يمنع الرؤية كالغيم والسحاب ، أو الدخان والغبار ، أو نحو ذلك .

الثاني : إكمال شهر شعبان ثلاثين يوماً ، وذلك إذا كان هناك حائل يحول دون رؤية الهلال في ليلة الثلاثين بسبب السحب أو الغيوم أو نحوها ، لأننا بإكمال شعبان ثلاثين يوماً نكون قد تأكدنا من تمامه وانتهائه ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « صوموا لرؤيته (أي هلال رمضان) وأفطروا لرؤيته ، فإن غُـمَّ عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين » والقرآن الكريم يقول : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

ويمكن ثبوت رؤية الهلال برؤية شاهدين مسلمين عدلين ، للحديث القائل : « فإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا » . كما يمكن ثبوت الهلال بشاهد واحد عدل ، فقد روي أن إعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني رأيت الهلال (يعني هلال رمضان) . فقال له النبي :أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ . قال : نعم . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فقال النبي : يا بلال . أذّن في الناس فليصوموا غداً .

ويجب على من رأى الهلال او من صدَّقه أنه رآه ، أن يصوم ، لأنه قد ثبت في علمه وجوب الصوم .

وأما مسألة ظهور الهلال في بلد دون بلد آخر ، فقد اختلف فيها الفقهاء كثيراً ، ولكن منهم من يقول : متى ثبتت رؤية الهلال بقطر من الأقطار وجب الصوم على سائر الأقطار ، لا فرق بين القريب من جهة الثبوت ، والبعيد ، إذا بلغهم من طريق موجب للصوم ، ويذكر الإمام الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار » أن فريقاً من الأئمة يرى أنه إذا رأى الهلالَ أهلُ بلد لزم الصوم أهل البلاد كلها .

وإذا أعلن الحاكم وهو ولي الأمر الشرعي بدء الصيام ، بناءً على المشاهدة أو إكمال شعبان وجب على الناس أن يصوموا . كما يُفترض على المسلمين فرض كفاية أن يلتمسوا الهلال في غروب اليوم التاسع والعشرين من شعبان ورمضان حتى يتبينوا أمر صومهم وإفطارهم .

ولقد اتفق رجال الفقه والإفتاء والرأي في البلاد الإسلامية على اتباع نظام موحد في إثبات أول رمضان وأول شوال ، وفيه أنه إذا ثبت الهلال في بلد أخذ بهذا الثبوت أهل البلاد الأخرى في العالم الإسلامي ، وهو إجراء يهدف إلى توحيد كلمة المسلمين وتوحيد أعيادهم ومواسمهم .

• • •

نية الصوم في رمضان

السؤال : هل يجب تكرار النية في كل يوم من أيام رمضان ، أو تكفي نية واحدة للشهر كله ؟ .

الجواب :

النية لها أهمية كبرى في نظر الإسلام . لأنها التي تحدد هدف الإنسان ووجهته ، والقصد الذي يقصد إليه من ورائه ، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن

كانت هُجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وفيما يتعلق بالصوم يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من لم يُجمع الصيامَ قبل الفجر فلا صيام له » . والإجماع هنا هو الإحكام والعزيمة .

والنية محلها القلب ، ولا يشترط فيها النطق باللسان . ونحن نجد في كتب الفقه الإسلامي أن النية في الصوم ركن أو شرط ، على اختلاف الفقهاء . ويرى بعض الأئمة أن النية واجبة التحديد لكل يوم من أيام رمضان ، ولا بد من تثبيتها ليلاً قبل الفجر ، وأن يعين الصائم صومه إذا كان فرضاً ، بأن يقول قلبه : نويت صوم غد من شهر رمضان .

ويرى بعض آخر من المذاهب أن القدر اللازم من النية هو أن يعلم بقلبه أنه يصوم غداً من رمضان . ووقت النية عند هذا البعض ممتد من غروب الشمس إلى ما قبل نصف النهار . فإن نسي في الليل أن ينوي فله أن ينوي إلى ما قبل نصف النهار ، حيث يكون الباقي من النهار أكثر مما مضى منه ، ولا بد من نية لكل يوم من أيام رمضان .

وفي مذهب المالكية تكفي نية واحدة في كل صوم يلزم تتابعه — كصوم رمضان — ما دام لم ينقطع تتابعه .

والنية الحكمية هنا تكفي . فلو تسحر الشخص ولم تخطر بباله نية الصوم . ولكن كان شأنه بحيث لو سئل : لماذا تتسحر ؟ أجاب بقوله : إنما أتسحر لأصوم غداً ، كفاه ذلك .

من هذا يمكن أن نقول : إذا استطاع الإنسان أن يعقد النية كل ليلة من ليالي رمضان ، فهذا هو الأصل والأفضل . وإذا خاف الإنسان أن ينسى أو يسهو ، فلينو في أول ليلة من رمضان أنه سوف يصوم بمشيئة الله تعالى شهر رمضان الحاضر لوجه الله تعالى ، ثم يتابع صيام الشهر كله .

والله ولي التوفيق ، وهو تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإفطار قبل إنتهاء الأذان

السؤال : هل يجب على الصائم عند الإفطار أن ينتظر حتى ينتهي الأذان ثم يفطر بعد ذلك ؟ .

الجواب :

المعروف من سنن الصوم تعجيل الفطر ، بأن يفطر الصائم بعد تحقق الغروب ، وقبل أداء صلاة المغرب ، ويحسن أن يدعو الصائم عند الإفطار بالدعاء المأثور : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى . يا واسع الفضل اغفر لي ، الحمد لله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت » .

ولا يجب انتظار الصائم وامتناعه عن الإفطار حتى ينتهي المؤذن من أذانه . لأن موعد الصوم هو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فمتى تحقق الصائم من الغروب ، فله أن يفطر ، وليس بشرط أن يسمع الأذان بأذنيه عند الإفطار ، فقد يكون إفطاره ، بالتأكد من انتهاء وقت الصوم عن طريق منبه أو ساعة مضبوطة ، أو برؤية الشمس وهي تغرب حتى يغيب قرصها ، أو بإخبار الثقة ، أو بنحو ذلك .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي ، لأنه القائل : « إذا أقبل الليل من ههنا ، وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم » أي دخل وقتُ فطره .

ولعل الاستحسان عند بعض الناس لانتظار الأذان حتى ينتهي هو أنه يسن لمن سمع الأذان أن يردد مثل ما يقول المؤذن ، فإذا قال المؤذن في أول الأذان : « الله أكبر الله أكبر » ردد السامع ذلك فقال : الله أكبر الله أكبر . اللهم إلا في قوله : « حي على الصلاة حي على الصلاة » فإن السامع يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وكذلك إذا قال المؤذن : « حي على الفلاح حي على الفلاح » فإن السامع يقول أيضاً : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

ولكن بعض المذاهب ـ الحنابلة ـ تقرر أنه إنما تندب الإجابة على كلمات الأذان إذا كان الشخص مدعواً بهذا الأذان إلى الصلاة ، والصائم عقب الغروب مدعو إلى الإفطار والتعجيل به قبل الصلاة ، بدليل الحث على ذلك التعجيل ، وبدليل أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يفطر على تمر قبل أن يصلي . وبدليل أن بعض المذاهب قد قال : لا تطلب الإجابة على كلمات المؤذن من المشغول بأمر من الأمور المشروعة ، وقال بعض آخر : لا تطلب الإجابة مع الأكل .

ومن هذا نفهم أنه لا يجب على الصائم أن ينتظر عند الإفطار إلى أن ينتهي الأذان . والعادة الجميلة عند المسلمين هنا ، هي أن يفطر الصائم على تمرات أو نحوها ، ثم يصلي المغرب ، ثم يعود إلى استكمال طعامه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الفدية في الصوم

السؤال : **هناك شخص مريض بمرض « السكر » أمره الطبيب بالإفطار ، وهو يسأل عن قيمة « الفدية » عن الإفطار في الصوم ، وعلى من تجب ؟**

الجواب :

من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن جعل بعض الأعذار مبيحة للفطر . فإذا مرض الإنسان ، وخاف إذا صام أن يزيد مرضه ، أو يتأخر شفاؤه ، أو تحصل له مشقة شديدة ، فإنه يجوز له أن يفطر حتى يشفى من مرضه ، ثم يقضي بعد ذلك ما فاته خلال المرض من الصوم .

والقرآن الكريم يقول : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

ومعنى قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » أنه إذا كان الإنسان لا يستطيع الصوم إلا بمشقة بالغة شديدة ، كالشيخ الطاعن في السن ، والمرأة الكبيرة الضعيفة ، أو كان الإنسان مريضاً مرضاً طويلاً لا يرجى برؤه ، أو يطول علاجه ، وهو ما يسمى بالمرض المزمن ، فإنه يفطر في شهر رمضان ، ولا قضاء عليه ، ولكن عليه « الفدية » ، وهي إطعام مسكين عن كل يوم من أيام رمضان .

ولقد تلا ابن عباس قول الله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ثم قال : « هي رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة (أي الطاعنيْن في السن) ، وهما يطيقان الصوم (أي لا يستطيعانه إلا بمشقة) أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً ، والحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا » .

وحقيقة الفدية هو أن يعطي المفطر المعذور المسكين عن كل يوم مقداراً من الطعام يكفي وجبتين من الوجبات : الفطور والسحور ، أو الغداء والعشاء . وقدّروا ذلك من ناحية الحبوب بثُمْن كيلة مصرية (أي نصف قدح) أي تكفي الكيلة المصرية عن ثمانية أيام ، ويكون الحب من غالب القوت الذي يأكل منه معطي الفدية .

ويعطي هذه الفدية للفقير أو المسكين ، ولا يجوز أن يعطيها لمن تجب عليه نفقته ، فلا يصح أن يعطيها لأصوله ، كأبيه وأمه ، ولا لفروعه كأولاده ، ولا يجوز أن يعطيها لزوجته ، لأن هؤلاء يجب على صاحب الفدية أن ينفق عليهم شرعاً .

ويجوز أن يعطيها لأقاربه الذين لا تلزمه نفقتهم كإخوته وأخواته .

واذا كان هناك فريق من الفقهاء يرى وجوب تمليك الفقير او المسكين هذا المقدار من الطعام فإن بعض الفقهاء يرى جواز قيام الإنسان بإطعام المسكين هذا الطعام ، أو إعطائه ثمنه ، ولعل ذلك أسهل وأيسر .

* * *

الجهر بالافطار في رمضان

السؤال : هل يجب على المفطر في رمضان بعذر من الأعذار أن يتوارى بإفطاره عن أنظار الناس ، أو يكون من حقه أن يأكل ويشرب أمامهم ما دام الله قد أعطاه هذا الحق ؟ .

الجواب :

إن شهر رمضان شهر جليل عظيم ، له مكانة ومنزلة ، وله هيبة وكرامة ، إذ نرى فيه ملايين المسلمين يشتركون في أداء الصيام ، ويحسون بجو روحي كريم ، وتختلف مظاهر رمضان عن مظاهر باقي الشهور ، لأن الله تعالى قد فرض صيامه ، وسنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قيامه ، وهو شهر العبادة والتلاوة ، وموسم الإيمان والإحسان ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحافظ على حرمة هذا الشهر وكرامته ، ولذلك نرى في بعض البلاد الإسلامية يغلقون كثيراً من الأماكن والمحال التي لا يناسب فتحها شهر رمضان » .

وليس هناك أفحش من المجاهرة بالإفطار في شهر رمضان ، في مجتمع إسلامي ، على مرأى ومسمع من الصائمين ، لأن ذلك يؤذي شعورهم ، ويجرح إحساسهم ، ويوجد الريبة لديهم ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « كل امتي معافى الا المجاهرين » .

ولو كان الإنسان قد أفطر بسبب أو عذر ، فعليه أن يراعي شعور غيره من الصائمين ، وأن لا يعرّض نفسه لسوء الظن عندهم ، فمن أدراهم أنه معذور ، وأن إفطاره لهذا السبب أو ذاك ، وهو لا يستطيع أن يخبر كلّ من يراه أنه مفطر بعذر شرعي ؛ ويستطيع هذا المفطر بعذر أن يأكل ويشرب داخل بيته ، أو بعيداً عن الأنظار ، لكيلا يشيع الظن السيء حوله .

ويمكن لمن أفطر بعذر أن يأكل ويشرب بين من يعاشرهم ويخالطهم ، ويطلعون على أمره ويعرفون سبب إفطاره .

ولنتذكر في هذا المقام أن الفقهاء قد قالوا : من فسد صومه لسبب

خارج عن إرادته يكون قد أفطر مضطراً ، ولكن يجب عليه الإمساك عن الطعام والشراب وبقية المفطرات بقية النهار ، مراعاة لحرمة الوقت ، اي وقت الصوم ، وهو نهار رمضان .

وأخبث الناس في هذا المجال أفراد ينتسبون إلى الإسلام ويحسبون على المسلمين ، وهم قادرون على الصوم ، ولا عذر عندهم يبيح الإفطار ، ومع ذلك يفطرون ويجاهرون ، ويزعمون كذباً وزوراً أنهم أصحاب أعذار . والواقع بخلاف ذلك .

هؤلاء يخلون بفريضة الصوم وحرمة الشهر الجليل : رمضان ، فيفطرون ويجاهرون بالإفطار ، ويضايقون غيرهم من الصائمين عن طريق التدخين علنا . وتناول المكيفات والمشروبات ، وخاصة في الأماكن العامة ومواطن تجمع الناس .

• • •

مأثورات عن الرسول في رمضان

السؤال : **أريد أن أعرف طائفة من الأشياء المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حول هدفه في شهر رمضان المبارك .**

الجواب :

من المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في رمضان يكثر من أنواع العبادات ، فهو يكثر من تلاوة القرآن ومدارسته ، وهو يكثر فيه من الصدقة والعطاء ، والصلاة والاعتكاف ، وكان النبي جواداً معطاء : وكان أجود ما يكون في رمضان .

وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور ، حتى إنه كان أحياناً يواصل الصوم ، أي يصوم يومين متتابعين بلا إفطار بينهما ، لقوة

استطاعته وشدة قربه من ربه . ومع ذلك كان ينهي أتباعه عن الوصال في الصيام — رفقاً بهم — فإذا قالوا له : يا رسول الله ، إنك تواصل . أجابهم : لست كهيئتكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني . أي يغذيه ربه بقوى معنوية تشغله عن الطعام .

ومن مأثور الرسول صلى الله عليه وسلم في الإفطار أنه كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي ، فإن تكن أفطر على تمرات ، فإن لم تكن حسا حسوات من الماء .

وكان يقول عند الإفطار : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ، إن شاء الله تعالى » . وكان يقول : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » . ويقول إذا أفطر : « اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي » .

وكان من هدى الرسول في رمضان أن يعجل الفطر ويؤخر السحور . وكان يقول في ذلك : « لا تزال أمتي على الفطرة ، ولا تزال أمتي بخير ، ما عجلوا الفطر » . ويقول أيضاً : « لا يزال الدين ما عجل الناس الفطر » ويقول كذلك : « يقول الله تعالى : أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً » .

وفيما يتعلق بتأخير السحور نجد زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قمنا إلى الصلاة (يعني صلاة الفجر) . قيل : كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : قدر خمسين آية .

وكان للرسول مؤذنان هما بلال بن رباح ، وعبدالله بن أم مكتوم ، فكان بلال يبكر برفع صوته قبل الفجر بوقت قليل ، وكان ابن أم مكتوم يؤذن في موعد الفجر ، فكان الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن بلالاً يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » .

والمأثور عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه أنه إذا سافر في وقت الصيام ، كان بالخيار ، يصوم تارة ، ويفطر تارة أخرى ، وكان يخير صحابته بين الأمرين . وكان يأمر أتباعه بالإفطار في رمضان إذا خرجوا للقاء

عدوهم ، واقتربوا من معركتهم ، لأن هذا أقوى على الاحتمال والنضال .

وقد جاء في كتاب « زاد المعاد » للإمام ابن القيم هذه العبارة :

« لا ريب أن الفطر لذلك (يعني الجهاد) أولى من الفطر لمجرد السفر . بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على أئمته في هذه الحالة ، فإنها أحق بجوازه ؛ لأن القوة هناك تختص بالمسافر ، والقوة هنا له وللمسلمين .

ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر ، ولأن المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد أعظم من المصلحة بفطر المسافر . ولأن الله تعالى قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة . والنبي صلى الله عليه وسلم قد فسر القوة بالرمي ، وهو لا يتم ولا يحصل به مقصوده إلا بما يقوي ويعين عليه من الفطر والغذاء ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم : « إنكم قد دنوتم من عدوكم فأفطروا أقوى لكم . وكان رخصة (أي أمراً إختيارياً) .

ثم نزلوا منزلاً آخر فقال : « إنكم مصبحو عدوكم ، والفطر أقوى لكم فأفطروا ، فكانت عزيمة (أي واجباً) . ا هـ .

وكان من مأثور الرسول في الصيام أنه يستعمل السواك لتنظيف الفم . ولعل حالة الصيام تحتاج أكثر من غيرها إلى تنظيف الفم ، حتى لا تتغير رائحته بسبب الانقطاع الطويل عن الطعام ، وخاصة بالنسبة إلى من يختلط بالناس . حتى لا يتأذوا منه .

• • •

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ينوه بشأن رمضان . ويرفع من مكانته ، وله في ذلك أحاديث شريفة كثيرة .

منها قوله عليه الصلاة والسلام :

إن للجنة باباً يقال له الريان ، يقال يوم القيامة : أين الصائمون ؟

فإذا دخل آخرهم أُغلق هذا الباب » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة :

يقول الصيام : أي رب ، منعته الطعام والشهوات بالنهار ، فشفّعني فيه .

ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه .

ثم يقول الحديث : فيشفّعان » ! . .

هذه لمحة تصور جانباً من المأثور عن رسول الله عليه صلوات الله وسلامه في هديه مع رمضان ومع الصيام : « إن في ذلك لبلاغاً لقوم عابدين » .

* * *

الصوم والمرض

السؤال : **ما رأي الدين في عدم استطاعتي الصوم لمرضي منذ ثماني سنوات ؟ .**

الجواب :

دين الله تبارك وتعالى قائم على الرفق والرأفة ، ولقد جاء في القرآن الكريم : « ولا على المريض حرج » . ويقول في شأن الصيام : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وحينما فرض الله تعالى فريضة الصيام فرضها على القادر الصحيح ، وأما المريض فهو من أصحاب الأعذار الذين يباح لهم أن يفطروا في أيام رمضان ما دام المرض موجوداً ، ثم يجب عليهم بعد زوال المرض قضاء ما فاتهم من أيام رمضان خلال العام .

وإذا فرضنا ومرّ على الإنسان عام كامل دون أن يقضي رمضان الذي فاته . فإنه ينتظر حتى يصوم رمضان الذي أقبل وحل موعده ، ثم يشرع في قضاء رمضان القديم الذي فاته صيامه . وليس عليه فدية في هذه الحالة ، وإن كان

بعض العلماء يرى أنه يدفع فدية في هذه الحالة . إذا كان هذا التأخير بلا عذر ؛ ولكن القول بعدم الفدية أقوى وأظهر .

ولكن إذا كان الإنسان مريضاً مرضاً طويلاً مزمناً ، أو لا يرجى شفاؤه . فإن المريض بهذا المرض لا يصوم لفقدان القدرة على الصوم ، وتجب عليه الفدية . وهي إطعام مسكين بدلاً عن كل يوم من أيام شهور رمضان التي تمر عليه دون صوم ، ويستطيع أن يعطي قيمة الإطعام للمسكين عن كل يوم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصوم والمضمضة

السؤال : **نام رجل بعد السحور في شهر رمضان ، دون أن يتمضمض ، ثم استيقظ عند الصباح . فهل يصح صومه ؟ .**

الجواب :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . فللصائم أن يأكل ويشرب ، من بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، حتى قال الفقهاء : لو أذن المؤذن للفجر في بدء وقته تماماً ،وكان في فم الإنسان لقمة يمضغها ، فألقاها من فمه في الحال صح صومه ، ولو بلعها بعد سماع الأذان بطل صومه .

والمضمضة ليست بفرض ولا شرط عند بدء الصوم ، إذا كان الفم خالياً من الطعام ، خاصة إذا لم يبق بين الأسنان أو في نواحي الفم بقايا أو فضلات الطعام ، إذ ينبغي للمسلم أن ينظف فمه وأسنانه وهو يفتتح الصوم ، حتى لا تتسرب شيء مما في الفم إلى الجوف . فلا يسلم له الصوم .

والشخص المسئول عنه إذا كان قد تسحر ، وانتهى من السحور قبل طلوع

الفجر ، ولم يبق في فمه من الطعام بقية ، ثم نام بلامضمضة ، لا يفسد صومه بذلك . لأن المضمضة ليست بشرط ولا بأمر واجب ما دام الفم نظيفاً من الطعام ، أي خالياً منه .

ومن العادات الشائعة بين عامة المسلمين في الطبقات الفقيرة أو المتواضعة الثقافة أن كثيراً منهم لا يحرصون على المضمضة وتنظيف الأسنان والفم من الطعام ، وهذه إحدى العادات السيئة التي فشت فيهم ، والأدب الإسلامي يعلم أهله تنظيف الفم والأسنان في كل مناسبة تدعو إلى هذا التنظيف ، ومن الواضح أن مناسبة الأكل في طليعة هذه المناسبات .

والإسلام دين يحث حثاً قوياً على العناية بالنظافة والحرص على الطهارة . وفي مقدمتها طهارة الفم والأسنان ، وها هوذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

وفي الحديث الصحيح أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا قام في الليل ليتهجد ، يدلك فمه بالسواك . وبعض الفقهاء — كإسحاق والغزالي والماوردي — يرون أن السواك واجب لكل صلاة ، ويرى داود أنه شرط .

وإنما دعا الإسلام إلى السواك — أو ما يقوم مقامه — لكثرة فوائده التي تعود على الجسم بالصحة . ولما فيه من رضا الله ، وإلى هذا أشار رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال : « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » . أي مطهر له من الأوساخ التي تعلق بالأسنان واللسان وسقف الحنك ، وهو من أسباب رضا الله لأنه نظافة وعبادة أمر الله بها . وينبغي ان نعلم ان المضمضة واستعمال السواك مما يباح للصائم ولو تكرر ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

فتح المطاعم في نهار رمضان

السؤال : ما حكم صاحب مطعم مسلم يفتح مطعمه في نهار رمضان ؟ .

الجواب :

الصوم فريضة إسلامية نص عليها القرآن والسنة . وأجمع عليها المسلمون منذ شرعها الله تبارك وتعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وحسبنا قول الله عز شأنه في سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وأشار القرآن إلى أن أيام الصوم المعدودة تأتي في شهر جليل عظيم . فقال : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

ولقد شدد الرسول عليه الصلاة والسلام النكير على الإفطار في رمضان فقال : « من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخّصها الله له ، لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة .

وقد تعارف المسلمون منذ أقدم العصور على مراعاة الحرمة اللائقة بشهر رمضان المبارك ، لأنه شهر مبارك كريم ، شهر صيام وقيام ، شهر إحسان وإيمان ، شهر تهجد وترتيل للقرآن ، وهذا تقليد جميل يعتز به أبناء الإسلام ، ويحرص عليه أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام .

والمسلم الذي يفتح مطعمه في شهر رمضان . يساعد المفطرين على مجاهرتهم بالإفطار في أيام الصوم المفروض ، وهي أيام شهر رمضان ، وإذا كان الدال على الخير كفاعله ، وكان المعاون على الطاعة يستحق الثواب من الله تبارك وتعالى ، فإن الدال على الشر أيضاً كفاعله ، والمعاون على الإثم والمعصية يكون عرضة لنقمة الله وغضبه . وخاصة أن هذا الرجل الذي سيفتح هذا المطعم مسلم . وسيتردد عليه مسلمون يشترون منه ما يرتكبون به معصية نكراء ، وهي الإفطار في رمضان .

فينبغي لهذا الشخص أن يكف عن فتح مطعمه في نهار رمضان ، إذا كان الذين يشترون منه ويترددون عليه يفطرون في نهار رمضان بما يشترونه منه . ولكن إذا كان هذا المطعم يبيع الأشياء التي يستخدمها مشتروها في إعداد الإفطار بعد الغروب ، أو السحور بالليل ، فلا مانع شرعاً من فتحه لبيع هذه الأشياء ، كما هو الشأن مثلاً في المخابز والمتاجر التي تيسر للصائمين ما به يفطرون ويتسحرون .

وكذلك إذا كان هذا المطعم سيبيع مأكولات للأطفال الصغار الذين لم يبلغوا سن الصوم ، وكذلك إذا كان هذا المطعم مخصصاً لغير المسلمين المكلفين بالصوم ، بشرط أن لا يصل ذلك إلى حد المجاهرة أمام الصائمين فقد قال سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين » .

ومن واجب ولاة الأمور في العالم الإسلامي أن يعملوا على توفير الحرمة لشهر رمضان ، وعلى منع المستخفين به من مظاهر الاستخفاف بحرمات الله عز وجل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإستحمام في الصوم

السؤال : **ما حكم الإستحمام بعد زوال الشمس في أيام رمضان ، بقصد لإزالة الكسل ؟ .**

الجواب :

الإسلام دين نظافة وطهارة ، والنظافة من الإيمان ، والله تعالى يحب المتطهرين ، والاستحمام أمر مشروع غير ممنوع ، وهو أمر مندوب محبوب إذا مضى على الجسم وقت طويل دون نظافة ، وقد يجب الاستحمام إذا كان الجسم يتعرض للمرض إذا لم ينظف ، وقد أوجب الله الاستحمام ــ الغسل ــ

عند وجود الحدث الأكبر ، كالمعاشرة الزوجية .

ولا يتعارض الصوم مع الاستحمام ، لأن الصوم هو الإمساك والامتناع عن المفطرات الحسية والمعنوية ، فما دخل الاستحمام فيه . ولم يقل أحد إن استحمام الصائم يفسد الصوم ، حتى ولو تكرر هذا الاستحمام . وقد روى أحمد ومالك وأبو داود بإسناد صحيح أن بعض صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر » .

وفي صحيحي البخاري ومسلم أن السيدة عائشة رضي الله عنها تحدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان يصبح جُنُباً وهو صائم ثم يغتسل » .

وعلى هذا نفهم أن استحمام الصائم بعد زوال الشمس في أيام رمضان ، لا يفسد الصوم ، ولا يكون مكروهاً ، سواء أكان هذا الاستحمام لإزالة الكسل أم للتطهير والتنظيف ، ومن الخطأ أن يتصور مسلم ذلك ، لأن الإسلام أقام أكبر عبادة فيه — وهي الصلاة التي تتكرر كل يوم خمس مرات — على النظافة وطهارة الجسم والثوب والمكان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صوم وزكاة دون صلاة

السؤال : **ما حكم الصيام والزكاة بغير صلاة ؟ .**

الجواب :
الإسلام كل لا يتجزأ ، والمسلم العاقل لا يقبل لنفسه إطلاقاً أن يتقيد بجانب من الإسلام ، ثم يتحلل من جانب آخر ، **لأنه يكون**

في هذه الحالة كمن يعترض على الله جل جلاله .

ولقد صوّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس الإسلام حين قال : « بني الإسلام على خمس : شهادة لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » .

والصلاة ذاتها هي أهم الفرائض والعبادات ، ولذلك تحدث عنها الرسول بأنها عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين . فكيف يرتضي عاقل لنفسه أن يصوم ويزكي وهو يهمل ما هو أعظم وهو الصلاة .

وإذا كان الفقهاء قد قالوا أن الإنسان إذا قام بالصوم والزكاة — ولو دون صلاة — فإن كلاً من الفرضين يسقط عنه عقاب تركه ، ولكن يبقى بعد ذلك سؤال هو : هل يقبل الله صومه وزكاته ، وقد أهمل ما أمر الله به ، وشدد في الأمر به وهو الصلاة ؟ وهل رضي الله عن مثل ذلك الإنسان ؟ .

ثم إن عقوبة ترك الصلاة شديدة موجعة تتعلق برقبةتاركها لتناله عند لقاء الله عز وجل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

تنظيف الأذن لا يفطر

السؤال : **هل يجوز للصائم أن ينظف أذنه ؟ .**

الجواب :

المعروف عند كثير من الفقهاء أن تنظيف الأذن من الخارج لا يفطر

الصائم . لأن هذا التنظيف لا يتضمن وصول شيء إلى الجوف من منفذ معتاد . وهذا أيسر .

ولكن مذهب المالكية يرى أن من المفسدات للصوم وصول مائع إلى الحلق من فم أو أذن أو عين أو أنف – سواء أكان المائع ماءً أو غيره – وصل عمداً أو سهواً أو غلبةً ، كما غلب من المضمضة أو السواك حتى وصل إلى الحلق ، أو وصل خطأ ، كأكله نهاراً معتقداً بقاء الليل أو غروب الشمس ، أو شاكاً في ذلك – ما لم تظهر الصحة – كأن يتبين أن أكله قبل الفجر ، أو بعد غروب الشمس ، وإلا فلا يفسد صومه .

وفي حكم المائع البخور وبخار القِدْر ، إذا استنشقهما فوصلا إلى حلقه . وكذلك الدخان الذي اعتاد الناس شربه ، فمجرد وصول دخانه إلى حلقه مفطر وإن لم يصل إلى المعدة .

ولو اكتحل نهاراً فوجد طعم الكحل في حلقه فسد صومه . ولو دهن شعره فوصل الدهن إلى حلقه من مسام شعره فسد صومه . وإذا استعملت المرأة الحناء في شعرها ، فوجدت الطعم في حلقها فسد صومه .

هكذا يرى مذهب المالكية في هذا المجال .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدواء الخارجي لا يفطر

إذا وضع الطبيب للمريض « قطرة » في عينيه ، فهل يفطر ؟ . وهل يفطر وضع الكحل ؟ وهل تفطر الحجامة ؟ .

الجواب :

هناك عدة أمور لا تفطر الصائم . منها الاكتحال – أي وضع الكحل في

العين – سواء وجدت المرأة الصائمة المكتحلة طعم الكحل في حلقها ، أو لم تجد ، لأن العينين ليستا منفذاً طبيعياً تصل منه الأشياء إلى داخل الجوف .

وقد روي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يكتحل وهو صائم ، والأظهر أن هذا الكحل نوع كانوا يتخذونه للعلاج وتقوية البصر .

وكذلك لا يفطر وضع « القطرة » بأنواعها المختلفة في العين ، وكذلك لا تفطر أنواع المراهم التي توضع في العين ، لأن العين ليست مجرى طبيعياً لدخول الطعام والشراب ونحوه إلى البطن .

وهذا هو الإمام ابن تيمية يذكر عدة أشياء لا تفطر ، مثل الكحل والتقطير والحقنة ، ثم يقول : « والأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك ، فإن الصيام من دين الإسلام ، الذي يحتاج إلى معرفته الخاصُّ والعام . فلو كانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ، ويفسد الصوم بها ، لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه ، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة ، وبلغوه الأمة ؛ كما بلغوا سائر شرعه .

فلما لم ينقل أحدٌ من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك . لا حديثاً صحيحاً ، ولا ضعيفاً ، ولا مسنداً ولا مرسلاً ، عُلِمَ أنه لم ينكر شيئاً من ذلك .

ثم قال : « فإذا كانت الأحكام التي تعم بها البلوى ، لا بد أن يبينها الرسول صلى الله عليه وسلم بياناً عاماً ولا بد أن تنقل الأمة ذلك ، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعم به البلوى ، كما تعم بالدهن والاغتسال ، والبخور والطيب ، فلو كان هذا مما يفطر لبيّنه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما بيّن الإفطار بغيره ، فلما لم يبين ذلك عُلم أنه من جنس الطيب والبخور والدهن ، والبخور قد يتصاعد إلى الأنف ، ويدخل في الدماغ ، وينعقد أجساماً . والدهن يشربه البدن ، ويدخل إلى داخله ويتقوى به الإنسان ، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك دلّ على جواز تطيبه وتبخره وادهانه ، وكذلك اكتحاله » .

والحجامة — ويقال لها الاحتجام — لا تفطر ، وهي أخذ شيء من الدم من الرأس ، بآلة للتداوي ، وقد جاء في صحيح الإمام البخاري أن سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام احتجم وهو صائم .

وقد قرر الفقهاء أن هذه الحجامة جائزة مباحة للصائم . اللهم إلا إذا سببت له ضعفاً ، فإنها تكون حينئذٍ مكروهة ، وإن صح الصوم ، لأنها ستجمع على الصائم حينئذٍ ضعفين : الأول ضعف الصوم ، والثاني ضعف الاحتجام .

ولقد قال ثابت البناني لأنس رضي الله عنه : أكنتم تكرهون الحجامة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فقال : لا ، إلا من أجل الضعف .

ويقاس على الحجامة « الفصد » ، وهو أخذ الدم من أي عضو في الجسم ، فإنه لا يفطر ، وإنما يكون مكروهاً إذا أضعف الصائم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أكل الناسي لا يفطر

السؤال : **ما حكم الدين فيمن أكل أو شرب ناسياً وهو صائم ؟ .**

الجواب :

الصوم شرعاً هو الإمساك عن المفطرات من الطعام والشراب ونحوه ، من طلوع الفجر ، إلى غروب الشمس ، مع نية الصيام لله تبارك وتعالى في ذلك .

فإن أكل الإنسان أو شرب ناسياً غير متعمد ، فإنه لا يكون مفطراً ، ولا يفسد صومه ، بشرط أن يمسك عن الأكل والشرب ، إذا تذكر أنه صائم ، ويلقي بما في فمه من طعام أو شراب .

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نسي وهو صائم ،

فأكل أو شرب ، فليتم صومه . فإنما أطعمه الله تعالى وسقاه » . أي لا يفسد صومه ، ولا قضاء عليه .

وجاء في حديث آخر أن النبي عليه الصلاة والسلام قد قال : « من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة » .

والأصل في ذلك هو القاعدة الشرعية السمحة القائمة على التيسير والتسهيل . وهو أن التكليف إنما يكون في حدود الطاقة والاستطاعة ، ولا حيلة للإنسان في السهو أو النسيان ، والقرآن المجيد يقول : « لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها » . ويقول أيضاً : « يريد الله بكم اليسر . ولا يريد بكم العسر » . والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

صيام الإثنين والخميس

السؤال : **هل يجب صيام يومي الإثنين والخميس ؟ .**

الجواب :

المفروض من الصوم في الإسلام هو صوم رمضان ، على المسلم المكلف القادر ، ولكنه يوجد بعد رمضان صوم مسنون أو مستحب . إن قام به الإنسان تطوعاً وتقرباً كان له ثواب من الله تبارك وتعالى ، وإن لم يقم به الإنسان لم يكن عليه عقاب في ذلك ، والله رءوف رحيم .

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان أكثر ما يصومه من غير رمضان هو يوم الاثنين ويوم الخميس ، وقد سأل بعضُ الصحابة رسول الله عن سر ذلك . فأجاب بقوله : إن الأعمال تُعرض

كل إثنين وخميس ، فيغفر الله لكل مسلم – أو لكل مؤمن – إلا المهاجرين (يعني المتخاصمين) فيقول : أخرهما (أي أجلهما حتى يتراضيا . ويتصالحا ويعودا إلى ساحة الأخوة في الله) .

كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم أن النبي صلوات الله وسلامه عليه سئل عن صوم يوم الاثنين . فأجاب : ذاك يوم وُلدت فيه ، وأنزل عليّ فيه (أي نزل الوحي عليّ فيه) .

وفي بعض الروايات أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصوم أياماً في الشهر هي : السبت ، والأحد ، والاثنين ، فإذا كان الشهر التالي صام الثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس .

كذلك يروى أنه كان يصوم الخميس من أول الشهر ، والإثنين الذي يليه .

وينبغي أن نلاحظ أن الصوم المفروض – وهو صوم رمضان – يجب على الإنسان أن يقضيه ، إذا لم يؤده في الوقت المحدد له ، سواء أكان عدم الأداء بعذر ، أمن من غير عذر .

وأما الصوم المسنون أو المندوب ، فلا يلزم الإنسانَ قضاؤه ، وقد جاء في السنة المطهرة أن أبا سعيد الخدري أعدّ للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً دعاه إليه مع بعض أصحابه ، فلما قُدّم الطعام قال أحد الحاضرين : إني صائم .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام موجهاً ومرشداً : دعاكم أخوكم ، وتكلف لكم ؟ ... ثم قال لذلك الرجل : أفطر وصم يوماً مكانه إن شئت .

واستنبط العلماء من هذا الحديث أن من صام متطوعاً ، يجوز له الفطر إن شاء ، واستحبوا له أن يصوم يوماً مكان اليوم ، ولكن ذلك ليس مفروضاً .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

صوم أهل القطبين

السؤال : **كيف يصوم أهل القطبين ؟ وكيف يعرفون موعد الإمساك وموعد الإفطار ؟ .**

الجواب :

الصوم أمره معروف ميسور للناس ، في البلاد التي يعتدل فيها الليل والنهار . أو يتقاربان في الطول والقصر ، أو يتفاوتان تفاوتاً ميسوراً .

ولكن الذين يقيمون في بلاد يطول نهارها أياماً ، أو أسابيع ، أو شهوراً . أو يطول ليلها كذلك أياماً ، أو أسابيع ، أو شهوراً ، يكون أمامهم طريقان لتحديد مواعيد الإمساك والإفطار :

فإما أن يقدروا أوقات صيامهم وأوقات فطرهم ، على حسب توقيت البلاد التي نزل فيها وحي الله . ووقع فيها التشريع ، كمكة المكرمة ، التي فيها نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام . وبدأ فيها نزول القرآن المجيد . أو كالمدينة المنورة . وهي دار الهجرة ومركز النصرة ، التي نزل فيها قدر كبير من كلام الله عز وجل ، وعاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حيناً طويلاً من الزمان .

وبذلك يقسم أهل القطبين أو ما شابههم أوقاتهم حسب الساعات الزمنية إلى جدول يحدد مواعيد الإمساك والإفطار بالقياس إلى مواعيد مكة المكرمة ، أو المدينة المنورة .

وإما أن يقدروا أوقات صيامهم وأوقات إفطارهم على مواعيد أقرب بلاد معتدلة منهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

الصوم بين الإسلام والمسيحية

السؤال : لماذا يعلن المسلمون صيامهم في حين أن المسيحيين لا يعلنون ذلك ؟ .

الجواب :

لا موجب لهذه المقارنة بين الصوم في الإسلام والصوم في المسيحية ، فالإسلام لا يوجب على المسلم أن يعلن إسلامه ، بل يحبب الإسلام الإنسان في أن يجعل عبادته بينه وبين ربه ، لأنه المطلع على الضمائر ، العليم بالسرائر ، يعلم السر والنجوى ، ويعلم ما تخفي الصدور ، والإسلام يعلم الإنسان أن يسلك طريق الإخلاص والمراقبة لربه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى إحاطة الله تبارك وتعالى بكل شيء ، فيقول : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ولكن الصوم في الإسلام محدد البداية ومحدد النهاية ، وهو مرتبط بشهر قمري معين هو شهر رمضان ، ولما كان مطلع القمر قد يختلف من شهر إلى آخر ، وكان جماعة المسلمين في حاجة إلى رؤية هلال رمضان حتى يصوموا ، وإلى إثبات هلال شوال حتى يفطروا ، ارتبط شهر رمضان برؤية هلاله ، حتى يتم إعلان ذلك بين المسلمين حتى يبدأوا في صيامهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة البقرة حيث يقول تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات ، فمن كان منكم أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على هداكم ولعلكم تشكرون » الآيات ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ .

فقد أشارت هذه الآيات كما رأينا إلى وقت الصيام وهو شهر رمضان ،

وأشارت إلى شهود الشهر وابتدائه ، وهذا كله يحتاج إلى بحث وإثبات .

وهذا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام يتحدث عن الصوم ورؤية هلال الشهر ، فيقول : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمّ عليكم (أي اختفى) فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً » .

والصوم في الإسلام بعد هذا سر من الأسرار بين العبد وربه ، فإذا كنا نعلن عن بدء الشهر ليشرع المسلمون في صيامهم ، فإن حقيقة الصوم لا يمكن الإعلان عنها ، وإنما يعلمها الله جل جلاله وحده ، ولهذا جاء في الحديث القدسي قول رب العزة : « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي ، يدع طعامه وشرابه من أجلي » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

زكاة الفطر

السؤال : كيف شرعت زكاة الفطر ؟ وما حكمتها ؟

الجواب :

شرع الله تبارك وتعالى زكاة الفطر في شهر رمضان المبارك من السنة الثانية من الهجرة ، وكان فرضها قبل عيد الفطر بيومين ، وقد سميت بزكاة الفطر لأنها تجب بالفطر في آخر رمضان من كل عام ، وتسمى أيضاً « زكاة الرءوس » لأنها تجب على كل فرد من المسلمين ، وقد تسمى أيضاً « زكاة الصوم » لأنها ترتبط برمضان شهر الصوم .

ويقال إن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الزكاة في قول الله تبارك وتعالى « قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى » . وقد أكد الرسول عليه الصلاة

والسلام فرضيتها حتى جاء في الحديث المتفق عليه الذي رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ،انه قال: « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر في رمضان ، صاعاً من تمر ، وصاعاً من شعير : على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والكبير والصغيرمن المسلمين » .

وهناك أكثر من حكمة في تشريع زكاة الفطر ، فهي نوع من استكمال التطهير للصائم في صومه ، فقد يعرض له خلال الصوم شيء من التقصير ، فتكون زكاة الفطر جبراً لهذا النقص ، أو سداً لذلك الخلل . وهي معونة خفيفة عاجلة يؤديها المسلم القادر إلى الفقير العاجز في مناسبة العيد الذي هو فرحة مشتركة ينبغي أن يحس بها أبناء الإسلام جميعاً ، ولعل هذا هو السر في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن الفقراء في يوم عيد الفطر : « أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم .

ولقد قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطُعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة (يعني صلاة عيد الفطر) فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » .

ويجوز إخراج زكاة الفطر في أي يوم من أيام رمضان ، ولكن تأخيرها إلى نهاية الشهر أفضل لتحقق الغرض المطلوب من أدائها ، وقد استحسن فريق من الفقهاء إخراج هذه الزكاة في اليومين الأخيرين من رمضان حتى نستطيع أن ينتفع بها الفقير المحتاج في مناسبة العيد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الزكاة



متى تجب الزكاة

السؤال : **متى تجب الزكاة على المسلم – حسب المذهب المالكي -- وكيف يؤديها ؟ .**

الجواب :

تجب الزكاة – في مذهب المالكية – على المسلم الحر ، ذكراً كان أو أنثى ، المالك للنصاب ، والنصاب هو المقدار الذي تجب فيه الزكاة ، بمعنى أنه الحد الأدنى لوجوب الزكاة . فإذا كان الإنسان مالكاً أقل من هذا الحد الأدنى فإنها لا تجب عليه .

وتكون الزكاة من ثلاثة أنواع من الأموال : الأول الأنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم . والثاني الحَرْث ، وهو الحبوب والتمر والزبيب ، وذوات الزيوت الأربع ، وهي الزيتون ، والسمسم ، والقرطم ، وحَبّ الفجل الأحمر .

والثالث العَيْن ، وهو الذهب والفضة .

وشروط وجوبها أربعة : اثنان عامان في الأنواع الثلاثة السابقة ، وهما الحرية وملك النصاب . واثنان خاصان ببعضهما : أولهما تمام الحول ، أي مضي سنة على تملك النصاب ، فإن ذلك الشرط خاص بالأنعام والنقدين (الذهب والفضة) ، وثانيهما مجيء الساعي ، وهو العامل الذي يجمع الزكاة من دافعيها بتكليف من ولي الأمر .

والمقدار الواجب في زكاة الحبوب هو نصف العُشْر ، إذا كانت الحبوب تسقى بالآلة كالساقية ، وبلغت النصاب . والنصاب للزكاة هنا يقدر بأربعة أرادب وويبة بالكيل المصري ، وإذا كانت الحبوب تسقى بماء المطر أو

النيل أو العيون ، فيدفع منها العُشْر في الزكاة .

وإذا كان هناك زرع يُسْقَى بالآلة وبغير الآلة ، فالزكاة تجري على حكم السقي بالآلة ، والسقي بغيرها ، فيقسم الخارج قسمين : نصف يكون فيه العشر ، والآخر يكون فيه نصف العشر .

وفي زكاة النقدين (الذهب والفضة) إذا بلغ المال المملوك النصاب ، وهو عشرون ديناراً شرعياً، او مائتا درهم: فزكاته ربع العُشْر، فيجب في العشرين ديناراً نصف دينار ، وفي المائتي درهم خمسة دراهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

زكاة الدَّيْن

السؤال : **إذا كان لشخص خمسة وعشرون ألف فرنك ديناً على شخص آخر ، هل تجب عليه الزكاة عن هذا المال في مذهب المالكية ؟ .**

الجواب :

جاء في مذهب المالكية أن الإنسان يزكّي الدَّيْن بعد قبضه ، ويدفع زكاته عن سنة فقط ، وإن بقي عند المدين سنوات ، وتعتبر السنة من تملكه لأصل الدَّيْن ، وهذا إذا لم يتعمد صاحبُ المال إبقاء الدَّيْن عند المدين فراراً من الزكاة ، وإلا كان عليه أن يدفع زكاته عن السنوات التي بقي فيها المال عند المدين .

ولزكاة الدَّيْن هنا شروط ، منها أن يكون أصل الدَّيْن نقوداً بيده فيسلفها ، أو عروض تجارة يبيعها بثمن معلوم إلى أجل ، وأن يقبضه صاحبه من المدين ، وأن يقبضه نقوداً من المدين ، وأن يكون المقبوض من الدَّيْن

بالغاً النصاب الذي تجب فيه الزكاة ، فلو كان المقبوض أقلّ من هذا النصاب لم تجب فيه الزكاة حتى يبلغ نصابه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زكاة الأرز

السؤال : **إذا زرع إنسان أرزاً مرة وأخرج الزكاة فيه بعد الحصاد ، هل يزكي هذا الشخص مرة أخرى في الحصاد الثاني ؟ .**

الجواب :

الأرز من الأصناف التي تجب فيها الزكاة في المذهب المالكي ، والنصاب الذي تجب فيه الزكاة هو خمسة أَوْسُق ، والوَسْق – بفتح فسكون – ستون صاعاً ، والصاعان قدحان ونصف قدح .

والواجب في الزكاة هو نصف العشر إذا كان الزرع يُسقى بآلة ، كالسواقي والدواليب والدلاء ، وغيرها من الآلات ، وإذا كان الزرع لا يسقى بآلة ، بل يسقى طبيعياً بماء المطر أو ماء العيون أو نحو ذلك ، فالواجب إخراج العشر في الزكاة ، واستدلوا على ذلك بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء والعيون ، أو كان عثريا (أي يشرب بعروقه دون سقي) العُشْر ، وما سقى النَّضْح (أي الإبل أو الآلة) نصف العشر » .

والأرز جنس مستقل في الزكاة لا يضم إلى غيره ، ويضم متحد الجنس في الحبوب ولو زُرعت ببلدين ، حيث زُرع أحدهما قبل وجوب زكاة الآخر ، وبقي من الأول إلى وجوب الزكاة في الثاني ما يكمل به النصاب مع الثاني .

ويلاحظ أن المذهب المالكي يعد الأرز جنساً قائماً بذاته على حدة فلا يضم إلى غيره كالذرة أو القمح ، ويعتبر الأرز هنا بقشره الذي يخزن به كالشعير لا مجرداً عنه ، فإذا كان هناك مقدار منه يبلغ نصاب الزكاة بقشره أخرج زكاته ، وإن كان بعد التنقية من القشر يصير أقل من النصاب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زكاة الحلى

السؤال : **هناك امرأة تحوز من الحلى مقداراً وزنه خمسون كيلو جرام من الذهب ، فهل تجب عليها الزكاة ؟ .**

الجواب :

إن زكاة حلى المرأة قد اختلف في حكمها الفقهاء ، فمنهم من أوجب الزكاة ، ومنهم من لم يوجبها ، ومنهم من قال أن الزكاة تجب في الحلى مرة واحدة في العمر فقط .

والذي تميل إليه النفس هو أن الحلى التي تحوزها المرأة ، وكانت للاستعمال والتزين ، وكانت هذه الحلى من مستوى هذه المرأة ومستوى قريناتها ، بمعنى أن العرف جرى أن يتزين مثلها بمثل هذا القدر من الحلى ، فإنه لا زكاة فيها .

وأما إذا كانت الحلى كثيرة ، تزيد عن مستوى المرأة ومستوى مثيلاتها ، فمعنى ذلك أنها لم تشترها للتزين والاستعمال ، وإنما اشترتها للاتجار أو الاكتناز ، وحينئذٍ يجب عليها إخراج الزكاة فيها .

وحسب المعروف لدينا تُعد الخمسون كيلوجرام من الذهب قدراً كبيراً

زائداً على معنى التزين ، وحينئذٍ يغلب على ظن الإنسان أن هذا المقدار متخذ للاتجار ، ومن هنا يجب فيه الزكاة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الزكاة والحج

السؤال : **أيجوز للتاجر أن يخرج زكاته بعد أداء فريضة الحج ، أم لا بد من إخراج زكاة المال قبل أداء فريضة الحج ؟ .**

الجواب :

الزكاة هي إحدى قواعد الإسلام التي بُني عليها ، وهي فرضُ عين على المكلف بها . وتجب الزكاة في النقود بتمام الحول ، أي كمال مرور سنة على ملك النصاب الذي تجب فيه الزكاة ، وتجب في الزرع بطيبه ، والله تعالى يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

ويجب إخراج الزكاة فوراً عند وجوبها ، ويحرم تأخير أدائها عن وقت الوجوب ، وتجب تفرقة الزكاة فوراً في مكان وجوبها ، متى استحقت في ذمة المكلف بها .

وما دامت الزكاة واجبة على الفور — عند تحقق شروطها — فعلى المكلف أن يبدأ بإخراجها قبل خروجه إلى رحلة الحج ، لأن الحج مفروض على التراخي عند كثير من الفقهاء ، وهو مفروض إذا توافرت الاستطاعة فالقرآن يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

فإن أدى الزكاة المفروضة ووجد بعد ذلك ما يستطيع أن يحج منه فعل ، وإذا كان الحج واجباً على الفور في مذهب الإمام مالك ، فإنه لا يكون واجباً

إلا عند المقدرة ، وذلك يكون بعد أداء حق الله في المال وهو الزكاة المفروضة . فالتاجر الذي وجبت عليه الزكاة يخرجها اولاً ، ثم ينظر فإن بقي له مال يستطيع الحج منه فعل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحَـج



أداء العمرة

السؤال : **سيدة لم تستطع أن تؤدي العمرة منفردة ، فهل يمكن أن تؤديها مع الحج ؟ .**

الجواب :

العمرة هي زيارة الكعبة بيت الله الحرام،وزيارة الكعبة هي الطواف حولها، ثم السعي بين الصفا والمروة . مع الإحرام على الوجه المخصوص الذي بيّنته الشريعة ، وبعض الفقهاء يرى أن العمرة فرضت مرةً واحدة في العمر كالحج . واستدلوا على ذلك بقول الله تبارك وتعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » أي قوموا بهما تامين مستجمعين للشروط والأركان ، كما استدلوا بأن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له . إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (السفر) . فقال له النبي : حُجَّ عن أبيك واعتمر .

وهناك فريق آخر من الفقهاء قالوا : إن العمرة سنة مؤكدة مرة في العمر . لأن النبي سئل عن العمرة : أواجبة هي ؟ قال : لا . وأن تعتمروا هو أفضل . والراجح أن العمرة ليست بفرض ، بل هي تطوع .

والعمرة ليس لها وقت معين دون وقت ، فيمكن أداؤها في شهور السنة كلها ، ويستطيع الإنسان أن يقوم بالعمرة قبل الحج ، وبعد الانتهاء من الحج ، وفي أثناء شهور الحج ، فإذا لم يستطع الإنسان القيام بالعمرة وهو في مرحلة الحج ، كإنه يستطيع القيام بها في رحلة ثانية ، والوقت أمامه ممدود بمشيئة الله تعـــالى .

وينبغي أن نعرف كذلك أن الحج ثلاثة أنواع : حج القران(أي الجمع بين الحج والعمرة) وحج التمتع ، وحج الإفراد : وكل منها جائز ، وعن عائشة أم

المؤمنين أنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع ، فمنا من أهلّ بعمرة ، ومنا من أهلّ بحج وعمرة ، ومنا من أهلّ بالحج ، وأهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج .

وحج القران هو أن يحرم الإنسان عنه المتعة بالحج والعمرة معاً ، ويقول عند الإحرام : « لبيك اللهم بحج وعمرة » . وهذا يحتاج إلى بقاء الإنسان على إحرامه حتّى ينتهي من أعمال الحج والعمرة جميعاً .

وحج التمتع هو أن يؤدي الإنسان العمرة في أشهر الحج ، ثم يتحلل من إحرامه ، فيلبس الثياب العادية ، ويمس الطيب ، ثم يؤدي فريضة الحج في نفس العام الذي اعتمر فيه ، وهذا يقول عند الإحرام : « لبيك اللهم بعمرة » .

وهنا يحرم الشخص ويصل مكة ويطوف بالكعبة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ثم يحلق شعره أو يقصره ، ويتحلل من إحرامه ، ويلبس ثيابه العادية ، ويفعل ما كان محرّماً عليه في حالة الإحرام ، إلى أن يجيء يوم « التروية » ، وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة فيحرم من مكة بالحج .

وحج الإفراد هو أن يحرم الإنسان ناوياً الحج وحده ، ويقول « لبيك اللهم بحج » ويبقى محرما حتّى يتمم أعمال الحج ، ثم يعتمر بعد ذلك إذا أراد

ومن هذا نفهم أن مجال العمرة واسع ، ويستطيع الإنسان أن يقوم بأكثر من عمرة في العام الواحد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الأسرة

الزواج والمرأة



حق المرأة في الزواج

السؤال : توجد فتاة زوّجها اهلها اكراهاً لشخص دون مهر ، فما حكم الفتاة الرافضة للزواج ؛ وما حكم الأهل الذين أجبروها على الزواج ؟ .

الجواب :

لا يجوز شرعاً إرغام المرأة على التزوج بمن لا تريد الزواج منه ، لأن هذا الزواج حق لها . لا يجوز الاكراه فيه ، وقد ورد في السنة ان رجلا زوّج ابنته من شخص لم توافق عليه ، يريد بذلك أن يكسب عن طريق النسب والمصاهرة مكانة ومنزلة ، فذهبت الفتاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشكت إليه ما فعله أبوها . فأحضر الرسولّ أباها . وسأله فأقر بما فعل ، فأفهمه رسول الله عليه الصلاة والسلام أن هذا حرام . وليس من حقه أن يرغمها ، وفسخ النبي عقد الزواج ، وبهذا أبان أنه لا يجوز أن ترغم المرأة على التزوج بمن لا تريده .

ومن حق المرأة التي أرغموها على الزواج دون إرادتها أن تطالب بحقها في فسخ هذا الزواج . فإما أن يقلع الأهل عن خطئهم ، وإما أن يتدخل ولي الأمر لمنع استمرار ذلك الخطأ .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• •

العقد على الزوجة

السؤال : هل يجوز لرجل أن يمس امرأة أذن له أبوها أن يتزوجها قبل أن يعقد عليها ويدفع مهرها ؟ .

الجواب :

إن عقد الرجل عقد زواجه على المرأة شرط لجواز معاشرته لها معاشرة الأزواج للأزواج ، والله تبارك وتعالى يشير إلى ذلك في قوله في سورة النساء ، مخاطباً الرجال في شأن النساء : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » .

فإن كان المراد من كلمة « المس » الواردة في سؤال السائل هو المعاشرة الزوجية التي تكون بين الزوج وزوجته ، فإن هذه المعاشرة لا تجوز لمجرد أن والد المرأة قد أذن لهذا الرجل أن يعاشرها قبل أن يعقد عليها ، إذ لا بد من العقد الصريح الواضح ، القائم على الإيجاب والقبول ، وهذا العقد يقوم على طرفين ، أولهما طالب الزواج ، والآخر المرأة المطلوبة للزواج أو وكيلها . ويجب أن يشهد على هذا العقد شاهدان ، وتستحق المرأة مهرها المسمى ، أو مهر مثلها إذا لم يكن هناك تحديد للمهر .

ولا بد من موافقة المرأة على هذا الزواج ، ولا ينعقد عقد زواجها إلا برضاها .

وعلى الآباء أن يراعوا جلال عقد الزواج . فلا يستخفوا بشأنه ، ولا يتساهلوا في أمره ، فإن هذا العقد يترتب عليه كثير من الآثار .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج الحرة بالعبد

السؤال : **هل يجوز لمسلم حر أن يزوج ابنته لعبد لم يعتقه سيده بعد ؟ .**

الجواب :

الزواج أمر شرعه الله تعالى لإعفاف النفس ، وتحقيق التعاون على مطالب الحياة ، وإنجاب الذرية ، والله تبارك وتعالى يقول في سورة الروم : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة

ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الزواج سنتي ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

والزواج أمر يقوم في جوهره على الرضى والاختيار ، ولذلك كان لا بد فيه من الإيجاب والقبول ، ولا يجوز في الإسلام إرغام الرجل أو المرأة على الزواج عند الرفض أو كراهية الزواج . كما أن الأصل في الإنسان هو الحرية . والعبودية أمر طارىء لهذا السبب أو ذاك ، وقد جاء الإسلام ليقضي على الرق ، ويفتح أبواب الحرية في كل جهة . وفي ذلك الإسلام تحرر الملايين من العبودية ، لأن القرآن الكريم جعل عتق الرقاب أمراً مرغوباً فيه محبباً إليه ، كما جعل العتق كفارة في كثير من الأحوال .

ولكن إذا كان هناك بنت حرة تريد برضاها واختيارها وموافقتها أن تتزوج عبداً ، فإن العلماء قد ذكروا أنه يجوز لهذه المرأة الحرة أن تتزوج العبد إذا رضيت هي بذلك ورضي أولياؤها .

والله جل جلاله هو المسئول أن يبلغ بالبشرية كلها يوماً لا يكون فيه إنسان مملوكا لإنسان ، فقد قال علي رضي الله عنه : « يا بني ، لا تكن عبد غيرك . وقد جعلك الله حراً .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج المسلمة غير المسلم

السؤال : **لماذا حرم الاسلام على المرأة المسلمة ان تتزوج المسيحي ، مع انه يجوز للمسلم ان يتزوج المسيحية ؟.**

الجواب :

يقرر العلماء أنه يجوز للمسلم أن يتزوج من امرأة مسيحية إذا رضيت

بذلك ، وكانت تؤمن بعيسى والإنجيل ، وكذلك يجوز للمسلم أن يتزوج من امرأة يهودية ، إذا كانت تؤمن بموسى والتوراة ، لأن كلاً من المسيحية واليهودية تعد امرأة « كتابية » أو « من أهل الكتاب » . والكتابية هي التي تؤمن بدين إلهي .

وبقاء هذه المرأة على دينها لا يمنع حل زواجها من المسلم شرعاً .

وقد استدل العلماء على جواز هذا الزواج بقول القرآن الكريم في سورة المائدة : اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم . وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين « الآية »

واما زواج المسلمة من غير المسلم ، يهودياً كان أو مسيحياً — فهو حرام في الإسلام ، وقد رُوي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « نتزوج نساء أهل الكتاب ، ولا يتزوجون نساءنا » . وعلى الرغم مما قيل في سند هذا الخبر ، انعقد الإجماع على القول بمضمونه .

وكذلك يُروى عن عمر أنه قال : « المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصراني المسلمة » .

ولعل السر في ذلك هو أن المسلمة تؤمن باليهودية والنصرانية كما جاءتا من عند الله تعالى ، والمسلمة أيضاً تؤمن بموسى وعيسى عليهما السلام ، وأما اليهودي والمسيحي فإنهما لا يؤمنان بالإسلام ولا برسوله صلى الله عليه وسلم .

ولذلك يُخاف الخطر على دين المسلمة لو وقعت تحت قوامة غير المسلم عن طريق الزواج . لأن غير المسلم لا يحترم مبادىء الإسلام ولا يخضع لأحكامه .

كما أن الزواج فيه نوع من الولاية على الزوجة من الزوج ، والله جل جلاله يقول في سورة النساء : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » .

وكذلك يُخشى من الزوج غير المسلم أن يغرر بزوجته المسلمة ليخرجها عن دينها ، أوْ يغرر بأولادها حتى يخرجوا عن دينهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الزواج بالحامل قبل العقد

السؤال : **ما حكم امرأة حملت من زوجها قبل عقد الزواج بينهما ؟ .**

الجواب :

الزنا جريمة كبرى يحرمها الإسلام ، ولذلك يقول القرآن الكريم في سورة الإسراء : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » .

ومن المقرر شرعاً أنه لا يحل للرجل المسلم أن يتزوج امرأة زانية ، ولا يحل للمرأة المسلمة أن تتزوج برجل زان ، إلا أن يتوب كلٌ منهما توبة صادقة عن الزنا .

والله تعالى يقول في سورة النور : « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين » .

وجاء في الحديث الشريف : « الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله » . وفهم الفقهاء من هذا أنه لا يحل للرجل أن يتزوج بمن ظهر منها الزنا ، وكذلك لا يحل للمرأة أن تتزوج بمن ظهر منه الزنى ، إلا بعد التوبة .

وروي أن رجلاً سأل عبدالله بن عباس فقال : « إني كنت أُلمُّ بامرأة آتي منها ما حرَّم الله عليَّ ، فرزق الله عز وجل من ذلك توبة ، فأردت أن أتزوجها ، فقال لي أناس : إن الزاني لا ينكح إلا زانية » . فقال ابن عباس : ليس هذا في هذا ، أنكحها ، فما كان من إثم فعليَّ » .

وسئل عبدالله بن عمر عن رجل فجر بامرأة ، أيتزوجها : إن تابا أو صلحا ، والقرآن يقول في سورة الفرقان عن عباد الرحمن : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » .

وفي مذهب المالكية والحنفية والشافعية أنه يجوز للزاني أن يتزوج الزانية . والزانية يجوز لها أن تتزوج الزاني . لأن الزنى عندهم لا يمنع صحة العقد .

وذهب الإمام أحمد إلى أنه يضم إلى التوبة شرط آخر ، وهو انقضاء العدة ، وهي في الحامل وضع الولد ، فمتى تزوجها قبل التوبة أو انقضاء عدتها كان الزواج فاسداً ، ويفرق بينهما ، ومنع مالك زواجها وهي في عدتها صيانة لاختلاط النسب الصريح بنسب الزنا ، ولا حرمة لماء الزنا ، .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج المرأة وهي حامل

السؤال : هل يجوز للمسلم أن يتزوج المرأة التي حملت من زوج آخر ، وحينما تزوجها لم يكن يعلم بحملها ؟ وهل يجوز له أن ينسب المولود إليه ؟ .

الجواب :

لقد شرع الله تعالى للإنسان حقوقاً أولها ثبوت نسبه إلى أبيه ، حتى لا تختلط الأنساب ويضيع الأولاد ، كما عبّر بعض الفقهاء : يحرم على الإنسان أن يتزوج امرأة تكون زوجة لغيره لقيام الزواج بينهما حقيقة ، أو تكون قد طُلِّقت ، ولكنها لا تزال في العدة منه لبقاء الزواج بينهما حكماً ، ولكن إن

انقطعت الزوجية بينهماحقيقةوحكما.بأن مات عنها زوجها .. أو طلقها.ثم انقضت العدة . حلّ لأي رجل آخر أن يتزوجها .

والسبب في هذه الحرمة هو أن في الزواج بها وهي لا تزال في عصمة الغير لو معتدة منه ، اعتداء عليه ، كما ان فيه ايضاً اختلاط الإنساب وضياع الاولاد بين الرجلين .

وما دام الزوج الثاني يعلم أن الحمل الموجود في بطن المرأة ليس منه . فإنه يحرم عليه أن ينسب ولد غيره إلى نفسه .

وإذا وُلد الولد لستة أشهر أو أكثر من يوم العقد على الزوج الأخير . ثبت نسب الولد الى الزوج. الااذا أنكره ونفاه عن نفسه، فإذا نفاه وأنكره يحق هذه المرأة إلى « الملاعنة » التي يعقبها التفريق .

ولكن لو ولدته المرأة لأقل من ستة أشهر . لا يثبت نسبه للزوج الأخير . لأنه حينئذ يكون مما لا شك فيه أنها حملت به من رجل آخر قبل زواجها منه . وذلك لأن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

° ° °

الزواج بعد الزنى

السؤال : **هل يجوز لرجل أن يتزوج من امرأة عاش معها مدة طويلة في الزنى ، ثم نوى الزواج منها شرعاً ؟ .**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النور : « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » .

وفي مذهب الإمام أحمد حنبل رحمه الله – كما روى ابن كثير في تفسيره – أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تتوب . فإن تابت صح العقد عليها ، وإلا فلا . وكذلك لا يصح تزويج المرأة العفيفة بالرجل الفاجر الزاني حتى يتوب توبة صحيحة .

وعن شعبة أن رجلاً قال لابن عباس : إني كنت ألم بامرأة آتي منها ما حرم الله عز وجل عليَّ ، فرزق الله عز وجل من ذلك توبة ، فأردت أن أتزوجها ، فقال أناس : إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة .

فقال له ابن عباس رضي الله عنه : ليس هذا في هذا . أنكحها ، فما كان من إثم فعليَّ .

ومن هذا نفهم أن هذا الرجل إذا تاب ، وتابت هذه المرأة ، فإنه يجوز له أن يتزوجها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الوكالة في الزواج

السؤال : **بالنسبة إلى الزواج بالتوكيل ، ما هي الصيغة التي تقال في هذه الحالة ؟ . وما مصدر ذلك ؟ .**

الجواب :

جاء في كتاب « الاختيار شرح المختار » أن الزواج ركنه الإيجاب والقبول ، وينعقد بلفظين ماضيين ، كقول الطرف الأول : زوّجتك ، وقول الطرف الآخر : تزوجت أو قبلت .

أو بلفظين أحدهما ماض ، والآخر مستقبل ، كقوله : زوِّجني ، فيقول الآخر : زوّجتك .

وتجوز الوكالة في الزواج عن المرأة وعن الرجل . فيجوز أن يوكّل الرجل شخصاً ينوب عنه في عقد زواجه بالمرأة . ويجوز أن توكل المرأة شخصاً لينوب عنها في عقد زواجها بالرجل .

ويقول الوكيل عن الرجل للمرأة : زوّجي نفسك لوكيلي فلان . فتجيب المرأة قائلة : زوّجتُ نفسي لموكِّلك فلان .

ويقول الوكيل عن المرأة للرجل : زوجتك موكلتي فلانة . وهكذا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كتمان الزواج

السؤال : ما رأي الدين في كتمان عقد الزواج ، وعدم إعلانه للناس مع أنه تام الأركان ؟ .

الجواب :

الزواج سنة الإسلام ، وهدى الرسول عليه الصلاة والسلام ، والأصل في الزواج هو الإعلان والإظهار ، ولذلك يقول الحديث الشريف : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف » .

ولعل من حكمة الإسلام في مشروعية الزواج أن يشترك فيه عدد من الناس ، فيكون هذا إعلاناً عن الزواج . وكذلك من حكمة الإشهاد على الزواج بشاهدين ، أن تكون هذه الشهادة نوعاً من الإعلان عن الزواج ، لأن الزواج يترتب عليه حقوق وارتباطات قد يساء تفسيرها إذا تمّ الزواج في ظلام الكتمان والإسرار ، فيقتضي هذا أن يكون هناك إعلان عن هذه الرابطة التي تستباح بها أمور كانت محرمة من قبل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج الأختين

السؤال : **كان متزوجاً، ثم اختلف مع زوجته وطلقها، وتزوج بأختها الصغرى، ثم طلقها ، وأرادت الزوجة الأولى أن تعود إليه . فهل يجيز له الشرع أن يتزوج بها مرة أخرى ؟ .**

الجواب :

الزواج ينبغي أن يقوم على الإرادة والرغبة والتآلف والتراحم ، لأن الله تبارك وتعالى يقول في سورة الروم : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

والأصل في الزواج أن يبقى ويدوم . ولذلك كان الطلاق أمراً بغيضاً مكروهاً ، وجاء الحديث الشريف : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » . وجاء الحديث الآخر : « لعن الله كل مذواق مطلاق » . اللهم إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو إلى ذلك ، أو كان بقاء الحياة الزوجية متعذراً أو متعسراً

وهذا الرجل الذي طلق زوجته ، وتزوج بأختها الصغرى ، يجوز له ذلك شرعاً . ويؤاخذه الله جل جلاله على نيته السيئة إن كان قد ظلم الزوجة الأولى بتطليقها ، أو تطلع إلى جمال أختها الصغرى . فحقق رغبته في التمتع بهذا الجمال على حساب زوجته الأولى .

وكذلك لو طلق هذا الرجل زوجته الثانية لسبب مشروع يدعو إلى ذلك ، فإنه يجوز له أن يتزوج أختها التي طلقها إذا أرادت ذلك ووافقت عليه . والله حسيبه في نيته وإرادته بهذه العودة .

وينبغي أن نتذكر أن الرجل الذي يتعود الحلف بالباطل ، أو يكثر إيقاعه بلا ضرورة ، لا يستحق الاحترام ، ولا يتحلى بآداب الإسلام .

كما ينبغي أن نتذكر أن تعاليم الإسلام تعلمنا أن الغرض من الزواج ليس

مجرد قضاء الشهوة الطائشة ، وليس الزواج ألعوبة في أيدي العابثين به ، كما أن الطلاق ليس ألعوبة في أيديهم ، فليتقوا الله وليحسنوا تصرفهم وأعمالهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إسقاط الحمل عند المالكية

السؤال : **إذا حملت امرأة ، وبعد مرور أربعة أشهر من الحمل أسقطت هذا الحمل ، فما حكم ذلك في المذهب المالكي ؟ .**

الجواب :

إسقاط الحمل هو الذي يعبر عنه الفقهاء في الغالب بكلمة « الإجهاض » . وقد قال فقهاء المالكية إنه لا يجوز إسقاط ماء التناسل المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين يوماً ، وهذا هو المعتمد في المذهب كما في كتاب « شرح الدردير على متن خليل » ، وقيل يكره إخراجه قبل الأربعين يوماً . وإذا نُفخ فيه الروح صار إسقاطه حراماً بالإجماع .

واستحسن الإمام مالك – كما في كتاب « بداية المجتهد » – الكفارة في إسقاط الجنين ، ولم يوجبها لتردده بين العمد والخطأ . ولو جنى جان على الحمل فأسقطه – ولو كان علقة – كان عليه عُشْر الدية ، سواء أكان الإسقاط عمدا أم خطأ . وهذه الغرامة تدفع نقداً معجلاً من مال الجاني ، وذلك إذا سقط الجنين ميتاً وأمه حية .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المصافحة بين الرجل والمرأة

السؤال : ما حكم المصافحة بالأيدي بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه ؟ .

الجواب :

المصافحة بالأيدي بين الرجال والنساء الأجنبيات نوع من اللمس بين الرجل والمرأة ، وقد اختلفت آراء الأئمة في هذا الموضوع ، فمنهم من نظر إليه بعين الكراهية والتشديد فيه ، سواء أكان اللمس بشهوة أم بغير شهوة ، ومنهم من كرهه إذا كان اللمس بشهوة . ولم يكرهه إذا كان بغير شهوة ، ومنهم من أباح اللمس .

وانبنى على هذا الاختلاف موقفهم من حكم لمس المرأة الأجنبية في الوضوء، ففي مذهب المالكية أن لمس الرجل للمرأة الأجنبية عنه المشتهاة ينقض الوضوء ، إذا كان اللامس بالغاً قاصداً الشهوة ، أو لم يقصدها ولكنه وجدها وأحس بها ، وأن يكون الملموس عاري البشرة أو مستوراً بساتر خفيف رقيق .

ولكن مذهب أبي حنيفة يرى أن الوضوء لا ينتقض باللمس مطلقاً . ويمكن اختيار الأمر الوسط في هذا المجال وهو أن الوضوء ينتقض إذا لمس الرجل المرأة الأجنبية بتعمد وشهوة ، وهذا يحدث عند النية السيئة من اللامس ، كأن يتعمد لمس المرأة ليجد لذة ذلك عنده . وأما إذا كان اللمس غير مقصود ولم يرد به إثارة الشهوة فلا ينتقض ، كما يحدث عادة مع الرجال الذين تدعوهم اعمالهم الى كثرة لمس أيدي النساء ، كمعلم النساء والبنات ، وكبائع الثياب أو الأدوات النسائية . ومثل هذا يقال بالنسبة إلى الطاعن في السن الذي ضعفت شهوته أو زالت ، وبالنسبة إلى المرأة العجوز الطاعنة في السن .

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء . وقد حدث أن جاءته امرأة تبايعه ، فبايعها بلسانه وكلامه ، ولم يصافحها . وقال :

إني لا أصافح النساء . وقد يفهم من هذا الخبر أنه فعل ذلك احتياطاً وتباعداً عن الشبهة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

جريمة الزنى

السؤال : **ما حكم من عاشر امرأة كافرة ، ثم عقد عليها بعد أن رُزق بمولود منهـــا ؟ .**

الجواب :

الزنى جريمة قبحها الاسلام ، وقال عنها القرآن « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

ولا يشترط في اعتبار الزنى جريمة ان تكون المرأة مسلمة . بل هو جريمة مع أي امرأة ، حتى ولو كانت غير مسلمة ، بأن كانت من اهل الكتاب .

والولد الذي جاء من الزنى لا يعد ولدا شرعيا ، لأن العلاقة التي جاء عن طريقها علاقة غير شرعية ، بل يعد ولد زنى ، ويأخذ أحكام ولد الزنى . ومنها انه لا يثبت نسبه من أبيه ، لأن ثبوت النسب نعمة ، والجريمة لا يثبت عن طريقها نعمة .

وفي بعض المذاهب يجوز للرجل أن يتزوج ممن زنى بها .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

حكم « البروكة »

السؤال : **ما حكم لبس المرأة للبروكة على رأسها ؟ .**

الجواب :

روى البخاري عن أبي هريرة حديثا منه قوله : « لعن الله الواصلة والمستوصلة » . والواصلة هي التي تصل الشعر بغيره ، سواء أكان هذا الوصل لشعرها أم لشعر غيرها . والمستوصلة هي التي تطلب فعل ذلك .

وكذلك جاء في صحيح البخاري أن معاوية تناول وهو على المنبر قُصة من شعر (أي خصلة) كانت بيد رجل من الحرس، وقال: أين علماؤكم؟ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عن مثل هذا ويقول : إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذا نساؤهم . وفي رواية أن معاوية قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه : الزور

وقد قال ابن حجر في كتابه « فتح الباري بشرح البخاري » ان هذا الحديث حجة للجمهور في منع وصل الشعر بشيء آخر ، سواء أكان شعراً أم لا .

وجاء في صحيح مسلم عن جابر : « زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصل المرأة بشعرها شيئا » .

بل لقد جاءت امرأة إلى الرسول تشكو له المرض في رأس بنتها ، حتى تمزق شعرها ، وهي تريد أن تصله ، لأنها عروس يتعجل زوجها طلبها ، فلعن الرسول الواصلة والمستوصلة .

وأخبرت السنة بحكمة التحريم هنا ، فوصفته بأنه تغيير لخلق الله ، وفيه غش وخداع التماساً للحسن والزينة ، لا للزوج . فلو كان مثل هذا للزوج لكان مباحا ، ولكنه يحرم على المرأة بالنسبة إلى الأجانب عنها ، ولذلك رووا أن امرأة دخلت على السيدة عائشة رضي الله عنها ، وكانت شابة يعجبها

الجمال . فقالت لعائشة : المرأة تحف جبينها لزوجها ؟ . فقالت عائشة أميطي عنك الأذى ما استطعت .

ولذلك قال الإمام ابن حجر في فتح الباري : « وفصل بعضهم بين ما إذا كان ما وصل به الشعر من غير الشعر . مستوراً بعد عقده مع الشعر . بحيث يُظن إنه من الشعر . وبين ما إذا كان ظاهرا . فمنع الأول قومٌ فقط ، لما فيه من التدليس . وهو قوي . ومنهم من أجاز الوصل مطلقا . سواء أكان بشعر آخر . أو بغير شعر . إذا كان بعلم الزوج وإذنه » ثم يذكر ان الأحاديث عممت التحريم .

وقال الخطابي : « إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع . ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة استجازة غيرها من أنواع الغش . ولما فيها من تغيير الخلق . وإلى ذلك الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله « المغيرات خلق الله » . والله أعلم » .

وينبغي أن نتذكر أن شعر المرأة عورة بالنسبة إلى الأجانب عنها . « والبروكة » تستخدم عادة للزينة ولفت الأنظار ، والمسلمة مأمورة بتغطية شعرها . فكيف يتفق هذا مع كشفه والبروكة فوقه .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الكفاءة في الزواج

السؤال : ما حكم الدين في تزويج امرأة قرشية من رجل من الأعاجم ، وتزوج قرشي من بنت من بنات الأعاجم ؟ .

الجواب :

الكفاءة في الزواج يراد بها أن يكون الزوج مكافئا للزوجة . أي مساويا

لها في الكفاءة والمنزلة . ومماثلاً لها في النسب والأخلاق والمال حتى تكون هذه المماثلة – أو التقارب – عونا على استقرار الحياة الزوجية وهنائها .

وبعض الفقهاء لا يعتد بهذه الكفاءة ولا يشترطها ولا يعتبرها ، لأن أبناء الإسلام كلهم اخوة . والقرآن الكريم يقول في سورة الحجرات : « إنما المؤمنون إخوة » . ويقول في سورة التوبة : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح » .

فيجوز للمسلم – ولو كان زنجيا أو عجميا – أن يتزوج بنت الخليفة القرشي الهاشمي ما دام الرضا موجودا . والإمام ابن حزم يقول : أي مسلم – ما لم يكن زانيا – له الحق في أن يتزوج أية مسلمة ما لم تكن زانية » .

واستدل الفقهاء على هذا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة – وهو من الموالي – من زينب بنت جحش القرشية .

وهذا الرأي هو ما تميل اليه النفس ويقبله العقل ونفهمه من روح الإسلام .

وهناك جانب من الفقهاء يعتبرون الكفاءة بين الزوجين – لا من ناحية النسب والمال والحرفة – بل من ناحية التدين والأخلاق والاستقامة والصلاح . فللفقير الصالح أن يتزوج المرأة ولو كانت أغنى منه والقرآن الكريم يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . والحديث النبوي الشريف يقول : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .

والإمام علي رضي الله عنه يقول : « الناس بعضهم لبعض أكفاء عربيهم وعجميهم . قرشيهم وهاشميهم . إذا أسلموا وآمنوا » .

وهناك طائفة من الفقهاء يرون الكفاءة في التدين والأخلاق والاستقامة ، مع مراعاة أمور أخرى . مثل النسب والحرية والإسلام والصنعة والمال والسلامة من العيوب .

وينبغي أن نتذكر أن الكفاءة في الزواج – عند من يقول بها – إنما تعتبر في الزوج لا في الزوجة – ومعنى هذا أن الكفاءة عند من يلاحظها ويعتبرها إنما هي في الرجل ، أي هو الذي يشترط فيه أن يكون كفئا للمرأة ومساويا لها . ولا يشترط أن تكون المرأة كفئا للرجل ، لأن المرأة الرقيقة هي التي تتأذى أدبيا وتعيّر إذا تزوجت غير الكفء ، وأما الزوج فلا يعيّره الناس اذا كانت زوجته أقل منه منزلة ، ومن هنا لا توجد غضاضة في أن يتزوج رجل قرشي من امرأة عجمية .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

التوكيل في عقد الزواج

السؤال : **لي شقيق احبه حباً كبيراً ، فهل لي أن أوكله عني في الإشراف على عقد زواج بناتي ؟ وما حكم الشرع في ذلك ؟ .**

الجواب :

الأب هو ولي ابنته في الزواج ، فله حق تزويجها بعد مشاورتها وأخذ رأيها : وكل عقد يجوز للانسان أن يعقده بنفسه ، يجوز له أن يوكل فيه غيره ، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدور الوكيل في عقد الزواج لبعض صحابته . وعلى هذا يجوز التوكيل في عقد الزواج . ما دام الوكيل صالحا للوكالة .

وقد روى أن العباس بن عبد المطلب زوّج أخت زوجته لرسول الله عليه الصلاة والسلام . وأخت زوجته هي ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها . وكانت ميمونة قد جعلت أمر زواجها إلى اختها « أم الفضل » زوجة العباس ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة .

وكذلك يروى أن النجاشي كان وكيلا في الحبشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تزويجه أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها . فقد روت أن جارية النجاشي دخلت عليها فقالت لأم حبيبة : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أقوم بتزويجك له . ففرحت أم حبيبة وقالت للجارية : بشرك الله بالخير .

فقالت الجارية : يقول لك الملك : وكّلي من يزوجك . فوكلت أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص وكيلا عنها في عقد زواجها . ولما كان العشي اجتمع الناس وخطب النجاشي فقال : « الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ، وأشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم .

أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أصدقها أربعمائة دينار » .

وتكلم خالد بن سعيد بن العاص فقال : « الحمد لله ، أحمده وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد ، فإني قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم » . ودفع النجاشي الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها . وكان ذلك سنة ست .

ويروى أن الذي تولى العقد وكيلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم هو عمرو بن أميّة الضّمْرَي . لأن الرسول عليه الصلاة والسلام وكله في ذلك . وأما النجاشي فهو الذي قام بدفع المهر فأسندوا الزواج إليه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج أرملة العمّ

السؤال : **يريد شاب أن يتزوج بأرملة عمه الذي مات ، أيجوز هذا أم لا يجوز ؟.**

الجواب :

إن مجرد كون المرأة أرملة عم الشاب الذي يريد زواجها بعد وفاة العم وانتهاء عهدتها منه ، لا يمنع تزوجه منها . إذا لم يكن هناك شيء آخر يمنع الزواج . فإن أرملة العم ليست من المحرمات التي ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة النساء . حيث يقول سبحانه :

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما » .

وقد يشتبه هذا السؤال بالسؤال عن حكم التزوج بزوجة الأب . ولكن التزوج بزوجة الأب حرام . لقول الله تبارك وتعالى في سورة النساء : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » . والمراد بالنكاح في الآية الكريمة هو الزواج .

فلا يحل للمسلم أن يتزوج امرأة أبيه . سواء دخل بها الأب أو لم يدخل . إذ يكفي عقد العقد للتحريم . وقد أجمع الفقهاء على أنه يحرم على الرجل التزوج بزوجة أصله ولو بعيدا . دخل بها الأصل أم لم يدخل .

وبهذا يظهر الفرق بين أرملة العم وزوجة الأب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج من الكتابيات

السؤال : **ما حكم زواج المسلم بامرأة من أهل الكتاب ؟ .**

الجواب :

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى . ويباح للمسلم أن يتزوج من النساء الكتابيات ، وذلك لقول القرآن الكريم من سورة المائدة : «اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقط حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » .

ولقد روى التاريخ أن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه قد تزوج من نائلة بنت القرافصة الكلبية ، وهي نصرانية ، تزوجها على نسائه .

وكذلك تزوج طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه تزوج امرأة يهودية من يهوديات الشام .

هذا هو رأي جماعة من الفقهاء . ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكره الزواج بالكتابيات . وقد جاء في تفسير الطبري أن حذيفة تزوج يهودية ، فكتب اليه عمر يقول له : خلّ سبيلها » . فكتب اليه حذيفة يسأله : « أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها » ؟ . فقال عمر : لا أزعم أنها حرام . ولكني أخاف أن تتعاطوا المومسات منهن .

ويقول عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : إذا كانت المرأة الكتابية عدوا للمسلمين ، أو كانت موالية لأعداء المسلمين فإنه يحرم على المسلم التزوج منها . وقد يستدل على ذلك بقول الله تبارك وتعالى في سورة المجادلة : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

ويقول ابن عباس — كما يروي الطبري — : « من نساء الكتاب من

يحل لنا . ومنهم من لا يحل لنا » ثم قرأ قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية » فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ، ومن لم يعط الجزية لم يحل لنا نساؤه .

وقد روى أبو داود في مراسليه أن كعب بن رضى الله أراد أن يتزوج يهودية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له : لا تتزوجها فإنها لا تحصنك .

وقد سئل الحسن : أيتزوج الرجل (المسلم) المرأة من أهل الكتاب ؟ . قال الحسن : ما له ولأهل الكتاب وقد أكثر الله المسلمات ؟ فإن كان ولا بد فاعلا ، فليعمد إليها حصانا غير مسافحة (أي مستقيمة غير منحرفة) ،

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حق الوالدين قبل حق الأستاذ

السؤال : **هل يصح قول من يقول : إن طاعة الإنسان لأستاذه أهم من طاعة الإنسان لأمه وأبيه ؟ .**

الجواب :

لا صحة لقول من يقول إن طاعة الإنسان لأستاذه أهم من طاعة الانسان لأمه وأبيه . خصوصا إذا تساوى الوالدان مع الأستاذ في المعرفة بالحق ، والتوجيه إلى الخير ، والأمر بالطاعة والعمل الصالح ، وذلك لأن طاعة الانسان لوالديه فيما أوجب الله ، أو شرع وأباح ، فرض واجب على الإنسان ، ولا ينبغي للإنسان أن يكتفي في هذا المجال بمجرد الطاعة للوالدين . بل يجب عليه الإحسان اليهما في المعاملة . لأن القرآن الكريم جعل منزلة الوالدين بعد منزلة العبادة لله

عز وجل ، فقال في سورة الإسراء : « وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » . وقال في سورة النساء : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . ويقول في سورة لقمان : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

ولقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض صحابه . من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ فقال : أمك . قال : ثم من ؟ . قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

والإنسان يستطيع أن يستبدل أستاذا بأستاذ ، أو معلما بمعلم ، ولكنه لا يستطيع أن يستبدل أما بأم ، ولا يستطيع أن يستبدل أبا بأب .

وليس معنى هذا أن نعصى الأستاذ المعلم ، أو نهمل أوامره في الخير والبر ، فالمعلم له حرمته وكرامته وطاعته ، والقائل يقول :

قم للمعلـــم وفه التبجيـــــلا	كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أعظم أو أجل من الـــذي	يبني وينشيء أنفسا وعقولا

ولكن طاعة الوالدين – في الواجب والمشروع – مقدمة على طاعة الأستاذ والمعلم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين الرجل والمرأة

السؤال : هل تتساوى المرأة والرجل في الحقوق والواجبات في نظر الإسلام ؟ .

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في أول سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » . ومعنى هذا أن الله عز وجل خلق الرجل والمرأة من أصل واحد . وسوى بينهما في الحقوق الأساسية والواجبات الأصلية . فكل منهما يطالبه ربه بالإيمان والعبادة والعمل والاستقامة . والمرأة لها الحق في إبداء الرأي وفي التملك وفي العمل المناسب لها الذي تحتاج إليه .

وإذا كانت هناك فروق قليلة بين الرجل والمرأة اقتضتها الظروف أو تعاليم الدين للمصلحة العامة ، فليس معنى هذا أن نبخس المرأة حقا من حقوقها . والله تبارك وتعالى يقول في سورة آل عمران : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .

وقد جاء في بعض التفاسير عند تفسير هذه الآية أنها ذكرت أن الذكر والأنثى متساويان عند الله تعالى في الجزاء متى تساويا في العمل ، حتى لا يغتر الرجل بقوته ورياسته على المرأة ، فيظن انه أقرب إلى الله منها ، ولا تسيء المرأة الظن بنفسها ، فتتوهم أن جعل الرجل رئيسا عليها يقتضي أن يكون أرفع منزلة عند الله تعالى منها .

وقد بيّن الله تعالى علة هذه المساواة بقوله : « بعضكم من بعض » فالرجل مولود من المرأة ، والمرأة مولودة من الرجل ، فلا فرق بينهما في البشرية ، ولاتفاضل بينهما إلا بالأعمال ، وما تترتب عليه الأعمال ، ويترتب عليها من العلوم والأخلاق .

وسنظر إلى القرآن الكريم ، وقد جمع بين الرجل والمرأة فقال في سورة الأحزاب : « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات .

والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ».

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الطلاق والميراث



مصير الطلقة الثالثة

السؤال : **هناك رجل طلق زوجته ثلاث مرات ، وكتب لها وثيقة بذلك ، فمزقتها الزوجة ، وظلت في بيت زوجها ، ثم عاد الزوج يعاشرها معاشرة الأزواج ، فما الحكم ؟ .**

الجواب :

إذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات متفرقات ، فإنها بذلك تكون قد بانت منه بينونةً كبرى ، لا يحل لها أن تعود إلى زوجها الذي طلقها ثلاثا ، إلا إذا انتهت عدتها منه ، وتزوجت زوجا آخر زواجا شرعيا صحيحا ، ثم طلقها أو مات عنها ، وانتهت عدتها منه ، وبعد ذلك كله يمكن أن تعود الى الاول إذا وافقت على ذلك ، بعقد ومهر جديدين .

فإذا كان الرجل المذكور في السؤال قد طلّق بالفعل زوجته ثلاث تطليقات متفرقات ، وكتب لها وثيقة بذلك لتأكيد ما فعل ، فإنها تكون بذلك قد بانت منه بينونة كبرى ، لقول الله جل جلاله في سورة البقرة : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » . وذلك بعد أن قال في السورة نفسها : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

ولا يعد تمزيقها الوثيقة إلغاءاً للطلاق الذي صدر ووقع ، وكذلك لا يعد بقاؤها بعد ذلك في بيت الزوجية إلغاءً لما حدث . ولو عاد الزوج إلى معاشرة مطلقته ثلاثا معاشرة جنسية ، دون تحقق الشروط المذكورة ، فإن هذه العلاقة تكون علاقة غير شرعية ويجب التفريق بينهما .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

هل يرث ولد الزنى ؟

السؤال : **أيجوز لولد الزنى أن يرث أم لا ، في المذهب المالكي ؟ .**

الجواب :

ولد الزنى هو الولد الذي تأتي به أمه نتيجة ارتكابها الفاحشة ، وهو ثابت النسب من أمه ، لأن صلته بها حقيقة مادية لا شك فيها ، وأما نسبه إلى الزاني فلا يثبت عند جمهور الفقهاء ، ولو أقر ببنوته له من الزنى ، لأن النسب نعمة ، فلا تترتب النعمة على الجريمة ،وإنما تترتب عليها العقوبة والنقمة .

ويقول بعض العلماء : ولد الزنى هو المولود من غير نكاح شرعي ، فإن اعترف رجل ببنوته ، دون أن يعترف انه من الزنى ، وكان يولد مثلُه لمثله ، ثبت نسبه منه ، وأصبح ابنا له كسائر أبنائه من الزواج الشرعي . وأما إذا لم يقرّ به أحد ، أو أقرّ به شخص وقال إنه من الزنى فإنه لا يثبت له نسبُه في هذه الحالة ، ولا يجرى توارث بينه وبين ذلك الأب الذي أقرّ به وقال إنه من الزنى ، ولا بينه وبين أقارب هذا الرجل ، ويسمى في هذه الحالة ولد الزنى . ويلحق بأمه فيرثها ويرث أقاربها وترثه أقاربه ، سواء أكانوا أصحاب فروض أم ذوي أرحام ، إلا أنه لا ميراث لذوي الأرحام إلا إذا انعدم أصحاب الفروض النسبية .

ويقول فقيه آخر : إذا انتفى النسب فقد زال سبب الميراث ، فلا يرث ولد الزنى اباه ، ولا يرثه أبوه ، ولكن صلته بأمه ثابتة لا مجال للشك فيها ، ولذلك يثبت نسبه منها ، ويثبت التوارث بينه وبينها .

وفي مذهب الإمام مالك أن ولد الزنى يرث أمه وقرابتها ، وترثه أمه وقرابتها ، ولا يرث غير هؤلاء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

لا ميراث لابن الزنى

السؤال : هناك امرأة ولدت ولداً لرجل عقد عقد زواج بينهما ، وكان لذلك الرجل أولاد من زوجة أخرى ولدوا في زواج شرعي ، فهل يشارك ولد الزنى أولاد الرجل الشرعيين في الميراث ؟ .

الجواب :

يقرر الفقهاء أن نسبة ولد الزنى إلى أبيه نسبة غير محترمة وغير معتبرة ، والعقد الصحيح هو السبب في ثبوت نسب الولد ، والميراث سببه ثبوت النسب ، وقد جاء في المجلد الثاني من كتاب « يسألونك » أن ولد الزنى يكون غير ثابت النسب ممن كان السبب فيه — وهو الزاني — ولو كان معروفا ومقرا بأن الحمل كان منه . لأن الولد جاء ثمرة خبيثة للزنى ، والميراث نعمة . إذ هو مال يسوقه الله تعالى إلى الوارث بغير تعب أو مجهود ، ولا يقبل عاقل أن تكون الجريمة سببا للنعمة . وعلى هذا لا يكون هناك ميراث بين الرجل الزاني وولده من الزنى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *



أحكام الميت

وَمَا يتعلق بالدار الآخِرَة



تلقين الميت

السؤال : اختلف العلماء في حكم تلقين الميت ، فمنهم من رأى أنه واجب ، ومنهم من رأى أنه سنة ، فنرجو التوضيح .

الجواب :

ورد في أكثر من حديث أن الله جل جلاله يحيي الميت في قبره حياة برزخية خاصة ، يستطيع معها الميت أن يسمع ويفهم ويجيب ، وقد روى أبو داود والحاكم عن عثمان رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه (أي على قبره) فقال : استغفروا لأخيكم ، واسألوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يُسأل .

وتلقين الميت ليس فرضاً وليس سنة ، وإنما هو مستحب عند جماعة من أصحاب الإمام الشافعي ، والإمام أحمد . وهو مكروه عند جماعة من أصحاب الإمام مالك . وقد رُوي أن بعض الصحابة فعل التلقين وأمر به ، ولم يفعله بعض آخر ، وقال العلماء إن التلقين ينفع الميت ، وإذا فعله الناس فلا بأس به .

وذكر بعض العلماء أنه يندب تلقين الميت الجواب عقب الدفن ، فعن أبي أمامة قال : إذا أنا متُّ فاصنعوا بي كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إذا مات أحدكم من إخوانكم فسويتم التراب على قبره ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم ليقل :

يا فلان بن فلانة ؛ فإنه يسمعه ولا يجيب ؛ ثم يقول : يا فلان بن فلانة . فإنه يستوي قاعداً ، ثم يقول يا فلان بن فلانه ، فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ؛ ولكن لا تشعرون .

فليقل : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن

محمداً عبده ورسوله ؛ وأنك رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد بيد صاحبه ، ويقول : انطلق بنا ، ما يُقْعدنا عند من لُقِّنَ حجته ؟ .

فقال رجل : يا رسول الله ، فإن لم يعرف أمه ؟ . قال : ينسبه إلى أمه حواء : يا فلان بن حواء . (رواه الطبراني) وقال الحافظ إسناده صالح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صلاة الجنازة على تارك الصلاة

السؤال : **هل تجوز صلاة الجنازة على الميت المسلم ، مع أنه كان لا يصلي في حياته ، وإن كان ينطق بالشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؟.**

الجواب :

لا خلاف في أن شرط صلاة الجنازة على الميت هو أن يكون الميت مسلماً ، إذ تحرم الصلاة على الكافر ، لقول القرآن الكريم في سورة التوبة : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً » وهو يعني المنافقين .

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بمشاقص (جمع مشقص كمنبر وهو النصل العريض ، فلم يصل عليه » . ومن هنا قال جماعة أنه لا يُصلّى على قاتل نفسه (أي المنتحر) ، ومثله قاطع الطريق ، والباغي ، والمحارب ، والفاسق ؛ وهذا قول عمر بن عبد العزيز والأوزاعي وأحمد . وقال الإمام أحمد : « ما نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الصلاة على أحد إلا على الغالّ وقاتل نفسه » والغالُّ : هو الذي يخون في الغنيمة ويسرق منها قبل قسمتهـــا .

ولكن جمهور الفقهاء والأئمة الثلاثة يرون أنه يُصَلّى على قاتل نفسه . ويقولون : إن امتناع النبي عن الصلاة على قاتل نفسه - كما جاء في الحديث السابق - لا يراد منه تحريم الصلاة عليه بتاتاً ، بل إنما أراد الرسول ألا يصلي هو عليه بنفسه ، وهناك رواية لهذا الحديث تدل على ذلك ، فهو يقول : «أما أنا فلا أصلي عليه» . وكأن المراد من ذلك هو التحذير والزجر عن مثل هذا العمل الشنيع ، وهو الانتحار .

ثم يأتي تارك الصلاة مع أنه مسلم ينطق بالشهادتين :

هناك أحاديث تدل في ظاهرها على أن تارك الصلاة عمداً كافر ، مثل الحديث الصحيح القائل : «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» . وكقوله : «العهد بيننا وبينهم (المنافقين) الصلاة ، فمن تركها فقد كفر» .

قال العلماء : ظاهر هذه النصوص أن من ترك الصلاة فهو كافر ؛ وهذا بإجماع المسلمين إذا تركها جاحداً لها ، أي لا يقر ولا يعتقد بوجوب الصلاة عليه ، مع أن هذا شيء معلوم من الدين بالضرورة .

وإن ترك المسلم الصلاة كسلاً ، وهو معتقد لوجوبها - كما هو حال كثير من الناس - فإنه لا يكفر عند جمهور الفقهاء ، بل هو فاسق يستتاب ، فإن تاب فأمره إلى الله ، وإن أبى التوبة أقيم عليه حد القتل والله يقول : «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» . وبعض الفقهاء يرى أن تارك الصلاة كسلاً لا يكفر ولا يقتل ، بل يعزّر ويحبس حتى يصلي .

ومعنى هذا أنه مسلم تقام عليه صلاة الجنازة وأمره إلى ربه عز شأنه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الثواب الذي يصل الميت

السؤال : **ما حكم الدين في عقد جلسة التهليل للدعاء للميت ؟ وما حكم قراءة القرآن على الميت ، وهل يصل ثواب ذلك إلى الميت ؟ وهل يجب تكليف أهل الميت بإعداد ما لا يطيقون من طعام وشراب ؟ .**

الجواب :

الدعاء أمر مشروع ومحبوب ، للميت وللحي ، وقرر كثير من العلماء أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت وإلى الحي ، إذ دعا القارىء وسأل ربه أن يهب ثواب قراءته لهذا الحي أو ذاك الميت ، وهذا مبني على أنه دعاء ؛ والدعاء مشروع ، والله تعالى يقول : « ادعوني أستجب لكم » ؛ على أن تكون القراءة المهداة تطوعاً من غير أجر أو مقابل .

وقد ذكر بعض الفقهاء أن الميت ينتفع بسائر القربات ؛ ومن أفضل هذه القربات قراءة القرآن ، وقال الإمام ابن تيمية : إن الميت ينتفع بجميع العبادات البدنية ، كالصلاة والصوم وقراءة القرآن ، كما ينتفع بالعبادات المالية كالصدقة كما ينتفع بالدعاء والاستغفار .

وقد جاء في الحديث : « أقرءوا سورة يس على موتاكم » وفي إسناد هذا الحديث كلام .

كما جاء في الحديث قوله : « إذا صليتم على الميت (يعني صلاة الجنازة) فأخلصوا له الدعاء ، ومعنى هذا أن الدعاء ينفعه ، ولولا ذلك لما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام .

وقال الفقهاء : لو تصدق إنسان بطعام عن ميت ، لوصل ثواب هذه الصدقة إلى الميت تفضلاً من الله سبحانه ، وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أمي ماتت ، أينفعها إن تصدقت لها ؟ . أجاب النبي صلوات الله وسلامه عليه : نعم .

قال الرجل السائل : فإن لي بستاناً ، فإني أشهدك أني تصدقت به عليها .

هذا ، ولكن ما تعوده كثير من الناس من عادة الأخمسة وذكرى الأربعين والذكرى السنوية واستئجار أناس لقراءة الصمدية أو لقراءة شيء من القرآن ، أمر لم يكن معروفاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يعده كثير من الفقهاء ضمن البدع التي تعودها الناس .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

قراءة القرآن للميت وفي المقبرة

السؤال : **ما حكم قراءة القرآن الكريم من أجل الميت وفي المقبرة ؟ .**

الجواب :

قرر كثير من العلماء أنه تجوز قراءة القرآن الكريم بنية وصول الثواب إلى الميت . إذا سأل القارىء من ربه تعالى ذلك . وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقرأوا يس على موتاكم » .

وقال بعض البصراء من العلماء : إن قراءة القرآن ، وإهداءها إلى الميت تطوعاً غير أجر ، يصل ثوابها إلى الميت كما يصل ثواب الصوم والحج ، وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مرّ على المقابر ، وقرأ « قل هو الله أحد » إحدى عشرة مرة ، ثم وهب أجرها للأموات ، أعطي من الأجر بعدد الأموات » .

وأما ما ورد في الحديث ، وهو : « لا يصوم أحد عن أحد ، ولا يصلي أحد عن أحد » فإنما هو — كما ذكر الإمام الكاساني — في حق الخروج عن العهدة — أي سقوط الفريضة — لا في حق الثواب — فإن من صام أو صلى أو تصدق ، وجعل ثوابه لغيره من الأموات أو الأحياء جاز . وعليه عمل المسلمين من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا من زيارة القبور ، وقراءة

القرآن عندها ، والتلقين والصدقات والصوم والصلاة ، وجعل ثوابها للأموات .

ولا مانع من ذلك عقلاً ، لأن إعطاء الثواب من الله إفضال منه ، لا استحقاق عليه ، فله أن يتفضل على من عمل لأجله بجعل الثواب له ، كما له أن يتفضل بإعطاء الثواب من غير عمل رأساً .

ولقد سئل أحد الأئمة عن ختم القرآن في المقابر . فقال : الثواب للقارىء ، ويكون للميت كالحاضرين ترجى له الرحمة والبركة ، وتستجب قراءة القرآن في المقابر لهذا المعنى ، والدعاء عقب قراءة القرآن أقرب إلى الإجابة والدعاء ينفع الميت ، فاستحباب قراءة القرآن في المقبرة لأمرين : الأول : برجاء حصول البركة للميت ببركة القرآن ، والثاني : رجاء قبول الدعاء من القارىء له لأن الدعاء بعد قراءة القرآن إلى الإجابة .

وجاء في كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » : ما يلي :

« زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة ، وتتأكد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها . وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت ، فإن ذلك ينفع الميت على الأصح ، ومما ورد أن يقول الزائد عند رؤية القبور : « اللهم رب الأرواح الباقية ، والأجسام البالية ، والشعور المنحرقة ، والجلود المتقطعة ، والعظام النخرة ، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أنزل عليها روحاً منك وسلاماً مني » .

ومما ورد ايضاً ان يقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، انتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القرآن والتفسير

نزول القرآن

السؤال : كيف بدأ نزول القرآن ؟

الجواب :

إن أعظم حدث وقع في رمضان العظيم ، بل في تاريخ الإنسانية الطويل هو نزول القرآن المجيد . في يوم الإثنين السابع عشر — أو الرابع والعشرين — عن شهر رمضان ، من السنة الثالثة عشرة قبل هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، بدأ نزول الوحي على رسول الله .

لقد حبب الله إلى رسوله الخلاء والتعبد في غار حراء بجوار مكة ، بعيداً عن الناس ، ليتأمل ويتدبر ويتعبد على طريق « الحنيفية » دين جده إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

وذات ليلة هي خير الليالي في تاريخ البشرية بلا ريب ، كان الرسول في الغار ، والسكون سائد ، وفجأة غمر النور الساطع أركان الغار ، وأقبل سفير الرحمن جبريل على الرسول يقول له : إقرأ . فيجيب الرسول في دهشة : ما أنا بقارىء (أي لا أحسن القراءة ، أو لعله استفهام عما يقرأه) .

فأخذ جبريل النبيّ ، وضغط عليه تنبيهاً وتدريباً له على تحمل أعباء النبوة ، حتى أحس النبي بالتعب . وأرسله جبريل وقال له مرة ثانية : إقرأ ، فكان جواب النبي كما سبق : ما أنا بقارىء ، ففعل به جبريل ما فعل في المرة السابقة من أخذ وضغط ، ثم تكرر ذلك مرة ثالثة » .

ثم قال له جبريل : « إقرأ بسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم ، الذي علّم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

فكانت هذه الآيات أول ما نزل من كلام الله العزيز المجيد ، وفاز

بهذه المكرمة العظمى شهر رمضان . ولا شك أن نزول القرآن كان أعظم منة أهداها الخلاق الوهاب إلى عباده ، وكان أجل حدث وقع في تاريخ الإنسانية ، ولعل الله تبارك وتعالى قد أشار إلى جلال هذا الحدث حين قال في سورة الحشر : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

وكذلك قال في سورة الإسراء : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً عظيماً » .

من أجل ذلك ومثله استحق رمضان أن يسمى « شهر القرآن » .

* * *

مكانة القرآن الكريم

السؤال : **عندنا في « سيراليون » يقوم الشيخ بتفسير آيات القرآن الكريم ، ويكون عادة المستمع إليه لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكنه يستمع فقط إلى التفسير ، ويقولون إن هذا المستمع يكون ثوابه أكثر من الشيخ . فهل هذا صحيح ؟ .**

الجواب :

القرآن هو كلام الله المجيد ، وقد أنزله الله تعالى لتلاوته وتدبره وتطبيقه والالتزام به لأن الله سبحانه يقول : « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » سورة الإسراء . والواجب على المسلمين أن يرتبطوا بهذا القرآن تعلماً وتعليماً ، وحفظاً وفهماً ، ونشراً وتبليغاً ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » ويقول : القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم » .

ومن كان يستطيع القراءة ينبغي له أن يقرأ القرآن ، فله بكل حرف من حروف القرآن حسنة ، ومن كان قادراً على التلاوة حفظاً فليرتل ، ومن كان عاجزاً عن القراءة أو الحفظ كان عليه أن يسمع بخشوع وتدبر . وهكذا لا يدخر المسلم وسعاً في العكوف على مائدة القرآن قدر طاقته واستطاعته ، ومن لم يكن متعلماً القراءة والكتابة ، واستطاع بأي طريق أن يتعلم فليتعلم .

والشيخ الذي يقوم بإسماع العامة كلام الله ، ويفسره لهم بعلم وإخلاص له ثوابه العظيم عند الله ، وفي السنة المطهرة : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » .

ولا يليق بنا أن نشغل أنفسنا بالمقارنة بين من يُسْمِعنا تفسير القرآن ، ومن يستمع إلى هذا التفسير ، إن كل واحد منهما له ثوابه وجزاؤه عند الله تبارك وتعالى بقدر ما يبذل من مجهود ، وما ينطوي عليه من إخلاص .

والله المسئول أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حول جمع القرآن الكريم

السؤال : **هل الآيات القرآنية التي كتبها زيد بن ثابت في عهد الخليفة أبي بكر كانت صحيحة وصادقة ؟ .**

الجواب :

هذا سؤال غريب ، إذ لا يليق بمسلم ولا يجوز له أن يترك الشك ليتسرب إلى نفسه فيما يتعلق باعتقاد أن جمع القرآن المجيد في مصحف ، كان على ادق ما يكون من العناية والصحة والصدق ، ولا يجوز لمسلم ان يشك في امانة الصحابي الجليل زيد بن ثابت كاتب رسول الله عليه الصلاة والسلام .

إنه أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري ، كاتب الوحي ، وكاتب المصحف ، والعالم بالفرائض والمواريث ، وقد تطلعت عينه إلى الجهاد في سبيل الله وهو فتى صغير ، ولكن النبي صلوات الله وسلامه عليه قد استصغره في غزوة بدر فردّه ، ثم شهد غزوة أحد ، وغزوة الخندق ، وما بعدها من المشاهد ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان في غزوة تبوك يحمل راية بني النجار ، أعطاها الرسول له وقدّمه على غيره قائلاً : « القرآن مقدّم » . وكان زيد يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه ، وكان أيضاً يكتب له المراسلات الى الناس . كما كان يكتب للخليفتين ابي بكر وعمر في خلافتهما رضوان الله عليهما .

وكان عمر يستخلفه إذا خرج إلى الحج ، وكذلك كان يفعل عثمان رضي الله عنه .

وكان زيد رضي الله عنه من الراسخين في العلم ، وكان أحد ثلاثة تولوا جمع القرآن في مصحف واحد ، بأمر من الخليفتين : أبي بكر وعمر .

ولما مات زيد سنة خمس وخمسين للهجرة ، قال عن موته عبدالله بن عباس رضي الله عنه : « هذا ذهاب العلم ، دُفن اليوم علم كثير » .

ونعلم من التاريخ الإسلامي أنه لما وقعت معركة « اليمامة » العصيبة ، نال فيها الشهادة نحو أربعمائة وخمسين من الصحابة ، كانوا من حفظة القرآن ، فخاف عمر بن الخطاب أن يموت حفاظ القرآن تباعاً ، فيذهب بسبب ذلك شيء من القرآن ، فذهب عمر إلى الخليفة أبي بكر ، وحاوره في ذلك الأمر ، وقال له فيما قال : إني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقال أبو بكر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يحاور أبا بكر حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك . فاستدعى أبو بكر زيد بن ثابت ، وقال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك . وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبّع القرآن واجمعه ، يقول زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ

مما أمرني به من جمع القرآن : قلتُ : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر .

فكيف يتصور إنسان بعد هذا أن يأتي زيد بشيء غير صحيح وغير صـــادق ؟ .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

قراءة المرأة القرآن

السؤال : ما حكم الدين في قراءة المرأة القرآن الكريم ؟ .

الجواب :

إن كانت المرأة تقرأ القرآن الكريم لنفسها بصوت منخفض لا يسمعه غيرها ، فإن ذلك جائز ، وكذلك إذا كانت تقرأ بصوت مرتفع ، وليس هناك شخص أجنبي يستمع إليها ، وصوت المرأة ليس بعورة على المعتمد ، لأن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كنّ يكلمن الصحابة رضوان الله عليهم ، وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين ، ولكن يحرم سماع صوت المرأة إذا خيفت الفتنة ، ولو بتلاوة القرآن الكريم .

وقد ذكر الفقهاء أن أذان المرأة يمتنع أن ترتب عليه إثارة شهوة عند من يسمع صوتها . كما قال الفقهاء إن المرأة لا ترفع صوتها في الصلاة ، بحيث يسمعها غيرها ، وجهرها في الصلاة له مرتبة واحدة هي إسماع نفسها فقط . وقالوا : لا بأس بجهرها إن لم يسمعها أجنبي ، فإن سمعها أجنبي مُنعت من الجهر .

وحينما سوى بعض الفقهاء بين الرجل والمرأة في حكم الجهر بالقراءة

في الصلاة ، اشترطوا في هذا ألا يكون في صوبها نغمة أو لين أو تمطيط يترتب عليه ثوران الشهوة عند من يسمعها من الرجال ، فإن كان صوتها بهذه الحالة كان عورة ، ويكون جهرها بالقراءة على هذا الوجه مفسداً للصلاة ، ومن هنا منعها الفقهاء من القيام بالأذان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

معنى الشكر

السؤال : ما معنى قول الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ؟ وهل يكفي الشكر باللسان ؟ .

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة إبراهيم : « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

ومعنى « تأذن ربكم » أي أعلمكم وأخبركم بوعده الكريم ، أو أقسم بعزته وجلاله وكبريائه : لئن شكرتم النعم ، وقدرتم فضل الله عليكم ، وحمدتموه على آلائه وخيراته ، ليزيدن لكم هذه النعم ، وليضاعفن ذلك الفضل عليكم .

ولئن كفرتم النعمة وجحدتموها ليكونن عذاب الله شديداً عليكم ، حيث يسلب النعمة ويعاقب على كفرانها وجحودها .

وقد جاء في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » أي يرتكبه ويفعله . وقيل إن رسول الله عليه الصلاة والسلام مرّ عليه سائل يسأل ، فلم يجد الرسول معه إلا تمرة ، فأعطاها الرجلَ . فأعرض عنها مستخفاً بها ، ومرّ سائل آخر ، فأعطاه تمرة ، فقبلها

فشكر عليها : وقال معتزاً بها متباركاً : « تمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم » فأرسل الرسول وأحضر له أربعين درهماً .

والشكر أقسام : شكر قلبي . وشكر لساني ، وشكر عملي . فشكر القلب هو الاعتقاد والايمان بفضل الله سبحانه . والاعتراف الداخلي بنعمه وآلائه . وشكر اللسان هو ترديد الكلمات المعبرة عن الاعتراف بالنعمة وقد قال القائل جُعل الكلام على الفؤاد دليلاً ». وشكر العمل هو حسن استعمال النعمة . والشكر عليها عملياً بالطاعة ، والعبادة ، والإنفاق لوجه الله تعالى .

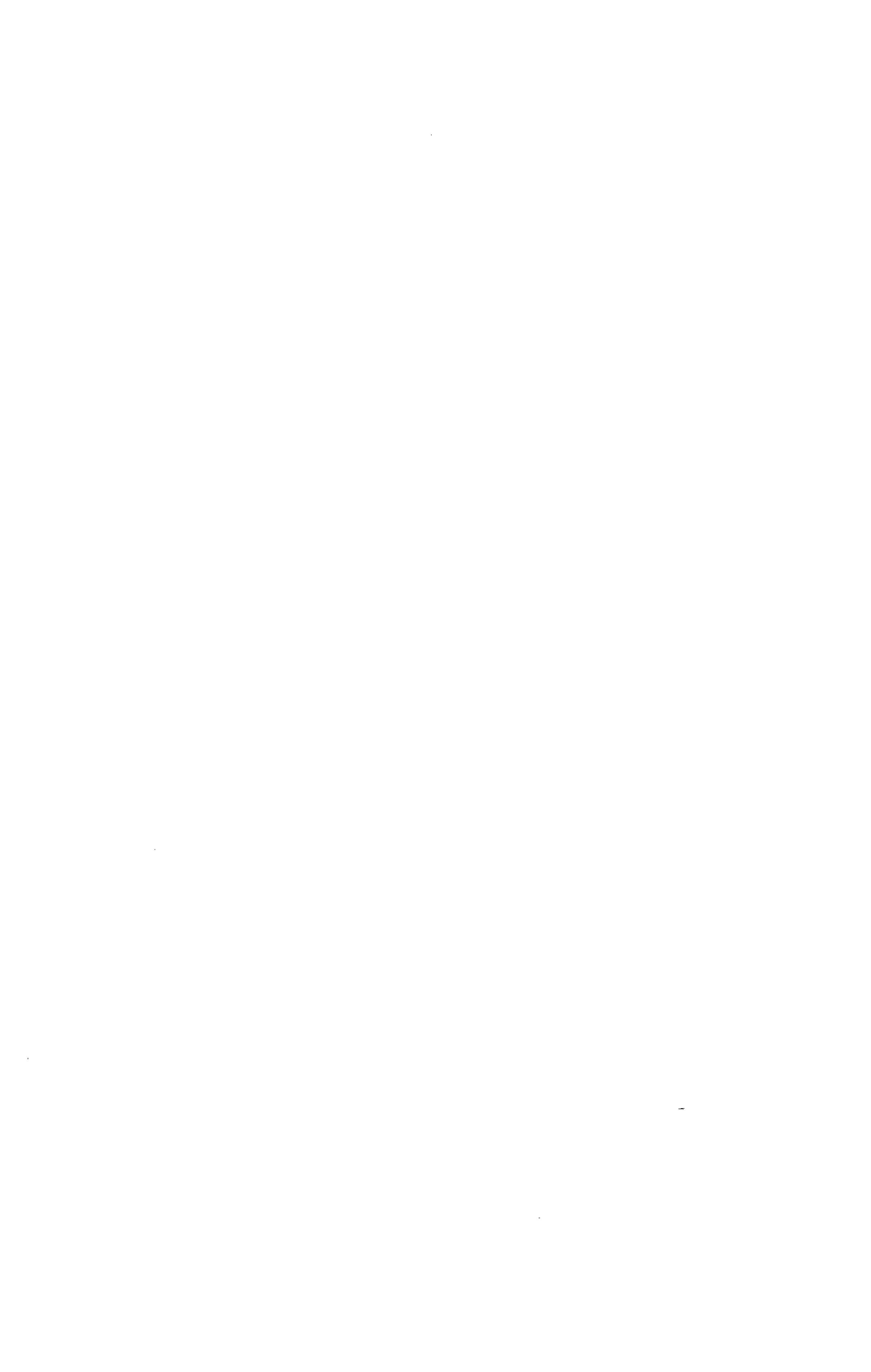
وإذا كانت هذه الأنواع كلها واجبة ومطلوبة ، فلا شك أن الشكر العملي هو جوهرها وعمادها . لأن العمل بالطاعة ينشأ عن إيمان القلب ، والألفاظ عنوان ظاهري على الاعتقاد الداخلي .

ولو اقتصر الإنسان على مجرد التلفظ بكلمات تدل على الشكر ، دون وعي لها أو تأثر بها ، لما كان ذلك كافياً .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

شخصيّات ومَذاهِب



السيدة خديجة

السؤال : أريد أن أعرف ترجمة مختصرة للسيدة خديجة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم .

الجواب :

تعد السيدة خديجة بنت خويلد من أعلام شهر رمضان ، فلها به صلة وارتباط ، حيث أنها لقيت ربها في العاشر من رمضان قبل هجرة النبي إلى المدينة بنحو ثلاث سنوات .

وهي أم المؤمنين الصدّيقة ، أول من آمن بالإسلام ، وصدّق النبي من أهل الدنيا على الإطلاق ، لم يسبقها إلى ذلك أحد ، ويا له من سبق كريم وشرف عظيم ، وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، لم يتزوج غيرها في حياتها ، وهي التي وفت لرسول الله كل الوفاء ، ورعته أفضل رعاية ، وأخلصت له في كل الأحوال ، وكانت وزيرة صدق له عليه الصلاة والسلام .

وكانت نبيلة في أصلها ومنبتها، فكانوا يسمونها قبل البعثة « الطاهرة » ويسمونها كذلك « سيدة نساء قريش » ، وقد أدركت بفطرتها وصفاء نفسها أن الله يعد رسوله « محمداً » لشأن عظيم ، فأقبلت إليه وعرضت نفسها عليه ، لا تطلعاً إلى شهوة ، ولا رغبة في متاع ، ولكنها أرسلت إليه من تعرض زواجها منه تطلعاً منها إلى أن يجعلها الله صاحبة الصلة بهذا النبي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه .

وحينما فرض الله تعالى على نبيه الصلاة في صدر الإسلام ظلت خديجة تصلي مع النبي ومعهما علي ، حيناً من الزمان سراً وفي استخفاء . وشاء الله أن

يكرمها بأن تكون ذرية النبي كلها – إلا إبراهيم – منها ، فرزقه الله جل جلاله من خديجة بأولاده : القاسم ، وعبدالله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ومن فضل الله على خديجة أن جعل ابنتها فاطمة الزهراء سبباً لبقاء نسل النبي خلال عصور التاريخ .

وامتدت عشرة خديجة للنبي عليه الصلاة والسلام قرابة ربع قرن ، ومع طول هذه المدة ظلت خديجة على شرعة الوفاء الكامل للرسول ، وقابلها وفاء بوفاء ، وإخلاصاً بإخلاص ، وظل يذكرها على الدوام بعد وفاتها ، وحينما توفيت رضي الله عنها في رمضان قبل الهجرة بقليل سمى العام الذي توفيت فيه « عام الحزن » لأنه فقد فيه خديجة زوجته وأبا طالب عمه .

رضوان الله تبارك وتعالى على خديجة أم المؤمنين .

• • •

السيدة عائشة

السؤال : **أود أن أعرف تاريخاً مختصراً للسيدة عائشة زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام .**

الجواب :

إن السيدة عائشة ، وهي الصديقة بنت الصدّيق رضوان الله عليهما ، تعد من أعلام شهر رمضان المبارك ، لأنها لقيت ربها في ليلة الثلاثاء السابع عشر من هذا الشهر سنة ثمان وخمسين من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي أم المؤمنين المبرّأة من فوق سبع سماوات بشهادة القرآن الكريم ، وهي البكر الوحيدة التي تزوجها النبي ، وأحبُّ نسائه إليه بعد أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها .

ولقد سأل بعض الصحابة النبي فقال : من أحب الناس إليك يا رسول الله ؟

فأجاب النبي قائلاً : عائشة .

فعاد الصحابي يسأل : إنما أريد من الر . . . .

فأجاب النبي قائلاً : أبوها .

وكانت السيدة عائشة تفضل رضا الله ورضا رسوله على متاع الحياة وزخرف الدنيا ، ويروى في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوماً ، وقال لها : إني سأعرض عليك أمراً ، فلا عليك أن لا تعجلي به حتى تشاوري أبويكِ .

فقالت : وما هذا الأمر يا رسول الله ؟ .

فتلا عليها قول الله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » .

فأجابت السيدة عائشة : في أى ذلك تأمرني أن أشاور أبويّ ؟ بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة ؛ فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأعجبه .

وبعد ستة وستين عاماً قضتها الصديقة بنت الصديق في هذه الحياة ، لبت نداء ربها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين ، ودفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر ، في مقبرة البقيع ، كما أوصت بذلك ، رضوان الله تبارك وتعالى عليها .

* * *

سيدنا علي

السؤال : **أرجو أن تذكروا مختصراً لترجمة الإمام علي كرم الله وجهه .**

الجواب :

يقص علينا التاريخ أنه في اليوم السابع عشر من شهر رمضان . من

السنة الأربعين للهجرة : نال نعمة الشهادة في سبيل الله أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، ومن خلال هذه الذكرى لهذا اليوم المشهود تبدو لنا صورة بطل قل مثيله بين الأبطال ، وفدائي عز نظيره بين أهل الفداء .

ولا عجب فهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وربيبه وتلميذه . وصهره على ابنته البتول الطاهرة فاطمة الزهراء ، وصانه ربه عن السجود للأصنام ، واشتهر ذلك عنه فاستحق أن يقال له : « كرم الله وجهه » . وفتح عينيه حين شب على نور الإسلام ، فكان أول الناس إسلاماً بعد خديجة . رضي الله عنها ، ونشأ صاحب فروسية ونخوة ، وتجلى ذلك في الموقف البطولي الجليل ، حينما فدى بنفسه رسول الله ، فنام ليلة الهجرة في فراشه ، والمشركون يطلبون دم الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثم شهد الغزوات مع رسول الله ، فكان له في هذه الغزوات آثار مشهودة ومواقف مجيدة .

وظل علي رضي الله عنه يحيا حياة الشهداء ، وأعد نفسه ليلقى ربه لقاء الشهداء ، بعد أن دخل في الإسلام فتى مقداماً كما يدخل الشهداء ، وجاهد في سبيل ربه كما يجاهد الشهداء ، وكان يتكلم كما يتكلم الشهداء ، الذين يؤثرون ما عند الله على ما عند الناس ، فكان يقول : « والله ما أبالي : أوقعت على الموت أم وقع الموت عليّ » . ويقول عن سيفه : « والذى فلق الحبة ، لطالما كشفت بسيفي الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكان الإمام علي حريصاً على أن يدفع بالمؤمن إلى استخدام ما يملكه فيما يرضي ربه ، بعد أن يناله بطريق شريف طهور يرضى به أيضاً ، وإلا انقلب عليه ما له حسرات . كان يقول :

« إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة

الله . فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه . فدخل الجنة . ودخل الأول به النار » .

رضوان الله عز وجل على علي إمام الشهداء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

السيدة نفيسة بنت الحسن

السؤال : **من هي السيدة نفيسة بنت الحسن رضي الله عنها ؟ .**

الجواب :

هي التقية الصالحة . العابدة الزاهدة . العالمة بالتفسير والحديث : السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية ، من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وُلدت بمكة سنة خمس وأربعين ومئة للهجرة . ونشأت نشأة طيبة طاهرة في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . ثم تزوجت إسحاق المؤتمن وهو ابن الإمام جعفر الصادق . وانتقلت إلى القاهرة . فبقيت فيها حتى توفيت بها سنة ثمان ومائتين للهجرة ، ولها مشهد معروف بالقاهرة .

ويروي التاريخ أنها حجت ثلاثين مرة رضوان الله عليها . وكانت تحفظ القرآن مع أنها كانت أمية . وكان العلماء يزورونها ويسمعون عنها ويأخذون عنها ، لأنها سمعت الكثير من الحديث ، وممن سمع عنها الامام الشافعي ، ويروى ان الشافعي حينما نزل مصر وجد عناية به من السيدة نفيسة .واحسنت إليه ، وكان يصلي بها أحياناً في شهر رمضان . ولما مات الشافعي أدخلت السيدة نفيسة جنازته في دارها وصلت عليه .

وكانت السيدة نفيسة ذات مال ، فأحسنت إلى الناس ، وعُنيت بالمرضى

والمحتاجين . وكانت كثيرة الخير ، يدعوها إلى الإحسان ما سيطر عليها من تعبد وزهد .

ويروي المؤرخ القضاعي أن السيدة نفيسة حفرت قبرها في مكان مشهدها المدفونة فيه ، ولم يختلف في ذلك أحد من أهل التاريخ المشهورين . وكانت وفاتها في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين من الهجرة رضوان الله عليها .

ويذكر ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » أن أهل مصر يتوسعون في الاعتقاد بشأنها كثيراً . ثم يقول : « والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

عمرو بن العاص

أرجو أن تذكروا لمحة مختصرة عن حياة عمرو بن العاص .

الجواب :

بينما كان المسلمون يختتمون شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وأربعين للهجرة ، كان القائد الفاتح الكبير عمرو بن العاص يعالج سكرات الموت . ليلحق بربه ليلة عيد الفطر من السنة المذكورة ، وإن نسينا من حياة هذا البطل أشياء وأشياء فلن نستطيع أن ننسى أنه فاتح مصر كنانة الله في أرضه .

وحينما نقف أمام هذه الشخصية متأملين دارسين ندرك أننا أمام رجل قد توافرت له عوامل كثيرة ، جعلته قائداً ناجحاً ، ومحارباً منتصراً . لقد كان يحارب عن إيمان وعقيدة بعد أن شرح الله صدره للإسلام . ودخله عن اقتناع وثيق . وكان يثق بنفسه ، ويحسن النهوض بتبعياته في قوة ومثابرة ، ويعطي

القدوة من ذاته لغيره ، ويتعمق في تفكيره ، ويستقصي في نظره وتدبيره : ثم يقدم في عزم وحزم وكفاءة ، مع دهاء وبراعة وحسن احتيال .

وكأنما قد خلق الله عز وجل هذا الرجل وفي دمه نزعة القيادة الإمارة . ولذلك يقول عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما رآه يمشي معتزاً : «ما ينبغي لأبي عبدالله أن يمشي على الأرض إلا أميراً » ! .

وكان عمرو محارباً عملاقاً خبيراً بالمعارك والحروب ، وكان يعرف جيداً أن الأسلحة المادية لا تغني عن الروح المعنوية أو القوة النفسية ، ولذلك كان يستنفر جنوده ، ويعبئهم دينياً ومعنوياً ، ويربطهم بمعاني الإيمان واليقين . ويقول لهم : تقدموا فبكم نصر الله .

وكان يسمعهم آيات القرآن الكريم ويذكرهم بأنهم جند الله . وأنهم مؤيدون بنصر الله ، ما داموا يجاهدون مخلصين ابتغاء وجه الله . وكان في أشد المعارك يقول في ثقة ويقين : « بقيت سيوف ستغمد في قلوب المرتدين والكافرين » .

ولقد ظل عمرو سنوات بعد سنوات ، وهو موصول الأسباب بالحرب والنصر ، وقد يبعد عن الميدان ، وقد يدنو منه . ولكنه لم ينقطع عنه . حتى زاد عمره على السبعين ، ولما حضرته الوفاة جعل يقول : « اللهم أمرتني فلم أأتمر ، ونهيتني فلم أنزجر ، ولستُ قوياً فانتصر ، ولا بريئاً فأعتذر . ولا مستكبراً بل مستغفراً ، لا إله إلا أنت » !

وظل يردد هذه الكلمات الخاشعة حتى مات . عليه رحمة الله .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• •

عبدالله بن المبارك

السؤال : **من هو عبدالله بن المبارك رضي الله عنه ؟ .**

الجواب :

يعد الإمام عبدالله بن المبارك من أبطال رمضان ، وأعلام ذلك الشهر العظيم ، لأنه لقي ربه في شهر رمضان ، سنة إحدى وثمانين ومئة للهجرة .

وقد وُلد سنة ثمان عشرة ومائة ، ونشأ نشأة إسلامية مباركة ، وكان عالماً ذكياً ، وزاهداً تقياً وشجاعاً أبياً ، وكان يكتب كل ما يسمع في دراسته ، فقيل له في ذلك فأجاب : لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد .

وكان ابن المبارك يشتغل بحرفة التجارة ، وكانت تجارته واسعة رابحة ، ولم تشغله التجارة عن الفقه أو العبادة ، ولما قال له تلاميذه : أنت تأمرنا بالزهد ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، فكيف ذلك ؟ . أجاب : إنما أفعل هذا لأصون به وجهي ، وأكرم به عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى حقاً إلا سارعت إليه .

ويروي تاريخه أنه لما خرج إلى الجهاد والمرابطة لأول مرة في بلاد الشام ، ورأى ما يقوم به المجاهدون من بطولة ، التفت إلى صاحبه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا حسرة على أعمار أفنيناها ، وليال قطعناها في قرض الشعر ، وتركنا هنا أبواب الجنة مفتحة .

وظل ابن المبارك مجاهداً مناضلاً ، يهدي إلى سبيل ربه تبارك وتعالى بالقول والعمل ، والقـــدوة والسلوك ، فوق سعة العلم وعمق الفهم ، وفي شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة ، انصرف من إحدى المعارك التي شارك فيها في بلاد الروم ، فأدركه الموت في بلدة « هيت » . وهي مدينة معروفة على شاطىء الفرات في أرض العراق ، وكان له من العمر ثلاث وستون سنة . وشاء ربك للزاهد المجاهد الذي رام الشهادة في سبيل الله مرات ومرات ،

أن يلقى الموت هادئاً : في طريق العودة من إحدى المعارك البطولية ، دون أن يحرمه ربه ثواب المجاهدين الأبرار .

ومن كلماته الرائعة قوله : « الناس هم العلماء ، والملوك هم الزهاد . والسفلة هم الذين يأكلون الدنيا بالدين » .

سلام على زاهد الفقهاء ، ومجاهد العلماء : عبدالله بن المبارك ، رضي الله عنه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

البخاري صاحب الصحيح

السؤال : **أريد أن أعرف لمحة عن الإمام البخاري ، وعن كتابه الصحيح في الحديث النبوي .**

الجواب :
هو الإمام الحافظ الحجة ، حبر الإسلام ، صاحب الجامع الصحيح ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، وُلد في بخارى عند صلاة الجمعة ، اليوم الثالث عشر من شهر شوال سنة ١٩٤ هـ .

ونشأ يتيماً ، وقام برحلات كثيرة لطلب الحديث ، زار فيها خراسان والعراق والشام ومصر .

وكان كما وصفوه أستاذ الأساتذة ، لم تشهد الدنيا مثله في فنه وبابه ، وكان بعض شيوخه يقول عنه : « وددت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل » . وكان أكثر شيوخه يثنون عليه ، وينشرون مناقبه ، وكانوا يلقبونه سيد

المحدثين وطبيب الحديث . وكتب عن ألف شيخ من العلماء .

واسم كتابه كما وضعه هو « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » . وهو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل . وسبب تأليفه أنه سمع بعض العلماء يقول : لو جمعتم كتاباً مختصراً في الصحيح لسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقع ذلك في قلبه ، وأخذ في جمع الكتاب .

وقضى في ذلك ستة عشر عاماً ، وقال عنه : « جعلته حجة بيني وبين الله تعالى » .

ولقد رأى في نومه كأن في يده مروحة يذب بها عن وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام . ففسرها له بعض العلماء بقوله : « أنت تذب الكذب عن رسول الله » .

وكان كلما أراد إثبات حديث من أحاديث كتابه الصحيحة يتطهر ويتوضأ ويصلي ركعتين ، وقد تنقل وهو يكتب كتابه بين مكة والبصرة وبخارى وغيرها .

وكان الإمام البخاري يقول : « أما المادح والذام ، فعندي سواء » . ويقول : « أرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطالبني أني اغتبت أحداً » . ويقول : « أحفظ مائة ألف حديث صحيح » .

وللإمام البخاري كتب في طليعتها الجامع الصحيح وكتاب « الأدب المفرد » وكتاب « تاريخ البخاري » وغيرها .

وقد توفي رحمه الله ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، ودفن في قرية « خَرْتَنْك » بالقرب من سمرقند . رضي الله عنه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

بين النبي والجيلاني

السؤال : **أيهما أحسن : قراءة مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني ، أم مناقب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .**

الجواب :

هذا سؤال عجيب ، إذ لا يجوز أبداً أن نعقد مقارنة بين رائدنا وقائدنا وسيدنا رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وأي شخص آخر ، فرسول الله هو خير خلق الله ، وهو أحب الناس إلى الله ، وأقربهم من حماه ورضاه . وقد كرمه ربه وأعلى ذكره ، ورفع قدره ، وليس بعد تكريم الله تكريم .

ولو أن هذا السؤال عُرض على الشيخ الجيلاني نفسه لأنكره واستنكره ، فالجيلاني يعد نفسه تابعاً من أتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وإن كان للجيلاني مكانة ومنزلة . فهو قد استمدها في الأصل من إيمانه بالله واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

والجيلاني هو الشيخ محي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبدالله الجيلاني — أو الكيلاني — وهو مؤسس الطريقة القادرية الصوفية المشهورة ، وكان من كبار الصوفية والزهاد . وقد وُلد في بلدة « جيلان » سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة . وتوفي ببغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة .

وقد تفقه الجيلاني وسمع الحديث وقرأ الأدب ، وبرع في أساليب الوعظ والإرشاد ، وتولى التدريس والإفتاء في بغداد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وكان حنبلي المذهب .

وله عدة كتب ، منها كتاب « الفيوضات الربانية » وكتاب « فتوح الغيب » .

وقد ألف بعض المؤلفين كتاباً في مناقب الشيخ الجيلاني .

وقد تحدثت عن الجيلاني كتب كثيرة ، منها كتاب : « النجوم الزاهرة » ،

وكتاب « شذرات الذهب » وكتاب « طبقات الشعراني » ، وكتاب « الكامل لابن الأثير » وغير ذلك .

هذه لمحة عن الشيخ الجيلاني ، وهي تدل على مكانة طيبة للرجل ، ولكن أين هو من سيدنا رسول الله ؟ وكيف يقاس هذا بذاك ، ورسول الله هو رسول الله .

هو الذي قال له ربه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وقال له في سورة الأحزاب : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

وقال عنه في سورة التوبة : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وقال عنه في سورة النجم : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمات .

ولا شك أن رسول الله هو المثل الأعلى للمسلم ، وهو في حياته التطبيق العملي الصادق للإسلام وتعاليم رب الإسلام ، فقراءة سيرته ومناقبه هي التي تعرفنا بدين الله تعالى وأحكامه وهي خير سيرة يطالعها المسلم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

فرعون موسى

السؤال : ما هو اسم فرعون موسى الذي غرق في عهد موسى عليه السلام ؟ .

الجواب :

كلمة « فرعون » كلمة من اللغة المصرية القديمة ، معناها « البيت الأعظم » .

وكانت الكلمة في أول الأمر تطلق نعتاً ووصفاً للقصر الملكي منذ أيام الدولة القديمة ، ثم أصبحت علماً على ملوك مصر منذ ألف عام قبل الميلاد . ويشبه ذلك إطلاق كلمة « الباب العالي » على السلطان من آل عثمان في عهد الدولة العثمانيــة .

وكلمة « فرعون » تطلق على كل ملك من ملوك مصر القديمة ، وذلك كما تطلق كلمة « كسرى » قديماً على كل ملك من ملوك الفرس ، وكلمة « قيصر » على كل ملك من ملوك الروم ، وكلمة « النجاشي » على كل ملك من ملوك الحبشة .

واسم فرعون موسى الذي غرق في البحر الأحمر على عهد موسى عليه السلام هو « قابوس » عند أهل الكتاب ، ويقول وهبه : اسمه الوليد بن مصعب ابن الريان .

ولكن أكثر المؤرخين يرجحون أن فرعون موسى هو « منفتاح » — أو مرنتباح — وهو أحد أبناء رمسيس الثاني ، ورابع الفراعنة في الأسرة التاسعة عشرة . ويقولون إنه قد تجمعت في أول عهده عناصر الفتنة من شعوب البحر وصحراء ليبيا وقبائل مختلفة من اللاجئين والمغيرين ، في أقاليم الدلتا ، ولكنه دحرهم جميعاً .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

قبر سيدنا آدم

السؤال : **أين يوجد قبر سيدنا آدم عليه السلام ؟ .**

الجواب :

آدم عليه السلام هو أبو البشر ، خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ،

وأسكنه الجنة ، واصطفاه ، وعلمه جميع الأسماء ، وكرَّم ذريته ، وجعله اول الأنبيـــاء .

واشتهر في كتب الحديث والتاريخ أن آدم عاش ألف سنة ، كما جاء في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « إن الله تعالى خلق آدم يوم الجمعة » ، وقد توفي أيضاً في يوم الجمعة .

وينقل ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » أن الملائكة قامت بتغسيله وتكفينه ودفنه . ثم ذكر عقب هذا أنهم اختلفوا في موضع دفن آدم ، فالمشهور أنه دُفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند ، وقيل إنه دفن في جبل أبي قبيس بمكة ، ويقال إن نوحاً عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمل آدم وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس ، وقال بعضهم إن رأس آدم عند مسجد إبراهيم ، وإن رجليه عند صخرة بيت المقدس .

هكذا تتحدث الروايات عن قبر آدم عليه السلام ، والله تعالى هو العليم بحقيقة الأمر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

جنة آدم عليه السلام

السؤال : أين توجد الجنة التي خلق الله فيها آدم ؟ أهي في السماء أم في الأرض ؟.

الجواب :

اختلف علماء المسلمين في الجنة التي كان يعيش فيها آدم أبو البشر عليه السلام : أهي البستان أو المكان الذي تظلله الأشجار بحيث يستتر الداخل فيه ، كما نفهم من حديث اللغة عن كلمة « الجنة » ، أم هي الجنة التي وعد الله بها عبادته المتقين في الدار الآخرة ؟

المحققون من أهل السنة يرون الرأي الأول ، كما نقل « تفسير المنار » . فقد قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره :

نعتقد أن جنة آدم بستان من البساتين ، أو غيضة من الغياض (والغيضة هي الشجر الملتف) كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها ، وهذا هو مذهب السلف ، ولا دليل لمن خاض في تعيين مكانها من أهل السنة وغيرهم .

وتحدث الإمام ابن القيم في كتابه « هادي الأرواح » طويلاً حول هذا الموضوع ، ولكنه لم يرجح شيئاً ، ولذلك يميل بعض الأئمة إلى التوقف في الموضوع ، فعلم ذلك على وجه اليقين عند الله ، ولم يكلفنا ربنا مئونة البحث عن مكان هذه الجنة ، فلنؤمن بما ذكره الله تبارك وتعالى في قصة آدم عليه السلام ، ولنترك ما وراء ذلك إلى علم الله عز شأنه ، ولو كان في معرفة ذلك فائدة لنا في ديننا أو دنيانا لفصّل الله لنا ذلك[1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قبور أنبياء

السؤال : **في أي منطقة دفن الأنبياء الآتية أسماؤهم : إبراهيم ويحيى وعيسى ؟ .**

الجواب :

يروي التاريخ أن إبراهيم عليه السلام هاجر من العراق إلى الشام ، وبلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة ، أو مائتي سنة ، وعندما مات دُفن في الأرض المقدسة بفلسطين ، وقبره معروف ببلدة : « الخليل » ، وبينها وبين القدس مسافة غير طويلة .

---

(١) انظر أيضاً كتابي « يسألونك في الدين والحياة » ج ٢ ص ٥٢٦ .

ويقول ابن كثير إن قبر إبراهيم وقبر ولده إسحاق ، وقبر ولد ولده يعقوب في المربّعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون المعروف بالخليل ، وهذا متلقى بالتواتر أمة بعد أمة ، وجيلاً بعد جيل .

وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام فقد رُوي عنه أنه قُتل ظُلماً شهيداً : وأخذوا رأسه ، ووضعوه في طست ، وغضب الله على قاتليه ، وسلط عليهم « بختنصر » وجيوشه ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً .

قيل إنه قُتل في المسجد الأقصى ، وقيل : على الصخرة التي في بيت المقدس .

وقيل إن يحيى دفن في مكان من أرض مسجد دمشق .

وأما عيسى عليه السلام فيروي النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » أن عيسى قد رفعه الله إليه ، وأنه سيعود إلى الأرض عندما يشاء الله ، وأنه سيدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الدّين والدّولة

ونظام الدولة



دين ودولة

السؤال : **هل يجوز في الإسلام فصل الدين عن الدولة ، كما ينادي بعض الناس ؟ .**

الجواب :

إن الذين يتحدثون عن « فصل الدين عن الدولة » لا يعجبهم العجب ، ولا الصيام في رجب . « كما يقول المثل العامي ، وإن هذا الترويج يتصل بتهوين شأن الدين في نفوس العامة والخاصة على السواء ، بدليل أننا إذا حدثناهم بقول العلماء المعاصرين ، حاولوا النيل من هؤلاء العلماء والافتيات عليهم . فإذا عدنا بهم إلى قول الأئمة الأعلام ، قالوا : إن هؤلاء بشر مثلنا . يجوز عليهم الخطأ والصواب ، كما يجوز علينا . فإذا عدنا بهم إلى ما هو أسمى وأعلى ، وهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، عرّضوا بالكلام عن الوضع أو التجريح أو التضعيف ، وما إلى ذلك ، وقالوا إن السنة قد دخل عليها ما دخل من وضع الواضعين ، وافتراء المفترين ... لذلك نتنزل مع هؤلاء المروجين ، أو نسير معهم إلى غاية الشوط ، ونفتيهم من كتاب الله عز وجل الذي لم يجرءوا بعد على أن يقولوا فيه قولا ، أو ينالوا نصه بمطعن . وان كانوا قد هونوا شريعة القرآن بما استطاعوا من وسائل التهوين .

إن القرآن كما نفهم جميعا ، وكما يفهم هؤلاء ، هو دستور الله الذي جعله سببَ الهداية للفرد والجماعة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » . وهذا الدستور الذي جعله الله سبب الهداية جعل له أيضا صفة البقاء والخلود بقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وهذا الدستور الباقي الدائم الخالد . نحن مأمورون جميعا بتنفيذ ما فيه ، والقرآن صريح في الحكم على من يأبى تنفيذ هذا القانون بالكفر

والظلم والفسق ، وهناك في سورة المائدة ثلاث آيات متقاربات ، حتى تكاد تتلاصق ، تصرح بهذا الحكم ، وهي قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وكثير من المفسرين يقولون : إن الكفر قد ورد في القرآن الكريم معبّرا عنه بالظلم حينا ، وبالفسق حينا آخر ، فيكون المراد بالصفة في الآيات الثلاث صفة الكفر والنكران لشريعة الله . فإذا تناولنا هذا الدستور الهادي الباقي الخالد ، الذي أمرنا الله بتنفيذه ، وجدنا أنه لم يترك ناحية من نواحي التنظيم الدنيوي الفردي والجماعي إلا تعرض لها ، ونص عليها ، ما دامت أصلا أو قاعدة تستتبع غيرها من الجزئيات والتفاصيل .

فالذين يقولون الآن : إن الدين صلة بين العبد وربه ، وإنه تهذيب للنفس فقط ، مثلهم كمثل القائل : « لا تقربوا الصلاة » دون أن يذكر بقية الآية ... لا ريب ان القرآن تهذيب للنفس وتقويم للخلق ، ولكن هذا جزء من أجزائه ، وهناك أجزاء كثيرة تتعلق ببقية مظاهر الحياة الجماعية والدولية والإنسانية ، فهو يُشَرِّع للنفس عندما يقول : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » ، وحين يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وحين يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك » ، ثم ينتقل القرآن إلى التشريع للأسرة فيقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » ، ويقول : « وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ، ويقول : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » ، ويقول : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ويقول : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ثم ينتقل القرآن من التشريع لهذا المحيط الضيق حسا . إلى المحيط الواسع . وهو محيط الأمة ، فنجد قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « وأمرهم شورى بينهم » ،

« وشاورهم في الأمر » ، « إنما المؤمنون اخوة » ، « وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فأتقون » . ثم ينتقل القرآن إلى التشريع للاعداد الواجب أن يكون في الأمة فيقول : « وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . وينتقل إلى التشريع للحرب ، فيقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم » ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ، ثم يشرع للسلام فيقول : « ادخلوا في السلم كافة » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . وهو كذلك يضع أصولا للنواحي القضائية فيقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، كما يشرع لحرية الأمة وعزتها وكرامتها ، فيقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » ، « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ، ثم يشرع للعلاقات الإنسانية والروابط البشرية فيقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ، والقرآن في أحيان كثيرة يخاطب بتشريعاته الجماعة التي هي امة ودولة ، وهي مركزة في حكومة ، يجب أن تلتزم هذه القوانين ، وبذلك تأتي صيغة الخطاب كثيرا بصيغة الجمع : « ولكم في القصاص حياة يأولى الألباب لعلكم تتقون » ، « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ، « وجاهدوا في الله حق جهاده » .

وعلى هذا المنوال آيات كثيرة جدا تضمنت شتى التشريعات ، واتجه الخطاب فيها إلى الجماعة ، على معنى أنها أمة ودولة مركزة في حكومة يجب أن تلتزم هذه الأحكام الالهية .

والواقع أن الذين يدعون تلك الدعوة في هذه المرحلة من حياتنا إنما يتمردون على المبادىء الأساسية والمعلومات الأصيلة التي ارتضتها جمهورية مصر العربية لنفسها ، واعتمدتها الوزارة المختصة بالتربية قواعد تربى على أساسها النشء الجديد الذي نطالب قادتنا بأن ينشأ قومياً عربياً مؤمناً موقناً .

وقد وقع الآن في يدي على سبيل الاتفاق كتاب « التاريخ الإسلامي للصف الثاني الإعدادي » لسنة ١٩٦١ ، ونقرأ فيه في صفحة ٣٠ هذه العبارة :
« وبهجرة الرسول إلى المدينة وُضع أول حجر في بناء الدولة الإسلامية : إذ أخذ الرسول عليه السلام في تنظيم شئون المسلمين بها ، فاختط مسجداً ليقيم فيه المسلمون شعائر دينهم ، وليعقدوا اجتماعاتهم فيه للنظر في شئونهم العامة ، وقضى على الخلافات بين أفراد قبيلتي الأوس والخزرج المقيمين في المدينة ، وألف بين قلوبهم ، كما آخى بين الأنصار والمهاجرين في الحقوق والواجبات والمعاملات ، ووضع بذلك أسس الحياة الاشتراكية . كذلك وضع الرسول للجماعة الاسلامية نظاما تسير عليه في امور السلم والحرب » .

وفي صفحة (٣٤) من الكتاب يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نجح لأول مرة في تاريخ شبه الجزيرة في أن يخلق من القبائل العربية أمة ودولة واحدة ، يجمع أفرادها رباطُ الدين ، بدلاً من أن تفرق بينهم العصبية القبلية ، وينشر بينهم الإخاء والمساواة والعدل ، والبر بالضعفاء ، والعطف على الفقراء ، بدلاً من التنافر والتفاخر والكبرياء . والواقع أن الرسول بعث في شبه الجزيرة حياة جديدة أساسها اعتناق دين واحد والعمل به ، والخضوع لحكومة واحدة ديمقراطية ، لا فضل لعربي على أجنبي فيها إلا بالتقوى . وأخذ التاريخ يسجل للعرب والمسلمين صفحات مجيدة في سجل الحضارة الإنسانية » .

وأخيراً يعود الكتاب في صفحة (٤٢) ليقول عن قيام الخلافة : « توفي الرسول فانتهت بوفاته وظيفته الدينية ، وهي النبوة ، أما وظيفته السياسية وهي إدارة شئون الدولة العربية الإسلامية الجديدة وحمايتها ، وتنمية اقتصادياتها ، فكان لا بد أن يملأها واحد من الصحابة إذا كان لهذه الدولة أن تستمر وتنمو ، ولم يوص الرسول عليه السلام بخليفة من بعده ، وترك بذلك للعرب حرية التفكير في نظام الحكم الذي يناسبهم ، وحرية اختيار من يدبر شئونهم بعده » .

أوردتُ هذه النصوص الثلاثة لكي أفهم هؤلاء الذين يقولون ذلك القول أنهم متمردون حينما يرددونه أو يكتبونه أو ينشرونه أو يذيعونه على الناس .. يتمردون على السياسة الأصيلة القويمة التي ارتضتها الجمهورية لنفسها . وعملت على أن تبث مبادئها في أبنائها ، لأن هذا الكتاب الذي استشهدتُ بما فيه هو

المقرر الذي سُلّم لطلاب الصف الثاني الاعدادي لمدارسنا الاعدادية .

وكأن هؤلاء الذين يدعون هذه الدعوة يتتهزون الفرصة التي يوضع فيها دستور الأمة ويروجون لهذه الوجهة الضالة ، رجاء ألا ينص فيه على أن الإسلام دين الدولة الرسمي . ويجب أن نذكرهم أننا نعيش في أمة مؤمنة لا تستطيع بحال من الأحوال أن تجحد ربها ، أو تنسى دينها ، أو تتمرد على مواريثها الدينية ومعتقداتها الإلهية ، وأن هذه الأمة حريصة كل الحرص على ألا يخلو دستورها الذي تحكم به من النص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

° ° °

الإسلام والتفرقة العنصرية

السؤال : **هل يقر الإسلام التفرقة العنصرية بين الناس ؟ .**

الجواب :

من الخير ونحن نريد أن نبين موقف الإسلام من هذه التفرقة — أن نعدد بعض مظاهرها الباغية في أوروبا وأمريكا وجوانب من أفريقيا ، فالبيض هناك يضطهدون السود مهما كانت درجة ثقافتهم واستقامتهم . لا لشيء إلا لأنهم سود . فهم يضطهدونهم في المطاعم والفنادق والقطارات والسيارات العامة . وهم يطاردونهم في الشوارع ، ويركلونهم بالأقدام ، ويطعنونهم بالمدى والخناجر . وهم يمنعونهم من دخول المدارس الثانوية ، ومن التعليم الجامعي .

ويصل بهم الاضطهاد إلى عدم المساواة أمام القانون ، فقد حكم البيض على رجل أسود سرق دولارين ونصف دولار بالإعدام ، مع أن قانونهم العام لا يقضي بهذا الحكم عندهم . ووصل الاضطهاد حتى إلى دور العبادة ، فالسود

ممنوعون من دخول كنائس البيض ، كأن لهؤلاء رباً وديناً ، وكأن لهؤلاء رباً وديناً آخر في اعتقادهم ، وقد حاولت عائلة سوداء اللون أن تتخذ لها مسكناً في قرية يقطنها البيض ، فما كان من البيض إلا أن أحرقوا المسكن كله ، لأنهم لا يطيقون بجوارهم أناساً لونهم أسود .

ومأساة التفرقة اللونية والعنصرية توضح لنا مدى تبجح الرجل الأبيض المستعمر ، فحينما دخل إلى أفريقيا محتلاً ، استعبد أهلها وأصحابها الشرعيين ، وامتص خيراتها ، ونشر فيها تجارة الرقيق الأبيض ، وفوق هذا لم يعط أهلها السود الحقوق الطبيعية التي كفلها الله لكل إنسان ... والطارئون على أمريكا من البيض كرروا نفس المأساة ، فاستعبدوا السود هناك وهم أهل البلاد ، ونهبوا خيراتهم ، ثم أرهقوهم فأذاقوهم وبال أمرهم ، وأخيراً نجد أن البيض في أوروبا – وبخاصة في انجلترا – يستقدمون بعض السود من المستعمرات للخدمة الممتهنة ، والقيام بالأعمال المرهقة ، ومع ذلك يضطهدهم البيض ويعذبونهم كما تنقل إلينا أخبار الصحف .. وفي الحروب الاستعمارية الكثيرة التي مرت كان الأوروبيون يضعون هؤلاء السود في مقدمة الصفوف ، ليكونوا الحصاد الأول لمدافع الأعداء من البيض أيضاً .

وهنا يأتي موقف الإسلام من هذه التفرقة ، وهو يتلخص في أمور :

أولاً : يقرر الإسلام وحدة الأصل الإنساني ، فيقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » .

ثانياً : يقرر عموم دين الله ورسالة النبي محمد للناس جميعاً : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » .

ثالثاً : يجعل العمل هو الأساس في التقدير والجزاء : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .

رابعاً : يجعل مقياس التفاضل بين الناس هو التقوى والعمل الصالح ، فيقول القرآن الكريم : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول

الرسول : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

ولقد قال أحد الذين ينسبون أنفسهم إلى « الأشراف » لرجل آخر : لعل الحظ يسعدك فتتزوج من امرأة شريفة ، فأجابه الرجل : قد فعلت . فقال الشريف : ممن ؟ . فأجاب الرجل : من الذين قال الله فيهم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » . وفي الحديث : « الناس رجلان : بَرٌّ تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هيِّن على الله ، الناس كلهم بنو آدم ، وخُلق آدم من تراب » .

وفي موقف التغاضب بين بلال وأبي ذر ، غضب الرسول غضباً شديداً ، وقال لأبي ذر كلمة لها دلالتها القوية وتذكيرها الموجع ، قال له : « طَفَّ الصاع (طفح الكيل) ... أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » .

وهذا عطاء بن أبي رباح ، سيد التابعين علماً وعملاً ، ومفتي مكة وفقيهها ، وخليفة عبدالله بن عباس في الإفتاء ، والذي كان يقال عنه لأهل مكة : كيف كان عطاء فيكم ؟ فيجيبون : كان مثل العافية ، لا يُعرف فضلها حتى تفقد ... عطاء هذا كان أسودَ ، أعرج ، أفطس ، أشل ، مفلفل الشعر ، ثم كُف بصره ، وكانت أمه أمَةَ سوداء تسمى « بركة » ...

وحينما بعث عمرو بن العاص وفداً لمفاوضة المقوقس عظيم القبط ، أثناء فتح الإسلام لمصر ، جعل على رأس الوفد عبادةَ بن الصامت ، وكان أسود اللون ، وهو الصحابي الجليل الذي شهد المشاهد ، وأحد الخمسة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معلم أهل حمص في عهد عمر ، وكان أول من تولى قضاء فلسطين ، وأحد الذين بايعوا الرسول على أن لا تأخذهم في الحق لومة لائم ...

وتقدم عبادة في طليعة الوفد ليتكلم باسمه ، فلما رآه المقوقس قال : نحوا عني هذا الأسود ، وقدموا غيره مكانَه ليكلمني . فأجابوا : إنه أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدَّم علينا . وإنما نرجع جميعاً إلى رأيه وقوله .

فقال المقوقس متعجباً : وكيف يفضلكم وهو أسود ؟ فقالوا : إننا لا ننكر سواد الرجل بيننا . وإنما نتفاضل فيما بيننا بالتقوى . فأذعن المقوقس . واستمع إليه . وتفاوض معه .

وأحب أن يلتفت المسلمون إلى واجب مهم مكتوب عليهم في هذا الموقف . وهو أن ينتهزوا هذه الفرصة الذهبية المواتية ليبذلوا جهوداً جديدة ومجدية في الدعوة إلى دين الله والتبشير بالإسلام . يبشرون به بين الطغاة المضطهدين للسود ، وبين السود أنفسهم ، وبين المنتسبين إلى الإسلام ...

يبشرون بمبادىء الإسلام السمحة بين المضطهدين للسود ، ليفضحوا كذبهم وخداعهم ، ولكي يواجهوهم بإمارات توقحهم وتبجحهم حينما يدّعون أنهم دعاة الحرية ، وأنهم حراس العدالة الإنسانية . وأنهم أصحاب تلك الأكذوبة العالمية الكبرى التي يسمونها « وثيقة حقوق الإنسان » وإنما هي حبر على ورق . ويبشرون بالإسلام بين السود ، ليجذبوهم إلى الإسلام ، حتى يقف هؤلاء المعذبون في الأرض على سماحة الإسلام وأخوته ومساواته ومبادئه الإنسانية العالمية ، ويبشروا به بين المنتسبين إلى الإسلام ، ليعرفوا ما يجهلونه من مبادىء الدين الذي ينتسبون إليه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإسلام والديمقراطية

السؤال : **هل يقر الإسلام نظام الديمقراطية ؟ .**

الجواب :

« الديموقراطية » كلمة تكاد تكون مقابلة لكلمة « الدكتاتورية » ، فكأن الديمقراطية هي انعدام الاستبداد في أي بيئة من البيئات التي يتكون منهـا

المجتمع . ومن الواضح أن الإسلام بهذا المفهوم ديمقراطي ، بمعنى أنه ليس فيه استبداد في حمل الإنسان على الاعتقاد ، أو التصرف ، وليس فيه استبداد من الحاكم في حكمه ، كما أنه ليس فيه استبداد من المحكوم بالتمرد أو العصيـــان .

ومن الواضح أن القرآن الكريم وهو دستور الإسلام قد نص نصاً صريحاً على محاربة الاستبداد ، وعلى الأخذ بحكم المساواة والشورى ، وهذا واضح من قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ، وتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب في موضع ثان بقوله : « وشاورهم في الأمر » ، مع أن الرسول خير خَلْقه ، وليس معناه أن الرسول محتاج إلى المشورة فيما يشاور فيه ، وإنما هو إيحاء للأمة كلها بأن خير مَنْ فيها يشاور ، فمن باب أولى يجب على بقية الأمة أن تشاور ؛ والإسلام وهو الدين الصالح لكل زمان ومكان ، راعى هذه الناحية الدنيوية في حكمه وتطبيقه ، فلم يقيد الأمة في عصر النبوة ، ولا في العصور التي تلته . بلون خاص أو أسلوب معين من أساليب تنفيذ الديمقراطية ، أو المساواة ، بل ترك التفاصيل وطريقة التطبيق للأمة المؤمنة المخلصة التي لا تجتمع على ضلالة كما جاء في الحديث ، تنفذها بحسب ظروفها وأزمانها وبيئاتها

على أننا حين نراجع تاريخ الصدر الأول من الإسلام نجد كأن يد الله تبارك وتعالى قد تدخلت في موضوع تطبيق الشورى تدخلاً عجيباً ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما يحس بضعفه عن الصلاة في أيامه الأخيرة ، يولّي أبا بكر على الصلاة ، فيكون ذلك إشارة ورمزاً إلى أن أبا بكر أصلح القوم لولايتهم ، ولذلك قال قائلهم : « لقد اختاره النبي لديننا ، أفلا نختاره لدنيانا » ؟ . وهكذا أخذ المسلمون من هذه الإشارة أن النبي يميل إلى اختيار أبي بكر خليفةً له ، أو والياً على المسلمين ، وإن كان لم يعينه . ومع أن الإشارة كانت واضحة ، والرمز كان مفهوماً ، فإن المسلمين لم يتلقوا هذه الإشارة تلقي الأمر الواجب التنفيذ ، بدليل اجتماع « السقيفة » وما كان فيه من محاورات ومباحثات وعرض لأسماء . إلى أن انتهى الموقف بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه بإجماع الأمة .

بعد هذا يأتي أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فيسلك في أمر الشورى وفي حكم الشعب طريقاً جديداً : إنه لا يشير ولا يرمز ؛ بل يكتب كتاباً صريحاً بترشيح عمر بن الخطاب بعده للخلافة ، ذاكراً أنه اجتهد قدر طاقته في اختيار الأصلح لهذه الأمة ، فإن كان عمر عند حسن ظن أبي بكر فذلك عهده فيه وظنه به ، وإن غيّر وبدل فالخير أراد ... إلخ .

ومع أن أبا بكر كان خليفة للرسول ، وكان مختاراً بالإشارة والرمز منه لولاية الأمة ، فإن الأمة لم تقتصر على خطاب أبي بكر ، بل لقد وقف عمر في المسجد يعرض كتاب أبي بكر وهو مغلَق على القوم ، وقال : هذا كتاب أبي بكر ، فقام إليه أحد القوم وقال له : أتعلم ما فيه يا عمر ؟ . قال : لا . قال : ولكني أعلم . قال : وماذا فيه ؟ قال : ولاك أبو بكر هذا العامَ ، ووليتَه عامَ أول ، فلم يتقاصر فرد من القوم عن أن يصرح بما في نفسه ، وإن كان خطأ ووهماً من الأوهام وريبا من الريب ، وانجلى الأمر عن أن عمر تلا كتاب استخلافه من أبي بكر ، وكانت الكلمة الفاصلة للأمة ، فأقرت رأي أبي بكر ، وكانت تستطيع ألا تقره .

فكانت هذه طريقة ثانية لتطبيق الشورى ، ثم يأتي عمر في أخريات أيامه ، فلا يشير أو يرمز كما فعل النبي ، ولا يتبع طريق التحديد لشخص معين كما كما فعل أبو بكر ، ولكنه عيّن ستةً من الصحابة هم الذين مات النبي وهو عنهم راض ، ومات عمر ، فرجعت الكلمة الفاصلة إلى الأمة مرة أخرى لتجتمع على رأي ، فتشاورت في الأمر ، ثم انتهى الرأي إلى مبايعة عثمان بن عفان على أيدي هذه الأمة .

وتشاء عناية الله أو تقديره أن يستشهد عثمان ، فيقتل قبل أن يشير إلى من يخلفه ، فرداً أو جماعة ، فانتقلت المسألة إلى البيعة المطلقة من الأمة ؛ ولولا أن بعض الأطماعُ والأهواء تدخلت في هذا الوقت لرأينا الأمة مجمعة على شخص تختـــاره .

ومن الأشياء التي تتميز بها الديمقراطية في الإسلام أنها ليست قائمة على

المصالح المادية الذاتية فقط ، وإنما هي تقوم في الإسلام على قواعد روحية وروابط قلبية قبل أن تكون روابط مصلحية ، لأن الله الذي شرع للمسلمين دينه وأحكامه ونظامه ، يقول لهم إنكم من أصل بشري واحد : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » .

ثم يخص جماعة المسلمين بروابط روحية وقلبية ومعنوية أكثر من الرابط الإنساني العام ، فيقول سبحانه : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » ، ويقول : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وحينما يشعر الفرد في المجتمع الإسلامي أنه يدخل تحت نظام المساواة ، أو نظام ديمقراطية مستمدة من قلبه ومن شعوره ومن وجدانه المشترك مع إخوانه في العقيدة ، فانه في هذه الحالة سيقبل على التزام هذه الديمقراطية والخضوع لها وإعزاز شأنها ، بقلب وشعور ووجدان وعاطفة .

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل .

• • •

إرادة الشعوب

السؤال : **يقال إن إرادة الشعوب من إرادة الله تعالى ، فهل يتفق هذا مع تعاليم الإسلام ؟ .**

الجواب :

هذا العصر الحاضر من حياة الإنسانية المجاهدة يبشر بخلاصها مما قاسته

في عهود مظلمة سود من بغي الباغين ، وتجبر المتجبرين ، وعسف الطواغيت . ويبشر بعودة كريمة إلى حكم الشعوب نفسها بنفسها ، وتصريف الأمم لشئونها وأمورها ، بوحي من إرادتها ، ودافع من رغبتها ، وضابط من رأيها العام ، دون أن تساق سوق الشياه ، أو تذل منها الجباه ، أو تسخر تسخيرَ العبيد في هذه الحياة : وقد صدق الشاعر حين هتف — ويجب أن يصدقه الواقع على الدوام : —

زمانُ الفرد يا فرعون ولـى ودالت دولـة المتجبرينـا
وأصبحت الرعاة بكـل أرض على حكم الرعية نازلينـا

والإسلام الحنيف تقتضي أصوله — كما تقضي طبيعة الحياة — أن يكون لكل جماعة مهما تصغر أو تكبر ، راع يرعاها ، وقائد يقودها ، بمحض اختيارها ، وكريم رغبتها ، وفي حدود مصالحها ومنافعها ، فالأسرة يرعاها الزوج ، والإقليم يرعاه الوالي أو الحاكم ، والأمة يرعاها خليفتها وولي أمرها .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » . ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هناك ثلاثة فعليهم أن يختاروا أحدهم ليؤمهم ، ويتولى شئونهم ، فهو منهم وبهم ولهم وفي خدمتهم .

وهذا الإمام الزاعي لا يُشترط فيه نسب أو حسب ، ولا شرف أو جنس ، ولا جاه أو غنى ، بل يُشترط فيه الصلاح ، والقدرة على الإصلاح ، والعدالة والاهتداء بهدى الله والخضوع لأمره . كما يشترط فيه رضا الناس به ، واجتماعهم عليه ، ولا يعنينا بعد ذلك أن يكون غنياً أو فقيراً ، شريفاً في نسب أو غير شريف ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » . ويقول : « أطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » .

* * *

ولقد قيل : إن إرادة الشعوب من إرادة الله ، وهذا قول يطابق الحقيقة

والواقع ، لأن الشعوب الواعية الرشيدة البصيرة ، المؤمنة بربها ، المقبلة عليه ، الواثقة بعدله وفضله ، المجاهدة في سبيله ، لا تضل ولا تميل ، ورأيها العام على الدوام يدور حول الخير والحق والقسطاس ، وقد يوجد فيها أفراد يضلون أو ينحرفون ، عن عمد أو غير عمد ، ولكن الأمة ترد هؤلاء إلى الصراط ، بالتهذيب أو التأديب ، فتعيد الشارد إلى صوابه ، والضال إلى هداه ، والمتغالي إلى اعتداله ، لأنها أمة متكافلة متضامنة ، تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهي عن المنكر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وهي أمة تتعاون على البر والخير ، وتجاهد الإثم والرذيلة : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

وهي أمة أبناؤها هم السعداء ، لأنهم يحققون لأنفسهم أسباب السعادة ، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالصبر والحق : « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

ومن هنا قال رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذّ إلى النار » ، وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه بأن أمته لا تجتمع على ضلالة ، وجاء في الأثر : « إن الله عباداً إذا أرادوا أراد » . وهذا هو القرآن المجيد يخبرنا بأن أيدي الجماعة المؤمنة إذا تلاقت على يقين وصدق باركتها يد الله ، وزكتها وعلتها : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .

* * *

ولقد كان الملوك الجبابرة بالأمس يصنعون شعوبهم بأيديهم ، ويجمعون الناس حولهم بالحديد والنار ، وبالرعب والرهبة ، وأما اليوم في الدنيا الرشيدة

المبصرة فإن الشعوب هي التي يجب أن تصنع قادتها وتختار حكامها .

ولقد كان يقال بالأمس : « إن الناس على دين ملوكهم » ، ولكن الواجب أن يقال : إن الراعي رمز لرعيته وصورة منها ، وكما تكونون يول عليكم .

وإذا كانت أسمى النظريات الاجتماعية اليوم تقول إن الأمة هي مصدر السلطات ، وإن حصن الحاكم القوي هو ثقة الشعب ورضاه ، فقد شرع الإسلام ذلك منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام ، حين قرر أن ولاية الناس ليست كسروية ، ولا قيصرية ، ولا وراثة ، ولا إرغاماً ، وإنما هي بيعة واستخلاف ، المرجع الأول والأخير فيها إلى الأمة المؤمنة واختيارها ورضاها ، وهي تطيع إمامها ما استقام لها ، فإن خرج على إرادتها ، أو جرح مشاعرها ، أو مال وجار ، أو غير وبدل ، راجعته وحاسبته . فإن أصر وأسرف عزلته واتخذت غيره إماماً لها ...

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف في أول عهده بالخلافة يخطب بين المسلمين فيقول لهم : « أيها الناس إن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فقوموني » ، فينهض رجل من بين الجمع ، ويقول لعمر في صراحة وصرامة : « والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا يا عمر » ، فلا يغضب عمر ولا يثور ، بل يقول : « الحمد لله الذي أوجد في الأمة من يقوم اعوجاجَ عمر بالسيف » .

ولقد قال أحد المسلمين لعمر ذات يوم : اتق الله في الناس يا عمر . وكأنما غضب من ذلك بعض المحبين لعمر ، ولكن عمر قال : « ويل لكم إذا لم تقولوها ، وويل لنا إذا لم نسمعها » .

وما أحكم عمر حين قال ما قال ، فإن حاجة الإمام إلى الناصح الأمين والمذكر الحكيم يجب أن تسبق وتعلو على كلمة الملق والرياء ، وقد انتفع بحكمة عمر أحدُ الحكام المتأخرين حين عزل عضواً من أعضاء حكومته ، وكتب في سبب عزله يقول : « إنه كان يتملقني دائماً ، ولا يعارضني أبداً » ...

وهذا هو الحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

أعطى من نفسه القدوة في تطلب المشورة ، واستماع النصيحة ، وكان إذا لم يتقدم إليه أحد بعظة أو توجيه ، بعث إلى من يستأنس فيهم الخير ليستقدمهم عليه من أطراف البلاد ، ويقول لهم : عظوني حتى أعرف الخير فأتبعه ، وأعرف الشر فأتجنبه ؛ وكان عمر يقول لمستشاره مزاحم : « يا مزاحم ، إن رأيتني على شيء من الباطل فخذ بخناقي ، وشُدَّ تلابيبي شداً عنيفاً ، وهزني هزاً قوياً ، ثم قل لي : ماذا تفعل يا عمر ؟ » .

وتاريخ الأمة الإسلامية في عصورها المجيدة المزهرة يفيض بأمثال هذه الشواهد العملية التي كانت من حكام آمنوا بربهم ، واستقاموا على طريقته ، وخافوا ربهم فيما يقولون وفيما يعملون .

* * *

الحق أنه يجب ألا يبقى في الدنيا المؤمنة مجال لسلاطين أو حكام آثمين ، يتجبرون في الأرض بغير الحق ، ويسومون الخلائق سوء العذاب ، ويمتصون دماء العباد ، ويعيثون في الأرض بالفساد ، ويطغون في البلاد ، ويكتنزون الذهب والفضة ، ويتقلبون في الملذات والشهوات ، في حين لا تجد الملايين ما تسد به رمقها من القوت والطعام .

وترى من هؤلاء السلاطين الفاسقين المارقين من يخرج على إجماع أمتهم وإرادة شعوبهم ، فيوالون أعداء الله وأعداء الإسلام ، ويمزقون الوحدة التي اعتزت بها أمة محمد وسعدت ، ولا هم لهم من وراء ذلك إلا أن يعيثوا في الأرض فساداً ، ويحققوا لأنفسهم ما يشتهون من ملذات ورغبات .

الواجب ألا يبقى في الدنيا المكافحة مكان لجبابرة يتألهون على الناس ، ويستعبدونهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

ولم يبق في الدنيا العادلة مقام لطواغيت يستمتعون بما حرم الله وما لم يحرم ، على حين تعيش الجموع في جدب وحرمان .

وإنما البقاء في الدنيا لرعاة من صميم الشعوب ومن سواد الأمة ، يتعبون

ليستريح الناس ، ويسهرون حين ينام الناس ، ويتذكرون دائماً أنهم حين صاروا رعاة قد أصبحوا مسئولين عن كل فرد من هؤلاء الناس ، وبمثل هؤلاء الرعاة تسعد الحياة وتعز الجباه ويتحقق النصر من الله ...

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حرمة الدماء في الإسلام

السؤال : **ما مدى الحرمة التي أعطاها الإسلام لدماء الناس في سبيل تحصينها وصيانتها ؟ .**

الجواب :

تتعرض الأمة في حياتها الطويلة العريضة لمتاعب ومشقات ، بعضها هين ميسور ، وبعضها ثقيل عسير ، وتمضي الأمة في طريقها متحملة تلك المتاعب والمشقات ، صابرة عليها ، معالجة لها ، فيقوى عودها ، ويشتد ساعدها ، ولكن كيان الأمة يتزلزل ، وأساسها يتخلخل ، حين يغويها الشيطان الأثيم فيتجرأ أفرادها بالعدوان على الأرواح البريئة ، والدماء المعصومة ، فتكون الطامة الكبرى ، والنكبة العظمى ، لأن الحياة أبهى مظاهر الوجود ، ولأن الإنسان أسمى صورة للحياة وأعلى نموذج للأحياء .

ولقد خلق الله تعالى في كونه مئات من أنواع الأحياء والمخلوقات . ولكن القرآن المجيد حينما بدأ ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر خلْق الإنسان في أول طائفة نزلت من آياته ، وكأنه يريد أن يقول إن خلق هذا الإنسان يجب أن يكون كالعنوان للحديث الطويل عن صنع الله وقدرته وآياته ، فها هو ذا سبحانه يخاطب نبيه قائلاً : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق » .

ثم يعود القرآن الكريم فيكرر الحديث عن تكوين الإنسان وخلقه ، والتنقل

به من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم ولحم وشحم وأعصاب ، بصورة دقيقة معجزة محيرة للألباب ، مثل قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر : فتبارك الله أحسن الخالقين » ، .

كما يكرر القرآن الحديث عما أودعه الله في ذلك الإنسان ، من عقل وتفكير ، ووجدان وشعور ، مما صلح معه أن يكون خليفة الله في أرضه وبرهاناً ساطعاً على وجوده واقتداره : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

وما دام الإنسان صنعة خالقه العجيبة قد أبدعه بقدرته ، وسواه بحكمته ، واختصه بالكثير من آلائه ونعمائه . فلا بد أن يكون هذا الإنسان ملكاً خالصاً لله ، لا يتصرف فيه سواه ، هو الذي يوجده بعلمه وحكمته حينما يشاء . وهو الذي يحكم عليه بالبقاء أو الفناء كما يشاء ، ومن أراد أن يسيطر على هذا الإنسان بغير حق ، أو يعتدى عليه ، فقد باء بغضب من الله ، وأعلن الحرب على مولاه . وليس هناك أخسر ممن يحارب واهب القوى والقدر ، جل جلاله وعز سلطانه ، بل لقد حرم الإسلام أن يعتدي الإنسان على نفسه ذاتها ، بإهلاك أو إتلاف أو انتحار .

والله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من تردى من جبل وقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً أبداً . ومن تحسى (شرب) سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها (أي يطعن بها) في بطنه ، في نار جهنم مخلداً فيها أبداً » .

وذلك لأن نفس الإنسان ليست ملكاً لصاحبها ، وليست ملكاً لأحد من الناس ، ولكنها ملك لبارئها وخالقها ... لله .

والرسول صلوات الله عليه وسلامه يشير إلى هذا حيث يقول : « إن هذا الإنسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » . زيا لها من جريمة كبرى أن تمتد

يد أثيمة طاغية ، لتهدم أركاناً من هذا البناء الإنساني الإلهي ، الذي صنعه الله فأتقن صنعه ، وقال : اشهدوا برهان توحيدي ... ويا لها من جريمة كبرى أن تتوقح هذه اليد الباغية فتسيل قطرة أو قطرات من هذا الدم البشري الزكي الذي جعله الله سببَ الحياة في هذا الإنسان ، والذي حرمه الإسلام وعصمه ، وحذر من الاعتداء عليه ، فقال الرسول : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ، وقال : « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » وقال : « لزوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم » .

ولقد كان الاعتداء على الدماء أول جريمة شنعاء ارتكبت في الأرض بين ابني آدم ، فهدد القرآن فاعلَها ، وحذر منها ، وأطال الحديث الزاجر عنها ، واعتبر الاعتداء على دم نفس واحدة اعتداءً على دماء الناس جميعاً ، لاشتراكهم في معنى الإنسانية التي يجب أن تحفظ وتصان ، فجاء في القرآن الكريم : « واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، قال : لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسُه قتلَ أخيه ، فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأةَ أخيه ، قال : يا ويلتا أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ، فأصبح من النادمين ، من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً » .

ثم جعل الإسلام جريمة الاعتداء على النفس تاليةً لجريمة الإشراك بالله ، فقال في وصف عباده : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق » . ولذلك قال خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه : « إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم » . ولم يتصور الإسلام وجود رجل مؤمن يقتل أخاً له في الإيمان والإنسانية ، ولذلك قال القرآن الكريم : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً » . وقال الرسول

صلى الله عليه وسلم : « لا يقتل القاتلُ حين يقتل وهو مؤمن » . وقال أيضاً : « إن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقاب بعض » . وقال : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً ، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً » .

وإنما حذر الإسلام من الاعتداء على الأرواح والدماء كلّ هذا التحذير لأن الحياة حين نفقدها لا نستطيع استردادها ، بخلاف الأشياء الأخرى ، فالمال مثلاً غادٍ ورائح ، والصحة قد تذهب وتعود ، والجاه قد يُعْرض ثم يقبل ، ولكن دم النفس البشرية إذا سال فخرجت معه الحياة لم يكن إلى عودته سبيل ، ولعل هذا هو السبب في أن يقول الرسول : « إن أول ما يُقْضَى بين الناس يوم القيامة في الدماء » ، لأن القاتل قد أزهق روحاً أوجدها خالقها ، ولا يستطيع إعادتها سواه ، فالله يبدأ يوم لقائه الأكبر بمحاسبة أولئك المجرمين الذين هدموا بناء الله وهم لا يستطيعون له رداً أو إعادة .

ولقد كان حكام المسلمين في عصور الإسلام المستقيمة يخافون الخوف كله من الاعتداء على الأرواح والدماء بغير حق ، وهذا خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يكتب إليه أحد ولاته ، يستأذنه في تعذيب بعض المتهمين ليعترفوا بجرائمهم ، فكتب إليه عمر يؤاخذه على ذلك في شدة ، ويقول له فيما يقول : « وايم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحبّ إليّ من أن ألقى الله بدمائهم » ، ونراه يكتب أيضاً إلى أحد ولاته محذراً له من الاعتداء على الدماء والأرواح ، ويخوفه عاقبةَ ذلك فيقول له : « واحذر القصاص ، فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » ...

وهذا يذكّر بموقف الحجاج مع سعيد بن جبير ، فقد قال الحجاج لسعيد بعد أن قبض عليه : اختر أي قتلة شئت أقتلك بها ، فقال له سعيد : بل اختر أنت لنفسك ، فإن القصاص أمامك . قال الحجاج : وكيف ؟ . أجاب سعيد ، والله لا تقتلني بقتلة إلا قتلك الله بمثلها يوم القيامة .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : « والله لزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يراق بسببي محجمة دم » ... ولقد أخطأ عمر في شبابه خطأ يتصل بالدم ، فظل طيلة عمره يذكره ولا ينساه ، وظل يستغفر ربه ومولاه ، فقد أمره الخليفة –وعمر والٍ على المدينة – أن يضرب خبيبَ بن عبدالله بن الزبير في أمرٍ أتاه ، فنفذ عمر أمر الخليفة ، وتسبب هذا الضرب في وفاة خبيب ، فظل عمر طيلة حياته خائفاً قلقاً ، لا يستقر ولا يستريح ، وكلما تقرب إلى ربه بصالحات أو قربات ، وبشروه بذلك ارتعد وارتجف وقال لهم : « وكيف بخبيب على الطريق » ؟ .

أما بعد ، فماذا يبقى للأمة من كيان أو اطمئنان إذا هانت فيها الأرواح ، واستبيحت فيها الدماء ؟ . وأين يذهب أولئك الجبارون المريقون للدماء من غضب الجبار ، وانتقام الشعوب ، ولعنة التاريخ ، وسوء المصير ؟ ...

إن الشاعر العربي قد صور حال أمته حين الفتنة والضلال عن طريق الصواب ، فلم ينس أن يحدثنا عن تذكرها لروابط الأخوة ووشائج الرحم التي تدعو إلى الاصلاح والرحمة ، فقال :

شواجرُ أرماح تقطّع بينهم	شواجرَ أرحام ملومٍ قطوعُها
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها	تذكرت القربى ففاضت دموعها

ولقد فاضت دماء النفوس الزكية في هذه الأمة ، فمتى تفيض دموع الحنان والرحمة والأخوة بينها ؟ . ولقد اشتجرت رماح البغي والفتنة ، فمتى تستيقظ مشاعر المحبة والمودة فيها ؟ . وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإسلام والحرية

السؤال : يزعم كثيرون أن أهل أوروبا وأمريكا هم الذين سبقوا إلى نشر مبادىء الحرية بين الناس ، فما مبلغ هذا القول من الصحة في نظر الإسلام ؟ .

الجواب :

يتغنى الكثيرون من أبناء الغرب بأن ثوراتهم هي التي أوجدت بين الناس مبادىء الحرية والاستقلال ، وعلمتهم كرامة النفس وإباء الاستعباد ، ولكن هذا القول باطل وزور ، فإن الإسلام الحنيف الذي شرعه الله للناس كافة رحمة ونوراً وضياء . قد سبق هذه الثورات بزمن طويل بعيد . في تقرير مبادىء الحرية والكرامة البشرية ، ومقاومة العبودية لغير الله في أي ميدان من الميادين .

لقد قرر الإسلام قبل هذه الثورات الجزئية المتأخرة مبدأ الحرية في النفس والمال والعرض ، فنفس الإنسان في الإنسان معصومة ، لا يجوز الاعتداء عليها . أو النيل منها ، وكذلك مال الإنسان معصوم لا يؤخذ منه شيء إلا بحقه ، وكذلك عرض الإنسان لا يهان ولا يخدش : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقرر الإسلام مبدأ الحرية في العبادة والاتصال بالله . فليست هناك واسطة بين الله وعباده ، ولا يتوقف اتصال الله بعبد من عباده على وساطة كاهن أو راهب أو شيخ أو مرشد . بل الله سميع بصير . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويعلم السر والنجوى . وبابه الكريم مفتوح لكل لاجىء ولكل طالب : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

والمسلم يستطيع أن يؤدي فروضه الدينية في حرية واستقلال ، فالصلاة مقبولة حيثما أداها صاحبها . فقد جُعلت الأرض للمسلمين مسجداً ، كما جُعل ترابها طهوراً . وكذلك يستطيع المرء أن يصوم وأن يؤدي الزكاة دون

احتياج إلى قائد يقيد خطواته ، أو يتعسف في توجيهاته .

وهؤلاء الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ، وهم النماذج العليا للبشرية ، وهم الذين صنعهم الله على عينه ، واختارهم لرسالته ، وجعلهم أمناء على وحيه وشرائعه وعصمهم بعصمته .

هؤلاء الأنبياء ليس عليهم إلا التبليغ : « ما على الرسول إلا البلاغ » . فهم لا يتدخلون ولا يتحكمون في نفس الإنسان ، بل يؤدون إليه أمانة ربهم ، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

ولذلك يقول الله سبحانه لرسوله الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه : « ليس لك من الأمر شيء » ، ويقول له : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين » . ويقول له : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . ويقول له : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم » .

وقرر الإسلام مبدأ التحرر من زهو الأنساب والدماء ، فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى ، والناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، ولذلك هم في نظر الإسلام كأسنان المشط في الاستواء ، وإنما يتفاضلون بالعمل الصالح ، وليس هناك شعوب راقية في دمائها وأجناسها . وأخرى منحطة في أصلها وأنسابها : « فلينظر الإنسان مم خُلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » .

والإسلام قد قرر قبل ثورات الغرب التحررَ من أسباب الخوف ، فالذين اتصلوا بربهم وراقبوه ، وأخلصوا له العبادة والطاعة ، لا ينالهم هم ولا حزن : « فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . « الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » .

بل يزيد القرآن الكريم هذا الأمر إيضاحا وإبرازاً حين يقول : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم » .

حسب المرء أن يخاف ربه وحده ، وإذا كل شيء أمان واطمئنان : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى » .

إرفع رأسك أيها المسلم ، فقد كرمك الله وكرم رأسك ، ولا تذل إلا لبارئك ، فان الذل له غاية العز والكرامة ، وإنه سبحانه مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير ، إنه على كل شيء قدير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

التعاون مع الأجانب

السؤال : **ما حكم الإسلام فيمن يتعاون مع الأجانب ضد مصلحة المسلمين ؟ .**

الجواب :

إن الأمة المؤمنة يجب أن يكون بينها تعاون ، بشرط أن يكون هذا التعاون تعاوناً سليماً قويماً ، وأن يكون هذا التعاون بعيداً عن التوجيه الأجنبي ، والتأثير الأجنبي ، والنفوذ الأجنبي .

والرائد لنا في هذا هو قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . فالآية الكريمة لم تطلب هنا مطلقَ تعاون ، بل قيدت التعاونَ بأنه على البر والتقوى ، والبر هو التوسع في عمل الخير ، والتقوى هي اتقاء كل ما

يضر الإنسان في دينه ودنياه ، سواء أكان فعلاً أم تركاً .

والتعاون الذي يحركه العدو الأجنبي ، ويراد منه التفرق والتمزق ، لا يعد تعاوناً على البر والتقوى ، ولذلك نهت الآية عن التعاون على الإثم ، وهو كل ذنب ومعصية ، ونهت عن التعاون على العدوان ، والعدوان هو مجاوزة حدود الشرع ، والخروج عن العدل ؛ ومن أكبر الذنوب موالاة الأجانب أعداء الدين والمسلمين ، ومن العدوان الاستعانة بالكافرين ضد مصالح المؤمنين ، ولذلك أوعد الله وتهدد مَنْ يخرج على صراط ربه ، فقررت الآية أن الله شديد العقاب ، أي أنه شديد المعاقبة لمن يتعاون على الإثم والعدوان .

ولقد رسم الله تبارك وتعالى لنا ميدانَ التعاون الإسلامي الصحيح ، فذكر لنا أن هذا التعاون يجب أن يكون طاهراً من التأثر بأي أثر من آثار الاستعمار أو الاحتلال أو الاستغلال أو النفوذ الأجنبي ، فقال عز من قائل : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . فإذا كان هناك تعاون بينهم، فيجب أولاً وقبل كل شيء ، أن يكون منهم وبهم ولهم وفيهم ، وأن يكون منزهاً عن كل غرض ومرض ، وأن يكون خالصاً مخلَصاً لوجه الله والدين والوطن . وأن يكون من أناس قد التزموا هدىَ الله في أعمالهم وتصرفاتهم ، فلم يستبدوا بالناس في حكمهم ، ولم يهضموهم في حقوقهم ، بل أشاعوا العدالة والمساواة والأخوة والشورى ، ولم يجعلوا الحكم مغنماً ، بل جعلوه تكليفاً وواجباً ، ولم يربطوا أنفسهم بعجلة مستعمر أو دخيل ، بل حرروا بلادهم وأنفسهم من الطغيان والبهتان ، وحققوا لأنفسهم وإخوانهم الحريةَ والعزة والكرامة ، لأن الله تعالى يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، إن كنتم مؤمنين » . ويقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

وإذن فليس في الإسلام مكان لمن يتظاهرون بالعمل من أجله أو لأهله وهم قد ظلموا المسلمين ، وسرقوهم أموالهم ، واستبدوا بخيراتهم ، ومنعوهم حقوقهم ، وجعلوا الأمة فرقاً ، فقلة منها تتمتع بكل نعيم ، وتتقلب في كل

ترف . وتغرق في طوفان من الأموال والشهوات والملذات ، وبجوارها كثرة تعيش في فقر وجوع وجهل ومرض وحرمان ، وما لهذه القلة من ميزة او فضل سوى أنها ترتبط برابطة القرابة أو النسب أو الصداقة مع هؤلاء المستبدين الطغاة ، وما لهذه الكثرة من ذنب أو عيب سوى أنها تمثل السواد الأعظم من الأمة صاحبة الحق في طاقاتها وخيراتها .

إنا نعلم حكم الله تعالى فيمن يتعاون مع الأجانب الأعداء ضد مصلحة بلاده وقومه وأمته وعقيدته . وإنه لحكم شديد صارم ، فالقرآن الكريم يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

ويقول : « ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ، ما هم منكم ولا منهم ، ويحلفون على الكذب ، وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذاباً شديداً ، إنهم ساء ما كانوا يعملون » .

ويقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

ويقول : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » . وأي ظلم أشد من كفر الأعداء الذي يدفع أصحابه إلى إذلال المسلمين ، والاعتداء على أوطانهم وبلادهم وحرياتهم ، وإخراجهم من ديارهم ؟ .

ويقول الله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » . فكيف بالذين يريدون أن يخضعوا رقابَ المسلمين ليطأها أعداء المسلمين ؟ .

ومن هذا البيان يتضح أن الحاكم في الإسلام يجب أن يكون في خدمة الأمة ، عاملاً على تحقيق العدالة بين أبنائها ، حريصاً على أن تبقى خيراتها لها ،

ويجب عليه أن يكون كما قال أبو بكر الصديق عندما تولى الخلافة : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، والضعيف منكم قوي حتى آخذ الحق له » .

وإذا انحرف الحاكم فتعاون مع أعداء الإسلام والمسلمين ، الذين يتربصون بالأمة المؤمنة الدوائر ، ويكيدون لها في الأرض ، كان واجباً على الأمة ألا تطيعه في ذلك ، لأن الرسول يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . ويجب على الأمة أيضاً أن تمنعه من ذلك بكل وسيلة تحقيقاً لقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

تطبيق الشورى

السؤال : **لماذا فرض الله نظامَ الشورى ؟ . وكيف يكون تطبيق هذا النظام ؟ .**

الجواب :

رضوانُ الله على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعلى أكبر تلاميذه السيد رشيد رضا ، فقد عُنيا عنايةً واضحة بموضوع الشورى ومقاومة الاستبداد ، لإيمانهما بأنه إذا انعدمت الشورى ، أو لم يُرْعَ لها حقُّها ، فإن الاستبداد هو البديل منها والذي يحل محلها إذا ذهبت ، والاستبداد فساد .

وظل الأستاذ الإمام يؤكد هذا المعنى في كل مناسبة ، حتى لحق بربه سنة خمس وتسعمائة بعد الألف .

وظل من بعده تلميذه الأكبر الشيخ رشيد رضا حتى صيف سنة ١٩٣٥ م وهو يدور في فلك هذا المعنى كلما لاحت له مناسبة .

وكانت هذه العناية من الأستاذ الإمام وتلميذه صراحةً رائعة في عصر استحكم فيه الاستبداد ، ورأى الحاكم نفسَه كلَّ شيء في المجتمع ، فهو الذي يأمر وينهي ، ولا مبدل لحكمه ، ولا معقب على قوله .

وإذا كانت الشورى لازمة وفضيلة ، وأمراً مهماً من أمور الإسلام ، فالإنسان يوقن أن هذه الشورى هي مركز الدائرة في المجتمع الإسلامي ، ولا يمكن لهذا المجتمع أن يصحح وجودَه أو يستمر في وجوده إلا بهذه الشورى ، لأن المجتمع الإسلامي يقوم على حاكم يرعى أمورَ الله في الأمة والشعب ، وهذا الحاكم لا يأتي إلى مقعد الولاية والإمامة والحكم إلا عن طريق الشورى التي تتمثل في البيعة الحرة الخالصة المخلصة .

وإذا كان القرآن الكريم قد كرر ذكرَ الشورى ، فإني أفهم معنى من نزول آيتين ذكرتا مادة الشورى صراحة ، الآية الأولى قول الله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » وهذا النص الكريم الذي ورد في سورة الشورى المكية يسبق في النزول النصَّ الآخر الذي جاء فيه قول الله تعالى : « وشاورهم في الأمر » . وهو في سورة آل عمران ، فقوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » جاء في سورة مدنية ، والجو الذي سيق فيه كان في أعقاب غزوة أُحد ، وعندما قال الله تعالى في السورة المكية السابقة نزولاً : « وأمرهم شورى بينهم » ، أراد أن يقول إن السمة الأساسية للمجتمع الإسلامي والمسلمين أن يأخذوا بمبدأ الشورى في أمورهم ، ما تعلق منها بدنياهم ، وما احتاج منها إلى الرأي، حتى ولو كان متعلقاً بأمر ديني من جهة التطبيق ، أو الوسيلة إلى تحقيق هذا الأمر الديني . دون أن تتطرق الشورى إلى ما جاء فيه نص ، لأنه لا شورى مع النص ، كما أنه لا اجتهاد مع النص .

وبعد أن أنزل اللهَ تعالى قوله : « وأمرهم شورى ببينهم » وكان هذا خبراً عن شأن الأمة كلها ، يخيل للإنسان أن النص القرآني أراد أن يؤكد معنى الشورى ولزومها ، حيث لا يكون فيها استثناء لأحد من الأمة المؤمنة ، فعاد القرآن الكريم يقول مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : « وشاورهم في الأمر » وكان هذا إيحاءً بأن فضيلة الشورى ينبغي أن تكون ملتزمة من أقل

فرد في هذا المجتمع المسلم إلى أعلى فرد فيه ، وهو سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولذلك يقول بعض المفسرين : إن الخطاب هنا يتضمن الأمرَ للرسول ، والأمر للرسول يتضمن إيجابَ أخذ الشورى من الصحابة بالنسبة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد عرض لنا القرآن الكريم في قصصه الطيب الصادق ما يوحي بأن الشورى كانت شيئاً فطرياً ، حتى عند الناس الذين عقلوا أمورَ الحياة ، وإن لم يدخلوا في رحاب الإيمان بالمعنى الديني . فقص علينا قصة ملكة سبأ عندما جاءت رسالة سليمان إليها وجمعت قومها أو مستشاريها ليدلوا بآرائهم في هذه الرسالة : « قالت : يأيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين » .

وهذه الشورى إذا لم تكن لازمة ملزمة فلا معنى للمطالبة بها . والشورى أولاً ليست فيما فيه نص ، وما أُوحي إلى الرسول فلا جدال فيه . وشواهد السنة النبوية مع السيرة النبوية تدلنا على هذا بوضوح .

والأمر الثاني أن الشورى لا تلتزم مستوى واحداً ، فهناك شورى عامة ، وشورى خاصة . شورى عامة إذا كان الأمر يقضي بأن تستفتى فيه الأمة كلها ، ويمكن أن نجعل من قبيل هذه الشورى العامة موقف الرسول عليه الصلاة والسلام عندما تحدث إلى المسلمين قبيل غزوة بدر الكبرى ، لأنه كان يتخاطب مع الجميع ، حتى يتأكد من أن الأنصار في صف الحرب ، وأن المهاجرين أيضاً في صف الحرب ، وكذلك عندما بحث موضوع الخروج إلى غزوة أحد .

وهناك شورى يمكن أن نسميها بالشورى الخاصة ، وهي فيما يتعلق بالمسائل التي تحتاج إلى خبرة خاصة ومستوى خاص من الرأي ، ويمكن أن نعد من شواهد هذا ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام عقب غزوة بدر من استشارة أبي بكر وعمر في شئون الأسرى ، فما كان من الميسور أن يجمع الرسول الأمة مرة أخرى ليستفتيهم في أمر الأسرى .

الأمرُ الثالث : أن الآية تقول : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت

فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » .

هذه الأوامر الثلاثة يظهر أن المراد بها الوجوب . ولا يصرف عن الوجوب إلا صارف ، فإذا قلنا إنه ليس بواجب على الرسول أن يلين أو أن يستغفر لمن أمره ربه بأن يستغفر لهم ، لما كان هذا لائقاً أبداً بجلال مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته التي جعلها الله شاملة للعاملين .

فلا شك أنه سيلزم هذا ويلتزم به ، وبالتبع لذلك قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » لا بد وأن يكون أمراً قد أوجبه اللهعلى الرسول عليه الصلاة والسلام . ومتى أوجب الله تعالى على الرسول أمراً فلا بد وأن تكون له ثمرة .

ولا مانع إطلاقاً من أن تكون الثمرة المرادة من وراء مطالبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشاورة هي أن يعلِّم وأن يبين أن المشورة لازمة وملزمة ، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى رأياً وأبداه وأعلنه ، ثم رأى النبي الجمعَ متجهاً إلى رأي آخر : فأطاع هذا الرأيَ العام .

ثم يأتي قوله تعالى : « فإذا عزمت فتوكل على الله » . فالمشورة تقتضي أن يُعرض الموضوع ، وتستطلع وجهات النظر من مختلف الحاضرين على المستوى الصالح منهم لإبداء الرأي ، فإذا اتفق الجميع أو وافقت الأغلبية على رأي أصبح هذا ملزماً . وأصبحت المرحلة التالية لهذا الرأي الملزم هو التطبيق والتنفيذ : « فإذا عزمت » فإذا شرعت في التطبيق والتنفيذ ، بعد أن استطلعت وجهات النظر ، وأعطيت كيان الاحترام لهذا الاجماع أو لهذه الأغلبية . فابدأ في التطبيق مع من حولك ، لانه لا يتصور ان الرسول ينفرد بتنفيذ كل الامور وحده « فتوكل على الله » أي فاستعن الله سبحانه وتعالى في أن يوفقك ومن معك إلى تحقيق ما اتفقت الكلمة عليه .

وكان من الممكن أن يقول : فإذا استعرضت الآراء فاختر ما تلهم به . ولكنه قال : إذا عزمت بعد المشورة فتوكل على الله . وابدأ بالتنفيذ وأنت مطمئن إلى قلوب من معك وإلى عقولهم .

هناك نقطة أخرى ، هي أنه يقال إن جمال الدين الأفغاني قال : لا يصلح هذا الشرق إلا بمستبد عادل . وحاول طغاة من الحاكمين في مختلف بقاع الأرض أن يستندوا إلى هذه القولة مبررين ما وقع منهم من استبداد ، مع أن أمير الشعراء أحمد شوقي قد رد على هذا الاتجاه عندما قال في كلماته المنثورة الحكيمة: «جئني بالنمر العاقل أجئك بالمستبد العادل»، رحمه الله رحمةواسعة.

وأكد حافظ إبراهيم هذا المعنى عندما قال في قصيدته العمرية :

رأيُ الجماعة لا يشقي البلاد بـــه
رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيهـــا

وهناك من يتعلل ببعض المواقف التي وقفها بعض الخلفاء الراشدين الذين خلفوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قيادة هذه الأمة .

يتعللون مثلاً بأن أبا بكر قد كتب عهداً لعمر ، ويقولون ها هوذا أبو بكر سن في الإسلام سنةً ، هي تولية شخص دون شورى ودون اختيار ، وهذا مردود عليه بأن أبا بكر قد قام بعملية الشورى قبل أن يكتب العهد ، فكتابة العهد من أبي بكر ليست إلا ترشيحاً منه لعمر باعتبار.أنه أصلح الناس للخلافة من بعده ، وبقي الرأي بعد هذا للأمة . ولذلك جاء في بعض الروايات التاريخية أن عمر وقف على المنبر ، وأشار إلى خطاب أبي بكر وقال : هل توافقون عليه ؟ . فقال له أحد من عامة الناس : نريد أن نعرف ما في الكتاب ، فقال له : لا أعرف ، لأنه لم يُفتح بعد . فقال الرجل ببساطته العربية أو فطرته البدوية ، التي لا تمنعه من أن يعارض شخصاً مرشحاً للخلافة ، قال له : لكني والله أعلم ، لقد رشحته عام أول ، ورشحك هذا العام .

ارتفع هذا الصوت النافر ، الشديد الصارم ، وعلى الرغم منه بايع المسلمون عمر بن الخطاب ، فكانت بيعة أعقبت الترشيح الذي تقدم به أبو بكر ، وهذا مبدأ معتاد ومعترف به من سائر الدول التي تزعم أنها متحضرة متمدينة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

بين الشريعة والقانون الوضعي

السؤال : **أفما آن الأوان للرجوع إلى التشريع الإلهي الحكيم ، بدل الإبقاء على القوانين الوضعية ، التي ظهر قصورها ونقصها ؟ . نرجو منكم الجواب .**

الجواب :

الإجماع منعقد على أن هدى الله تعالى هو أحقُّ بأن يتبع ، وأن شريعة الرحمن خير من شريعة الإنسان ألفَ مرة ، مهما كان ذلك الإنسان. فالحكم لله ، والهدى هدى الله . ومَنْ أعرض عن هدى الله ضل سواء السبيل . ولكن المهم هو أن نتعرف حاضرنا بالنسبة إلى هذا الموضوع ، والواجب نحوه . ورسم الخطة للغد الذي نأمله . وأعتقد أن الوقت الحاضر من أصلح الأوقات للاتجاه إلى شريعة الله عز وجل ، والأخذ منها ، والاهتداء بها ، والتقيد بأحكامها ، لأن الأمة عبّرت عن هذه الإرادة ، واتجهت إليها ، وطالبت بها . وبالأمس كنا نتعلل بوجود الاحتلال ، وبغي المحتل ، وبظلام الاستعمار . **وظلم المستعمر ، وبأن أمرنا ليس في ايدينا ، ونحن الآن نملك امرنا ، ونستطيع ان نتصرف كما نريد في بلادنا .**

وأذكر بهذه المناسبة أن بعض العلماء وكنت منهم قد طالبوا في المؤتمر الوطني الذي انعقد في صيف سنة ١٩٦٢ بأن تكون الشريعة الإسلامية أساس التشريع والتقنين في الوطن العزيز ،وفي جلسة ٢٨ مايو سنة ١٩٦٢ من جلسات **هذا المؤتمر تحدثتُ وطالبت بالنص على ان يكون «دين الدولة الرسمي هو الاسلام» لأن** تقرير هذا المبدأ يستوجب الاهتداءَ بهذا الدين ، وعدم الخروج عليه ، وفي اليوم التالي (٢٩ مايو سنة ١٩٦٢) تقدمت إلى المؤتمر بكلمة قلت فيها : **« أقترح أن تكون شريعة الله الفاضلة هي مصدر التقنين عند تغيير القوانين ، لأن في الإسلام العظيم من المبادىء الفقهية والقواعد القانونية ، التي تحدد العلاقات الفردية والجماعية والدولية ، والتي تنظم مختلف الشئون في المجتمع ، ما يصلح أن يكون ينبوعاً ثراراً يفيض بما نتطلع إليه من أسس العدالة والأخوة والمساواة .**

وقلت أيضاً : « إن شخصيتنا العربية المؤمنة تكتمل حقاً حينما تستمد قوانينها من وحي عقيدتها وأساس يقينها » .

لكننا في الواقع نحتاج قبل الخطوات العملية في تطبيق الشريعة الغراء – إلى قطع مرحلة مهمة لا بد من قطعها بإتقان وإحسان . وهذه المرحلة هي مرحلة الاقتناع على جميع المستويات بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكي تمدنا بكل الأحكام اللازمة ، في مختلف مجالات القوانين . ما بين مدنية وجنائية وتجارية . وأحوال شخصية وغيرها . وربما كان كلام المسلمين أو علمائهم في هذا المجال . ليس هو كل شيء . وربما قوبل كلام هؤلاء بسوء الظن أو سوء التفسير ، إذ يقال إن هذا كلام « أهل الحرفة » ، ولكن لو رجعنا إلى كلام غير المسلمين من باحثين ومفكرين ومستشرقين . ووجدنا فيه شهادات عديدة على أن الشريعة الإسلامية كفيلة بتحقيق حاجات المجتمع القانونية . كان ذلك دليلاً مُقْنعاً لمن لا يريد أن يقتنع ، والفضل ما شهدت به الأعداء . وإذا كان غير المسلمين يشهدون للإسلام وشريعته . فكيف يتأبى على الاستجابة مَنْ يتخذونه لأنفسهم عقيدةً وديناً ؟ .

إن صلاحية الشريعة شهد بها الأعداء قبل الأولياء . ففي المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في مدينة « لاهاي » سنة ١٩٣٧ تقرر بعد بحث ومراجعة وتمحيص أن « الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة ، وهي صالحة لمجاراة التطور الحديث » ، ومثل هذا تقرر في هيئة الأمم المتحدة عند إنشاء « محكمة العدل الدولية » فقد تقدم إلى الهيئة أفراد مسلمون وشرحوا لها أن البلاد الإسلامية رقعة واسعة تشغل حيزاً كبيراً من الكرة الأرضية ، وأن أبناء هذه البلاد يؤمنون بشريعة لها أصول ومبادىء وتعاليم ، وفيها أحكام وقيم ، وأنه ينبغي أن يعين في هذه المحكمة الدولية قاضٍ مسلم يمثل هذه البلاد الإسلامية ويمثل أبناءها ، واقتنع القوم في هيئة الأمم المتحدة ، واستجابوا فعينوا قاضياً مسلماً يمثل هذه الأقطار .

وهناك الباحث القانوني الإيطالي المشهور « بيولا كازيلي » الذي كان مستشاراً لوزارة العدل مدة طويلة . هذا المستشار قد شهد للاسلام وشريعته وأحكامه ، فقال : « إنه يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية .

فهي أكثر اتفاقاً من غيرها مع روح البلد القانونية » .

وفي صيف سنة ١٩٦٢ — استقدمت حكومة مصر خبيرين أجنبيين في شئون الإدارة وتنظيمها ، وهما لوثر جيوليك وجيمس بولوك ، ووضع هذان الخبيران تقريراً عن تنظيم الإدارة الحكومية في بلادنا ، وقد عقدا في أول التقرير فصلاً له قيمته وأهميته وصلته الوثيقة بالموضوع الذي نبحثه الآن ، فقد قالا في هذا الفصل : « لا يمكن بحث خطط إعادة التنظيم لجهاز أية حكومة أو إجراءاتها بمعزل عن تعرف التيارات العامة التي تسود الأمة ، والمعتقدات الأساسية التي تدين بها » .

وقالا أيضاً في هذا الفصل : « شرع الله الدولة كنظام أخلاقي وسياسي واقتصادي ، وللانسان أن يشكل هذا النظام بفضل ما يتاح له من اتساع المعرفة والخبرة والتفكير ، وذلك على أساس المبادىء الأخلاقية الأساسية المقررة » ، وقالا أيضاً : « الثقافة الإسلامية من أصلح الأسس للحكم الناجح في العصر الحديث ، وليس هذا فحسب ، بل إنها كذلك تقدم للشعب المصري المبادىء التي يمكن أن يقيموا عليها ديمقراطيتهم الجديدة » .

هذا كلام قاله خبيران أجنبيان لا يدينان بالإسلام ، وقالاه في تقرير رسمي حكومي ، طلبته اللجنة العليا لتنظيم الإدارة الحكومية في هذا الوطن العزيز ، فيبقى بعد هذه الشهادات شك في أن الشريعة الإسلامية صالحة لإمداد المجتمع بالقوانين العادلة الفاضلة ، المحققة للسعادة في الدنيا والآخرة .

ونحتاج بعد الاقتناع الفكري بهذه الصلاحية في شريعة الله الغراء أن نقوم بمهمة كبرى لها جلالها وخطرها ، وهذه المهمة هي ما نستطيع أن نسميه « تقنين الشريعة » ، أي صياغة مبادئها وأحكامها في مواد قانونية مرتبة ، على المألوف في صياغة المواد القانونية في العصور الحديثة ، بحيث تبوب هذه الأحكام وترتب ، وتصاغ بيسر ووضوح ، وبحيث يظهر فيها الحكم الشرعي بسهولة ، وبحيث يستطيع القاضي أو الباحث أن يرجع إلى الباب الذي يريده والمادة الشرعية التي يتطلبها ، وبحيث تستوعب هذه المواد أنواعَ القوانين من مدنية وجنائية وتجارية ودولية ودستورية وشخصية ، وغير ذلك .

ونحن لا ننسى أن هناك محاولات قد بُذلت لتحقيق هذه الفكرة ، ولكنها لم تتم على الوجه الكامل ؛ والتاريخ يروي مثلاً أن الشيخ محمد الجزائرلي كان مفتياً للجزائر ، ثم تولى منصب الإفتاء في مدينة الإسكندرية سنة ١٨٣١ م . وطلب منه الحاكم حينئذٍ أن يقوم بتقنين الشريعة ، ولكن ذلك لم يتم لأسباب لا يتسع المجال لتفصيلها .

وفي سنة ١٣١٧ هـ تقريباً وضع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده تقريراً ضافياً عن أحوال المحاكم الشرعية ووجوه إصلاحها ، وأحصى في هذا التقرير الأمور التي تحتاج إلى الخضوع لأوامر الشريعة الغراءِ ، ثم قال : « كل ذلك يجب أن يوضع بين يدي لجنة من العلماء ، ليستخرجوا من الأحكام الشرعية ما فيه شفاء لعلل الأمة في جميع أبواب المعاملات ، خصوصاً ما لا يمكن النظر فيه لغير المحاكم الشرعية ، من الأحوال الشخصية والأوقاف . ويكون ما يستخرجونه كتاباً شاملاً لكل ما تمس إليه الحاجة في تلك الأبواب . ويضم إلى ما يستخلص في أبواب المرافعات الشرعية ، ويصدر الأمر بأن يكون عمل القضاء عليه » ، ولكن هذا الاقتراح الذي أراده الإمام لم ينفذ ، وإن كان هناك بعض العلماء قد قاموا بجهود فردية مشكورة في هذا المقام .

وفي سنة ١٩٤٨ تحققت محاولة طيبة في مجال « تقنين الشريعة » ، إذ تألفت لجنة من علماء الأزهر الشريف ورجال القانون في الجامعة ، لوضع مواد للقانون المدني مستمدة من الشريعة الغراء ، وكان ذلك بمناسبة أن الدكتور عبد الرزاق السنهوري تقدم إلى مجلس الشيوخ في ذلك الوقت بمشروع للقانون المدني استمده من القوانين الأوروبية ، ولم يجعل الشريعة فيه المصدرَ الأساسي له ، **فقامت هذه اللجنة بمقارنة مواد هذا القانون بمواد استخلصوها من المذاهب الفقهية** الأربعة ، وأبانوا بالدليل والبرهان والنص والمقارنة أن مواد الشريعة أحسن وأحكم من مواد القوانين الأخرى ، وكانت اللجنة تورد المادة من القانون وتضع أمامها النص الشرعي ، وتذكر مصادر النص في كتب الفقهاء ، ثم تقارن بين المادة القانونية والمادة الشرعية ليبين فضل الشريعة .

وقد وضعت اللجنة كتاباً أسمته « العقد » بينت فيه عملياً كيف يمكن أن

تكون مصادر التشريع الإسلامية كفيلة بسد حاجاتنا القانونية ، ومحققة للعدالة والسعادة في المجتمع ، وكان المأمول أن تستمر اللجنة في عملها أو يقوم مقامها أو بعدها لجان أخرى لتواصل « تقنين الشريعة » . حتى نرى الكنوز العظيمة الموجودة في الفقه الإسلامي قد صيغت في مواد . وعُرضت بترتيب وتنسيق على أسلوب حديث . ولكن هذا لم يتحقق إلى الآن .

وإذا كنا نطالب ولاة الأمور في العالم الإسلامي بأن يقوموا بخطوات إيجابية في الاحتكام إلى هدى الله تعالى وشريعته . فإن العلماء الرسميين أصحاب المناصب الملحوظة في الأمة الإسلامية يجب عليهم أن ينهضوا بتبعتهم في هذا المجال . فيدفعوا بالولاة نحو هذه الخطوات . وإن العلماء الباحثين القادرين على الاطلاع والاستنباط والتقنين والترتيب يجب عليهم أن يبادروا إلى إتمام واجب التقنين الشامل للشريعة الغراء . حتى لا يبقى أمام ولاة الأمور في المسلمين عذر حين يقولون : إننا نريد مواد مبوبة مرتبة مقننة مفصلة . لنضعها موضع ما نتركه من قوانين وضعية .

وينبغي أن نتذكر أن مهمة « تقنين الشريعة » ليست سهلة أو قصيرة المدى . بل هي تحتاج إلى همم وعزائم . وتحتاج إلى جَلَد وصبر . وتحتاج إلى علماء أعلام . لا إلى أدعياء أو أقزام . ولنتذكر هنا أن « القانون الألماني » مثلاً لم يتم وضعه إلا بعد وقت طويل . ففي سنة ١٨٧٤ تألفت في ألمانيا لجنة لوضع الخطة العامة الأساسية للتقنين . ثم تألفت بعدها لجنة لوضع النصوص بصورة مبدئية . وانتهى هذا الوضع المبدئي سنة ١٨٨٠ . ثم اجتمعت اللجنة مكتملة لمناقشة النصوص التي وضعها الأعضاء المتخصصون . وظلوا في المناقشة والمباحثة سبع سنوات ، أي إلى سنة ١٨٨٧ .

ثم نشروا هذا القانون على الرأي العام . ليبدي فيه رأيه ويناقشه ، وأُبديت ملاحظات على طريقة تكوينه وصياغته . فألف المجلس التشريعي الألماني لجنة أخرى أكثر من الأولى عدداً . وفيها رجال قانون وصناعة وتجارة ومال ... إلخ ، واستمرت هذه اللجنة تعمل حتى سنة ١٨٩٥ . وعرضت ما عملت على مائدة المناقشة ، وكانت نتيجة هذه المناقشة أن أدخلوا على

القانون تعديلاً في سنة ١٨٩٦ ، ثم أقروه بعد ذلك ...

ومعاذ الله أن أكون قد قصدت شيئاً من المماثلة أو المشابهة بين قانون وضعي وقانون الله العلي الأكبر ، ولكني أردت فقط أن أبين أن وضع المواد القانونية يحتاج إلى جهد وصبر ، فإذا تذكرنا أننا سنقنن شريعة الله سبحانه ، وأننا سنضع الأحكام الإلهية في مواد ، عرفنا أنه يجب علينا أن تتوافر فينا الخبرة والدقة والأمانة والإخلاص ، وعرفنا أنه يجب علينا ألا نضيع وقتاً جديداً دون الإقدام على أداء هذا الواجب . حتى نستطيع بأدائه أن نقدم إلى الإنسانية قارورة الدواء مع طريقة الاستعمال ، وصدق العلي الكبير : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . والله جل جلاله المسئول أن يوفقنا للاهتداء بهديه . والاحتكام إلى شريعته .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

فضل الإسلام على العروبة

السؤال : **إلى أي مدى كان فضل الإسلام على العروبة والعرب ؟ .**

الجواب :

من الكلمات التي نحرص على ترديدها لإيماننا بمضمونها قولنا : « العروبة وعاء الإسلام ، والإسلام روح العروبة » . وأعتقد أن هذه العبارة الوجيزة المركزة تضع الملامحَ الرئيسية على طريق معرفة العلاقة بين الإسلام والعروبة ، وتبين لنا فضل الإسلام على العرب وعلى العروبة ، فحين نقول : إن العروبة وعاء الإسلام نكون قد أكسبنا العروبة شرفاً أي شرف ، لأن خير رسول لآخر رسالة تبقى في الوجود إنما كان في العرب ومن العرب . فالله سبحانه وتعالى جعل دعوته الإسلامية العالمية تبدأ من أرض العرب ، وجعل رسولَ هذه

الدعوة الخاتم الجامع رجلاً من خلاصة العرب ، وجعل القرآن الكريم ـ وهو عماد هذا الدين ودستوره ـ بلغة تلك الأمة ، ثم جعل أوائلَ المؤمنين منها ، وهذا معنى قولنا : « إن العروبة وعاء الإسلام » . وحينما يختار الله سبحانه وتعالى بعلمه وحكمته وتقديره الوعاءَ العربي ـ ممثلاً في اللغة وفي الأشخاص وفي المكان وفي وسائل الدعوة ـ يكون هذا من غير شك تكريماً للعرب أي تكريم ، وتمجيداً للعروبة أي تمجيد .

أما أن « الإسلام روح العروبة » فيمثل ذلك في مظاهر كثيرة جداً ، حيث نستطيع أن نقول : إذا لم يكن للعروبة مددها من الإسلام ، ورصيدها من الإيمان بدعوته ، واستضاءتها بنور مبادئه وقيمه . فإن هذه العروبة لا تثبتَ أقدامها في طريق الحق ، ولا تصابر على الاستمساك بكلمة الصدق .

إن أعظم مفخرة تنالها أمة قد جعلها الله من حظ العرب . فقد اختار الله من الأمم المختلفة السابقة أنبياء ومرسلين ، كانت لهم دعوات محدودة بحدود الزمان والمكان والإنسان . فلما أراد أن يمن على خلقه برسالة تشمل الأبعاد الواسعة للزمان والمكان والإنسان ، اختار لها محمداً صلى الله عليه وسلم ، من هذه الأمة العربية ، فكانت تلك مفخرة من أعظم المفاخر ، أو تكاد تكون أعظم المفاخر لأي أمة من الأمم .

فإذا رأينا فرنسا مثلاً تفاخر بنابليون ، وانجلترا تفاخر بشكسبير ، وأمريكا تفاخر بشخص إبراهام لنكولن ، فإن هذه الشخصيات التي تفاخر بها تلك الأمم تكاد تنمحي وتزول إذا ما ذكرنا المفخرةَ الكبرى التي خص الله بها أمة العرب ، وهو خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ، سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم .

كذلك كان فضل الإسلام على العرب أنه ألقى صيغة التكريم الإلهي على عدد كبير من العرب الذين سارعوا بالاستجابة للدين ، وحملوا أمانته . فأصبح هؤلاء الذين كانوا في عهد الجاهلية جبابرةً أو طغاة في الأرض ، أو غير مقيدين بقيود من القيم . أو بحدود من المبادىء . أصبح هؤلاء بنور الإسلام أفراداً ترضى عنهم الملايين في مشارق الأرض ومغاربها . فعمر بن الخطاب

الذي وُصف على لسان أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) بأنه كان جباراً في الجاهلية ، قد استضاء بنور الإسلام ، فأصبح يُنعت بأنه « سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق » ، وكلما ذكرناه رددنا كلمة : « رضي الله عنه » . ولا شك أن رضى الله الذي ترجوه الأمة المؤمنة من ربها نوع من صبغة التكريم الإلهي لهؤلاء الأفراد ، وهذا فضل كبير من الإسلام على الأمة العربية .

ومن فضل الإسلام على الأمة العربية أيضاً في هذا المجال أنه وهب صبغةَ القداسة للغة العربية ، عندما أنزل بها كتابَه الدائم الباقي ، فبعد أن كانت العربية لغة أدب وشعر وفصاحة وأسمار ، أصبحت لغة أمة ولغة عقيدة . وكسبت بكونها لغة عقيدة القداسةَ اللغوية التعبيرية ، فصرنا مأمورين شرعاً بأن نتعبد لله بتلاوة أسلوبها وتعبيرها . فأنا أقف بين يدي الله تعالى مصلياً ، فإذا دعوته أو ناجيته أو تقربت إليه كان ذلك بآيات من القرآن العربي المبين . وإذا كان المعنى من مدد الله ، فإن الله تعالى قد اختار الوعاءَ التعبيري لهذا المدد ، فجعله لغة العرب . وهذا تشريف للغة العربية أي تشريف ، وتقديس لها أي تقديس .

وفوق هذا كسبت اللغة العربية بفضل الإسلام صفةَ الخلود والبقاء ، فما دام في الأرض دين الله ، وما دام فيها الإسلام ، وما دام فيها مؤمنون ، فلغة العرب مقدسة ، وهي لغة عقيدة ، ولغة أدب ، ولغة خطاب . لأن هذا البقاء يرتبط بمضمون قول الله تبارك وتعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فلغة العرب محفوظة بقدرة الله تبعاً لحفظ ذكره ، وحفظ دينه ، وبقاء عقيدته في الأرض ، وهذا شرف لم تنله أي لغة من لغات الأرض ، وهو أن تصبح العربية لغة دينية عقَدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولولا نزول القرآن الكريم لغلب على الظن أن تبيد هذه اللغة العربية وتنمحي من الوجود ، ولا سيما خلال الأوقات الطويلة المدى التي أُصيب فيها العرب بالضعف أو الانخذال أو بالتحكم الأعجمي بلغاته وأساليبه .

كذلك من فضل الإسلام على العرب أنه — بسبب امتزاج الوعاء العربي بالروح الإسلامي — أصبح غير العربي لا يكاد يفرق بين كلمة « عربي »

وكلمة « مسلم » ، فإذا خرجنا من العالم العربي إلى العالم الإسلامي غير العربي ، وقيلت كلمة « عربي » فإن غير العربي المسلم لا يكاد يفرق بينها وبين كلمة « مسلم » فهو يعطي لهذا العربي من التكريم والمحبة والمودة ما يفهم أنه يؤدي به واجب المسلم لأخيه في العقيدة والدين ، وقد جاء هذا من فضل الإسلام . وأنه مزج بين التاريخ العربي والتاريخ الإسلامي ، ومزج بين لغة القول ولغة العقيدة ، ومزج بين أفرادٍ هُمْ أعلام في قومهم ، وهم في الوقت نفسه دعاة أعلام من أجل عقيدتهم .

كذلك من فضل الإسلام على العرب أنه جعل لهم رسالة . وأنا لا أذهب إلى القول بأن العرب قبل الإسلام كانوا مجردين من كل القوى أو كل الطاقات . ولكني أعتقد أن الأمة العربية كانت أشبهَ بالقوى المبعثرة من الأفراد الذين كان أمرهم فُرُطاً ، فجاء الإسلام فجعل للعرب هدفاً ورسالة وخطة . وفي هذه الناحية أعتقد أن الإسلام حقق للأمة العربية قوتين ، ونستطيع أن نسمي القوة الأولى « قوة واقية » : : وأن نسمي القوة الأخرى « قوة دافعة » . ففيما يتعلق بالقوة الواقية . جاء الإسلام وجمع هذه الأمة العربية . ونظمها . وربط بين أفرادها وطبقاتها وجماعاتها وقبائلها . ووحد كلمتها ، وحصنها بالمبادىء ، وجمّلها بمكارم الأخلاق . وأعطاها من المستوى النفسي والخُلقي والديني ما يجعلها أمة قوية محصنة . تتأبى على غزوات الغازين وتطاول المتطاولين . فهذه قوة حصانة ووقاية . حققها الإسلام على أوسع نطاق للأمة العربية التي كانت نهباً مقسماً لغيرها من الأمم .

أما القوة الدافعة التي حققها الإسلام للعرب ، فهي أنه جعلهم بقوة المبادىء الإيمانية التي غرسها في صدورهم . لا يكتفون بتحرير أنفسهم ، أو إعزاز أرضهم . أو تحقيق وحدتهم داخل جزيرتهم ، بل أرسلهم دعاةً خارج الجزيرة العربية ، ليفتحوا بلاد الله باسم الله ، وينشروا مبادىء الله سبحانه وتعالى في الأرض . وبعد أن كان هؤلاء القوم بالأمس رعاةً للإبل أو الغنم ، حوّلهم الإسلام — بقدرة الله سبحانه وتعالى — إلى قادة للشعوب والأمم .

وإذا أردنا أن نسترسل في وجوه الفضل الإلهي الإسلامي على الأمة العربيه

فإننا سنصل في النهاية إلى أن الأمة العربية لم تكن ذات قوة ملحوظة ، فجاء الإسلام وأعطاها القوة في كل المجالات . وكانت الأمة العربية في جاهليتها مجموعةً من القوى المعطلة ، أو الطاقات المهملة ، أو العناصر الموجّهة إلى غير طريقها ، فجاء الإسلام ووضع هذه القوى في مكانها الطبيعي ، ووجه هذه الطاقات الى طريقها السوي ، فأخرجت ما أخرجت من الخيرات والثمرات .

ولعل هذا يذكّرنا بما فعله الإسلام من فضل كبير عندما وجه العادات العربية وجهةَ الخير والحق والعدل . فقد جاء الإسلام ووجد عند العرب شجاعة ، ولكنها كانت شجاعة رعناء ، يستغلونها للتباهي والتفاخر ، فحوّل الإسلام هذه الشجاعةَ من ميدان الطغيان والبغي والتقاتل على أتفه الأشياء ، إلى ميدان الجهاد في سبيل الله ، وهو سبيل الحق والعدل ، والخير والبر ، والاصلاح بين الناس .

وجاء الإسلام فوجد في العرب عادة الكرم . ولكنه كرم مجنون . يتفضل الرجل منهم بعطائه لكي يُمْدَح بقصيدةٍ . أو يقال إنه حاتم قومه . فجاء الإسلام وحوّل طاقة الكرم ، إلى الإنفاق في سبيل الله ، إلى الزكاة ، إلى التصدق ، إلى التطوع ، إلى الانفاق في وجوه الخير والبر .

وجاء الإسلام فوجد في العرب ميلاً إلى الفخر وحب المحمدة ، فاستغل هذه القوةَ ووجهها أيضاً إلى خدمة العقيدة نفسها . ويحضرنا في هذا المجال موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندما استغل حبَّ أبي سفيان للفخر في فتح مكة ، فقـال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فأرضى الرسول بهذا نزعةَ الفخر عند أبي سفيان ، وضمن الحرصَ على سلامة المعركة والدخول إلى مكة من غير إراقة دماء من جهة أخرى . وهناك أيضاً موقف أبي دجانة عندما مشى متبختراً ، بعد أن أخذ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه . فقال له الرسول : « يا أبا دجانة إنها مشية يكرهها الله إلا في مثل هذا الموطن » . فأباح النبي له أن يتبختر ، وأن يزهو بالسيف بين الصحابة ، وهم على أهبة المعركة ، لكي يبعث المنافسةَ وحب التسابق إلى الجهاد والتضحية بين الصحابة ، فأجاز الإسلام أن يفخر الإنسان بموقفه من الحرب . بل أجاز بعض القوّاد

ـ كخالد وغيره في بعض الحروب ـ أن تنتمي القبائل الإسلامية إلى أصولها. إثارةً لنزعة التضحية والشجاعة والإقدام . حتى يعتز كل واحد من المجاهدين بأصول آبائه وأجداده . في مجال الخير ومجال الحق . لا في مجال العصبية الجاهلية :

نبني كما كانت أوائلنــــــا تبني . ونفعل مثلما فعلوا

كذلك صحح الإسلام للأمة العربية مفاهيم كانت خاطئة ومنحرفة ، ومن أمثلة ذلك الكلمة التي زكاها النبي بعد أن استعملت في المعنى السيء على عهد الجاهلية وهي : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » حيث كانوا ينصرون أخاهم على أي وجه كان :

لا يسألون أخاهم حين يندبهـم في النائبات على ما قال برهانا

ولما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام صحح مفهومَ المناصرة للأخ أو الجار أو القريب . فقال العبارة نفسها : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . فقالوا : ننصره إذا كان مظلوماً ، فكيف ننصره إذا كان ظالماً ؟ . فقال : نصركم له أن تردوه عن ظلمه .

وقد كان نظام « الحِمَى » موجوداً في الجاهلية ، ولكن على سبيل الإقطاع والبغي والعدوان . فيأتي القوي من أهل الجاهلية ويرسل كلبَه يعوي إلى آخر ما يُسمع عواؤه ، ويحد هناك حدوداً ويقول : هذا حمىً لي . فجاء الرسول عليه الصلاة والسلام فأقر التسمية وغيّر المفهوم ، فقال كلمته الخالدة : « لا حمى إلا لله ولرسوله » ومعنى أن الحمى لله ولرسوله هو أن يكون لعباد الله وأتباع رسوله عليه الصلاة والسلام .

وهكذا نجد فضل الإسلام على العروبة يشمل كلَّ جهة . ويعم كل ميدان. فلا عجب إذا رددنا قولنا : « إن العروبة وعاء الإسلام . وإن الإسلام روح العروبة » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *



فلسطين - اليهــود



المسلمون وفلسطين

السؤال : **زعمت بعض المجلات اليهودية أن عناية المسلمين بالقدس لم تكن في القديم ، وإنما ظهرت هذه العناية أخيراً بعد التنافس بين المسلمين واليهود في فلسطين . فما هو مدى الصحة في هذا الزعم ؟ .**

الجواب :

لقد اطلعت على خلاصة مقال نشرته مجلة « جويش أوبزرفر » في ١٤ يوليو سنة ١٩٦٧ وهو بعنوان « القدس والإسلام » . وهذه المجلة تصدر في لندن ، وهي اللسان الرسمي الناطق باسم وكالة الصهيونية العالمية ، والمقال المذكور يهدف إلى أغراض صهيونية خبيثة ، وهو جزء من حملة تضليلية كبرى للرأي العام الغربي ، وفيه من التزييف للتاريخ . والتحريف للحقائق ، والتهجم على القرآن الكريم ، والطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا يجرؤ عليه إلا صهيوني يريد مع أمثاله تبرئة إجرامهم الشنيع وعدوانهم الأثيم على أولى القبلتين وثالث الحرمين : في فلسطين .

ومن أضاليل هذا المقال أنه يزعم أن عناية المسلمين بالقدس (وهي بيت المقدس) لم تظهر إلا أخيراً ، بعد التنافس بين المسلمين واليهود في فلسطين ، وهذا تزوير للتاريخ ، فالمسلمون يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الإسلام ، ومنذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .

والقدس عند المسلمين — منذ أربعة عشر قرناً — فيها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ولقد ظل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون من ورائه . يتجهون في صلواتهم إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس (وهو

القدس) سبعة عشر شهر شهراً، وصار للقدسّ مكانة جليلة في نظر المسلمين، لأن فيها المسجد الأقصى ، وهو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن الكريم على التصريح باسمهما ، وهما المسجد الحرام ، وفيه الكعبة ، والمسجد الأقصى ، وإليه كان إسراء الرسول ، ومنه كان معراجه . وإليه كانت نهاية العودة من المعراج ، ومنه كانت بداية العودة من الإسراء ، وجاء في ذلك قول الله تبارك وتعالى في مفتتح سورة الإسراء : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وألقى الإسلام رداءَ الهيبة والكرامة والقداسة على المسجد الأقصى ، فجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة في غيره من المساجد ، باستثناء المسجد الحرام ومسجد الرسول بالمدينة عليه الصلاة والسلام ، ورُوي أن الصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة ، وروي بأكثر .

وجاء في الحديث النبوي : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » وهو يقصد بطبيعة الحال من مات على الإسلام طائعاً ربه ونبيه .

وجاء في الفقه الإسلامي أنه يستحب الإهلال بالحج والعُمرة من بيت المقدس ، للحديث الذي يقول : « من أهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

وعن أنس بن مالك : « أن الجنة تحن شوقاً إلى بيت المقدس » ، وبيت المقدس هو القدس ، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ، وكما ذكره غيره . كما أن بيت المقدس يسمى « إيلياء » ، وقيل إن معنى الكلمة هو (بيت المقدس) ، وقد سمي بيت المقدس إيلياء بقول الفرزدق :

وبيتان : بيت الله نحن ولاتــه وقصر بأعلى إيلياء مشرف

وقيل سميت إيلياء باسم بانيها ، وهو ايلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد قال : « صليتُ ليلة أسري بي إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة » . وقصة الإسراء الإسلامية تقص علينا أن رسول الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد صلى إماماً بالأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى ليلة الإسراء .

فهذه النصوص والأخبار وغيرها تكذّب زعمَ هذا المقال ، وتبين أن المسلمين ينظرون إلى القدس بعين الإجلال والإكبار منذ بزغت شمس الإسلام .

* * *

ومن مظاهر عناية المسلمين القديمة الموصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها ، هذه المؤلفات والكتب الضخمة التي ألفها علماء الإسلام ومؤرخوه ، منذ قرون ، في فضائل القدس والمسجد الأقصى ، ونذكر منها كتاب « فضائل القدس » لابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ — ١٢٠٠ م أي منذ أكثر من سبعمائة وستين عاماً ، وكتاب « الأنس في فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعي ، وهو من رجال القرن السابع الهجري ، ونحن الآن في أواخر القرن الرابع الهجري ، وكتاب « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسي المتوفي سنة ٧٦٥ هـ — ١٣٦٣ م وكتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي القاضي المتوفي سنة ٩٢٧ هـ — ١٥٢٠ م وكتاب « الجامع المستقصي في فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر المتوفي سنة ٩٤٨ هـ — ١٥٤١ م ، وكتاب « فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة المتوفي سنة ٨٧٤ هـ — ١٤٦٩ م . وكتاب « باعث النفوس إلى زيارة القد س المحروس » لابن قاضي الصلت المتوفي سنة ٧٢٩ هـ — ١٣٢٨ م ، وكتاب « فضائل القدس » لأبي المعالي المشرف بن المرجى . وغير ذلك من الكتب والأسفار .

ويستمر تأليف الكتب عن فضائل القدس وفضائل المسجد الأقصى ومكانة فلسطين عند المسلمين ، حتى العصر الحاضر . حيث نجد كتابي « تاريخ الحرم

القدسي » و « المفصل في تاريخ القدس » لعارف العارف الذي ما زال حياً ومقيماً في القدس المحتلة إلى اليوم .

• • •

ويقول المقال الزاعم الآثم إن الشعور بأن « القدس » مكان مقدس لم يقو عند المسلمين إلا في عهد الانتداب البريطاني ، وهذا كذب وزور ، لأن المسلمين خلال العصور والدهور ظلوا يشدون رحالهم إلى بيت المقدس لزيارة المسجد الأقصى باسم الإسلام ، وبتوجيه من رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام .

ولو جاز أن يقال : إن مزيداً من العناية والاهتمام قد بدا من المسلمين في القرن العشرين بشأن القدس وشأن فلسطين ؛ لكان من الواجب أن نفسر ذلك التفسيرَ الحقيقي الواقعي ، فنعلله بأن الاغتصاب البريطاني لفلسطين ، مع تواطؤ انجلترا والصهيونية العالمية ، ومن خلفها أمريكا ، لتهويد فلسطين ، هو الذي فجر ما كان مطوياً في صدور العرب والمسلمين منذ مئات السنين ، من حرص على فلسطين ، وخوف لمصيرها المؤلم على أيدي الصهيونية والاستعمار ، أو « الاستدمار » بتعبير أدق .

ويحاول المقال الآثم الزاعم أن يوهم بأن المسلمين ليس لهم مقدسات في فلسطين ، ولا في القدس ، وهذا كذب وزور ، فللمسلمين في فلسطين — وفي القدس بالذات — المسجد الأقصى الذي صرح القرآن باسمه ، ونصَّ على البركات من حوله ، وفي القدس « الصخرة » المباركة التي يقول فيها عبدالله بن عباس : « صخرة بيت المقدس من صخور الجنة » ويقول علي بن أبي طالب : « سيد البقاع بيت المقدس ، وسيد الصخور صخرة بيت المقدس » .

وفي القدس من المقدسات الإسلامية « قبة المعراج » ، و « محراب النبي » ، و « حائط البراق » ، و « مسجد عمر » الذي بُني سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م .

• • •

ويوهم المقال الآثم الزاعم بأن لليهود كثيراً من المقدسات في القدس ، مع أنهم أنفسهم يركزون عنايتهم واهتمامهم على « حائط المبكى » الذي يزعمون أنه جزء من سور القدس القديمة ، يوم كان هيكل سليمان موجوداً ، ولقد كانت هناك بعض المقدسات اليهودية في القدس ، ولكن الرومان قضوا عليها حين دمروا القدس (أورشليم) سنة سبعين للميلاد على يد « تيطوس » ، وحين دمروه مرة ثانية سنة خمس وثلاثين ومائة على يد « أدريانوس » .

والمقال يناقض نفسه بنفسه ، ففي جزء منه يقول إن المسلمين لم يبدوا عناية بفلسطين إلا في حقبة متأخرة ، ومع ذلك يقول في جزء آخر إن المسلمين يعدون قبة الصخرة في المرتبة الثانية بعد الكعبة ، ويضيف أيضاً أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يصر على أن يتوجه أتباعُه في صلواتهم إلى جهة بيت المقدس ..

ومن جهل كاتب المقال بالتاريخ زعمُه بأن الذي بنى قبة الصخرة هو عبدالله المأمون ، وذلك جهل فاحش ، لأن الذي بنى قبة الصخرة هو عبد الملك بن مروان الأموي ، والمأمون خليفة عباسي ، وقد بدأ عبد الملك البناء سنة ٦٦ هـ — ٦٨٥ م ، وتم البناء سنة ٧٢ هـ — ٦٩١ م . وقد رصد عبد الملك لبناء مسجد الصخرة خراجَ مصر لمدة سبع سنوات ، ومن اللطائف التي تروى أنه لما أراد عبد الملك أن يهب رجاءَ بن حيوة الكندي ويزيد بن سلام مائةَ ألف دينار مقابل إدارتهما للعمل في البناء قالا : « نحن أولى بأن نزيده من حُلي نسائنا ، فضلاً عن أموالنا ، فاصرفها في أحب الأشياء إليك » .

* * *

ويزعم المقال أن الإسراء « كان مجرد زيارة ليلية قام بها محمد إلى مكان لم تذكر له تسميةٌ ولا تحديد » . ويتجاهل المقال عامداً متعمداً النصَّ القرآني الصريح الواضح المحدِّد للمكان في البداية وفي النهاية . وهو قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير » فهنا ذكرٌ للزمان في كلمة

« ليلاً » ، وذكر لمكان الابتداء في قوله « من المسجد الحرام » ، وذكر لمكان الانتهاء في قوله « إلى المسجد الأقصى » .

ويفتري الكاتب الصهيوني افتراء عجباً حين يزعم أن المفسرين الإسلاميين الأوائل قد قالوا إن المسجد الأقصى هو المسجد الموجود في المدينة . وهذا كذب عميق الجذور في التزوير ، فهذا ابن جرير الطبري شيخ المفسرين المتوفى سنة ٣١٠ هـ يقول : « المسجد الأقصى . يعني بيت المقدس ، وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار » . بل هذا هو التفسير المنسوب إلى عبدالله بن عباس يقول إن المسجد الأقصى يعني مسجد بيت القدس .

وهذا هو تفسير القرطبي يقول : « سُمِّي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام ، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظّم بالزيارة » ثم يقول : « وبهذا جعله مقدساً » ويشير إلى أنه في أرض الشام ، وفلسطين كانت في أغلب مراحل التاريخ تعد الجزء الجنوبي من الشام .

ويذكر تفسير الرازي أن المفسرين قد اتفقوا على أن المراد بالمسجد الأقصى مسجد بيت المقدس .

فلننظر كيف يأبى هذا الصهيوني المنحرف إلا أن يكتم الحقيقة ، ويزخرف ضدها فيزعم أن المفسرين الأوائل قالوا إلى المسجد الأقصى هو مسجد المدينة .

بل يضاف إلى ذلك أنه لم يكن بالمدينة مسجد قبل الإسراء والمعراج . فإن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة قد بُني بعد الهجرة ، ومعجزة الإسراء والمعراج كانت قبل الهجرة .

ويورد الكاتب الصهيوني خلال حديثه عبارات توهم أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي صنع القرآن ، فتارة يقول : إن محمداً لم يحدد في القرآن كذا . وتارة يقول : يشير محمد في القرآن إلى كذا ... إلخ .

وهذه فرية رددها المتركون والكافرون والمجرمون من قبل . وتكفل القرآن الكريم بالرد الصريح عليها . وتحدى العالمين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،

ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وصدق الله العلي الكبير إذ قال : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

* * *

ويقول المقال الصهيوني الحقود : « وكان محمد يحسد اليهود على الدوام » . وخير ما يرد به على هذه الفرية . هو المثل العربي القديم : « رمتني بدائها وانسلت » . فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أمّن اليهود عقب الهجرة على أرواحهم وأموالهم ، وشعائرهم وحريتهم . وأعطاهم عهداً بذلك ما استقاموا ، فنقضوا العهد . وخانوا وغدروا . حسداً من عند أنفسهم للإسلام ونبي الإسلام والمسلمين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في أكثر من موطن . كقوله في سورة النساء عن اليهود : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » . وقوله في سورة البقرة : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

والمضحك أن هذا الكاتب يعود فيناقض نفسه . فبعد أن يقول أن محمداً كان يحسد اليهود على الدوام . يعود فيقول إن محمداً كان يطمع بعد الهجرة في دعم اليهودية ، فكيف يتفق هذا مع ذلك ؟ .

ويصف المقال القذر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة «دجال» . وليس هذا بمستغرب من سلالة اليهود الذين اتهموا مريم البتول العذراء بالفاحشة الكبرى ، واتهموا ابنها عيسى الذي قال عنه القرآن إنه روح الله وكلمته ، اتهموه بأنه ابن الخطيئة وأنه وثني ، وأنه سيخلد في العذاب بين القار والنار ، كما جاء ذلك في « التلمود » .

وينتهي الكاتب الخبيث في آخر مقاله إلى فكرته الصهيونية الخبيثة ، فيقول إن هناك اعتقاداً شعبياً في الشرق الأوسط . بأن تزاوجاً سيتم بين الأماكن المقدسة لكافة الأديان ، ويومها يحل السلام العالمي .

وهذا خلط مقصود بين الفكرة الدينية والنكبة الاستعمارية الاسدمارية . فالمسلمون لا يأبون أن تكون بينهم وبين أهل الأرض جميعاً روابطُ تعاون وسلام ، ولكن بشرط أساسي لا بد منه ، هو أن لا يكون ذلك على حساب اغتصاب فلسطين ، وإخراج أهلها منها ، وإقامة وطن يهودي دخيل فيها . وانتهاك الصهيونية لكل مقومات العدالة والأخلاق .

وينبغي أن يتنبه كل عاقل في الشرق والغرب إلى أن اليهود — ومنهم كاتب المقال — يحاولون الآن التقربَ من المسيحية ، ويوهمون الناس أن بين اليَهود والمسيحية تعاوناً وانسجاماً . وهذا ما لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال ، لأن الخلاف بين اليهود والمسيحيين جوهري أساسي ، فاليهود ينكرون رسالة عيسى عليه السلام ، وقد كفروا به من قبل ، وهم لا يقرون بقداسة الأماكن المتصلة بعيسى التي يقدسها المسيحيون .

ولقد تآمر اليهود قديماً ضد عيسى عليه السلام ، وحرضوا الحاكم الروماني « بيلاطس » عليه ، وما من مسيحي يعتز بمسيحيته إلا وهو يعتقد أن اليهود هم قتلة المسيح . ولقد توسع اليهود توسعاً فاحشاً في الانتقام من المسيحيين . فطاردوهم واعتدوا عليهم ، وشربوا دماءهم ، واعترفوا بذلك في كتبهم . مثل كتاب « سدر حادوروت » . وقد ذكر هذا الدكتور روهلنج في كتابه الذي عربه الدكتور يوسف نصرالله سنة ١٨٩٩ م بعنوان « الكنز المرصود في قواعد التلمود » .

وحتى اليوم ما زالت اليهودية في أمريكا تصوِّر السيدَ المسيح عليه السلام بصورة لا تليق بإنسان . وهذا هو كتاب « التجربة الأخيرة للمسيح » الذي أصدرته دار « سيمون وشوستر » في نيويورك ، فيه من القذارة ما فيه ، فهو يصف المسيح بأنه إنسان متهالك على أجساد النساء ومعاشرتهن ، فأين هذا الافتراء الوضيع من حديث القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام منذ قرابة ألف وأربعمائة سنة مثل قوله تعالى عن مريم وولدها : « فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ،

وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام علي يوم ولدت . ويوم أموت ويوم ابعث حياً » .

وقوله : « اذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ، قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل » ... إلخ .

ولقد جاء في كتاب « سفر يوكاسين » المطبوع سنة ١٧١٧ م في أمستردام تصوير مرعب لفظائع القتل بالجملة التي قام بها اليهود في المسيحيين وذكر مئات الألوف التي قام بقتلها اليهود من المسيحيين في روما وليبيا وقبرص وغيرهمـــا .

وينبغي أن يتذكر هؤلاء وأولئك أن فلسطين كانت تعد خلال عصور التاريخ الجزء الجنوبي من بلاد الشام العربية وهي (سوريا — لبنان — الأردن — فلسطين) . والعرب موجودون في فلسطين منذ سنة ألفين وخمسمائة قبل الميلاد ، وكانوا يعرفون باسم الكنعانيين . وظل هؤلاء الكنعانيون يحكمون فلسطين ألفاً وخمسمائة سنة . ولقد فتح المسلمون فلسطين سنة خمس عشرة للهجرة (٦٣٦ م) ومنذ ذلك الوقت حتى نكبة التهويد ظلت فلسطين عربية إسلامية ، ولم تزد نسبة اليهود في فلسطين حتى نكبة الانتداب عقب الحرب العالمية الأولى عن سبعة في المائة . ثم فتحت بريطانيا بحكم احتلالها وسلطانها الأبوابَ المنظورة والمستورة للهجرة اليهودية حتى تحقق وعد بلفور المشئوم .

ولقد ظل العرب والمسلمون في فلسطين يحسنون معاملة من كان بينهم من اليهود ، ولم تفسد العلاقة بين العرب واليهود إلا حينما تنمر الاستعمار وتواطأ مع الصهيونية العالمية لاغتصاب فلسطين من أهليها ، وإقامة وطن قومي لليهود فيها ، وبعد أن ارتكب اليهود في فلسطين ما ارتكبوا من الجرائم والفظائع .

وإذا كان هناك اضطهاد قد وقع على اليهود ، فذلك لم يكن على أيدي العرب . بل كان على أيدي الأوروبيين الذي حمّلوا الأمة العربية ظلماً وعدواناً تبعة اضطهادهم ، مما يذكّرنا بالمثل العربي القديم :

غيري جنى ، وأنا المعاقبَ فيكم فكأنني سبابة المتنـــدم

ولقد عاش المسلمون والمسيحيون في فلسطين متعاونين متفاهمين ، وهذا مثلاً هو كتاب « تاريخ القدس » تأليف خليل طوطح وبولس شحادة — وهما مسيحيان — يبين بوضوح أن المسيحيين تمتعوا بكامل حريتهم في ظل العرب المسلمين بفلسطين .

واليهود يزعمون أن فلسطين هي « أرض الميعاد » ، ويزعمون أنها أرضهم ، وأنهم أحق بها من العرب ، وما ذلك إلا لأنهم طرأوا على فلسطين من خارجها ، وأقاموا فيها مدة قصيرة من الزمن ، لأن حكم داود وسليمان لم يتجاوز قرناً من الزمان ، ثم جاء (تيطوس) وشتت شمل اليهود ، وهدم هيكلهم ، وأباد كل آثاره سنة سبعين ميلادية ، فإذا كان احتلال اليهود لفلسطين مدة من الزمن يسوغ لهم اغتصابها وطرد أهلها ، فإن من حق الفرس أن يطالبوا بفلسطين ، لأنهم كانوا قد احتلوها قبل الميلاد بقرون ، ومن حق اليونان أيضاً أن يطالبوا بها ، لأنهم كانوا احتلوها في القرن الرابع قبل الميلاد ...

إن اليهود كشعب قد انقطعت صلتهم الواقعية بفلسطين منذ قرون وقرون ، بعد أن كتب الله عليهم الشتات ، بسبب جرائمهم وآثامهم ، ولكن الأطماع الاستعمارية جرأتهم على أن يحاولوا العودة إليها ، وفي سنة ١٩٠١ حاول اليهود إغراء السلطان عبد الحميد ، لكي يفتح لهم الباب أمام سكناهم فلسطين ، وعرضوا عليه الأموال والمساعدات ، ومنها :

(١) إنشاء أسطول عثماني بحري .

(٢) إنشاء جامعة عثمانية في بيت المقدس .

(٣) قرض مالي لتنفيذ المشروعات العمرانية في الدولة العثمانية .

(٤) تسديد ديون الدولة العثمانية .

(٥) إتاوة سنوية تساعد على تنمية الاقتصاد .

ولكن السلطان عبد الحميد رفض كل هذا ، وجاء في رده : « إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أراضي فلسطين ، فهي ليست ملكاً لي ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وإذا مُزِّقت امبراطوريتي يوما ، فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهونُ عليَّ من أن أرى فلسطين قد بُتِرت من امبراطوريتي ، وهذا أمر لن يكون ، فإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » .

وفي سنة ١٩٠٧ أراد « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا أن يفصل الجناح الأفريقي من النسر العربي عن الجناح الآسيوي ، فاهتدى مع خبرائه إلى فكرة « وضع جسم بشري غريب » بين الجزء الأفريقي من العالم العربي (مصر – ليبيا – تونس – الجزائر – مراكش) وبين الجزء الآسيوي منه المتمثل في بلاد الشام ودول الجزيرة العربية ، وسارع اليهود يقدمون أنفسهم جسماً بشرياً غريباً ، ليُحدث شرخاً في كيان الوطن العربي الكبير ، واحتضنت انجلترا الفكرة اللعينة ، وأعطت وعد بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، ثم عملت بمكرها وكيدها ، وبصك الانتداب ودستور فلسطين ، على تهويد الأرض العربية ، وتهيئتها لقمة سائغة قدمتها غنيمة باردة لليهود في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

ثم جاءت أمريكا بعد انجلترا ، تؤيد الوطن القومي لليهود في فلسطين ، على حساب تشريد أبناء فلسطين الشرعيين في كل مكان ، وقادت أمريكا سياسة الاستعمار الجديد ، ومن أكبر أغراضه فرض إسرائيل على الأمة العربية : لتكون نقطة ارتكاز للاستعمار الغاشم في الوطن العربي .

ولكن الأمة العربية أبت وتأبى ذلك ، وهي مصممة على تحرير أرضها من المحيط إلى الخليج .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

افساد بني إسرائيل

السؤال : كثر حديث الناس عن مرّتَيْ الإفساد اللتين وقعتا من بني إسرائيل ، وتحدث القرآن عنهما في سورة الإسراء ؛ فمتى كان هذا الإفساد في المرة الأولى ، وفي المرة الثانية ؟ . نرجو شرح هذا بتوسيع ، مع الشكر .

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد . فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيراً ، عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » الآيات ٤ — ٩ .

لقد كثر حديث الناس في العصر الحاضر عن هذه الآيات ، بسبب اغتصاب اليهود لأرض فلسطين العربية الإسلامية ، وإقامتهم دولة إسرائيل

فيها ، مع اعتدائهم الشرس المتكرر على الأراضي العربية ، ومع أن جميع المفسرين قد ذكروا أن مرتي الإفساد المذكورتين في هذه الآيات قد وقعتا قبل الإسلام ، وقبل بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فقد حاول بعضُ الكاتبين أن يربط بين هذا الإفساد وبين المرات الكثيرة من الإفساد التي قام بها اليهود ، وما زالوا يقومون بها في الوطن العربي إلى الآن .

ولعله من الخير والإنصاف للحق والتاريخ أن نستعرض ما يمكن فهمه من جو هذه الآيات ومعناها العام ، ويحسن أولاً أن نعرف لمحة تاريخية عن علاقة اليهود بأرض فلسطين في غابر الأزمان ، فنحن نعرف من حديث القرآن الكريم في سورة البقرة أن الله تعالى اختار « طالوت » ملكاً لبني إسرائيل ، وأن « طالوت » — استطاع أن يحرز لهم النصر على « جالوت » الذي قهر بني إسرائيل من قبل ، ولقي جالوت مصرعه على يد داود ، وتُنظر في ذلك الآيات الكريمة في سورة البقرة من الآية رقم ٢٤٦ إلى الآية رقم ٢٥١ .

واستمر طالوت ملكاً على بني إسرائيل سنين ، ثم مات سنة ١٠٥٥ ق . م ، وتولى المُلْك بعده داود قرابة أربعين سنة ، ثم جاء بعد داود ابنه سليمان الذي توفي سنة ٩٧٥ ق . م وفي عهـــد داود وسليمان قوي شأن بني إسرائيل ، وكثرت أموالهم وأولادهم ، وجاء بعد سليمان ابنه « رحبعام » الذي كثرت في عهده الاضطرابات والفتن ، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى شطرين : الأولى مملكة يهوذا ، وعاصمتها « أورشليم » ، وملكها هو «رحبعام» . والأخرى هي مملكة إسرائيل ، وعاصمتها السامرة ، وملكها « يربعام » أخو « رحبعام » .

وقد قضى « بختنصر » على مملكة يهوذا سنة ٥٥٨ ق . م ، كما قضى « سرجون » ملك آشور على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق . م ، ولكن حدث أن حارب «قورش» ملك الفرس « بختنصر » ملك بابل ، وبعد انتصار قورش أذن لليهود بالعودة إلى أورشليم ، ولكن قسماً منهم لم يعد .

وجاء الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق. م، وأزال حكم الفرس ، وحينما

مات الاسكندر بعد ذلك بعام قُسِّمتْ مملكته بين قواده، فصارت أورشليم من نصيب بطليموس ملك مصر .

وفي سنة ٦٣ م استولى الرومان على أورشليم ، وظلت حتى سنة ٦١٤ . حيث استولى عليها الفرس ، ثم عادت إلى الرومان سنة ٦٢٨ ، ثم فتحها الإسلام في عهد عمر بن الخطاب في السنة الخامسة عشرة للهجرة (سنة ٦٣٦ م) .

* * *

وبعد هذه اللمحة التاريخية نستعرض تفسير الآيات بلا اعتساف :

(١) — يقول الله تعالى : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرّتين ولتعلن علواً كبيراً » .

والمعنى : قضينا إلى بني إسرائيل في كتابنا « التوراة » المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام ، والذي أشارت إليه السورة في الآية السابقة ، فقالت : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً » ، وأعلمناهم أنهم سيقع منهم إفساد كبير في أرض الشام مرتين ، وأنهم سيعصون الله تعالى ، ويخالفون أمره ، ويتكبرون على طاعته ، وإفساد اليهود متعدد الألوان والجوانب ، فهم عصوا موسى ، وحرفوا التوراة . وقتلوا الأنبياء مثل زكريا ، ونشروا الرذائل بينهم ، ولم يتناهوا عن منكر فعلوه ، ومجموع هذه الجرائم يسهل القول بأنه المراد بالمرة الأولى للافساد .

ولعل هذا الإخبار من الله تعالى كان إشعاراً بأن الله سيعاقبهم على إفسادهم . وبذلك يحذر العقلاء أن يقدموا على الإفساد ، ويحذر أهل العظة والعبرة أن يفسدوا كما أفسد هؤلاء ، وفي هذا الإخبار أيضاً تعريض باليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن يأتي بعدهم ، أنهم إن استمروا في الإفساد — كشأن أجدادهم — فسيصيبهم ما أصاب أسلافهم من عقاب إلهي رادع عادل .

(٢) ثم يقول الله تعالى : « فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

والمعنى : أنه إذا حل موعد عقابكم أيها المفسدون من بني إسرائيل على مرة الإفساد الأولى ، سلط الله عليكم عباداً من عباده — وكل الناس عباد الله — فيهم قوة وفيهم بطش ، فيدخل هؤلاء العباد على بني إسرائيل ، ويترددون بين مساكنهم وديارهم ، ينتقمون منهم ويخربون ديارهم ، ويؤدبونهم التأديب الرادع ، لأن كلمة « جاسوا » معناها : ترددوا ، أي تنقلوا ذاهبين وعائدين . وكأنهم في ترددهم يبحثون ويتأكدون : هل تركوا أحداً دون قتل أو عقاب . وقيل إن كلمة « جاسوا » معناها : قتلوا . وعلى هذا القول فالمعنى واضح صريح .

والراجح أن المراد بهؤلاء العباد الأقوياء الأشداء الباطشين هم جالوت وجنوده ، الذين أشار اليهم القرآن الكريم في سورة البقرة ، ولا يقال إن كلمة « عباد » تفيد أنهم مؤمنون صالحون ، لأن كلمة « العباد » في لغة القرآن الكريم تطلق على البر والفاجر ، وعلى المؤمن والكافر ، ومن إطلاقها على غير الصالحين قول الله تعالى في سورة يس : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » الآية ٣٠ . وقوله في سورة النساء : « وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً » الآية ١١٨ . وقوله في سورة الاسراء : « وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً » . الآية ١٧ . وقوله في سورة الفرقان : « وكفى به بذنوب عباده خبيراً » الآية ٥٨ .

وهناك نص تاريخي ثابت يدل على أن هؤلاء الذين جاسوا خلال الديار كانوا قبل الإسلام ، وهذا النص وارد في وصية عمر بن الخطاب لقائده سعد بن أبي وقاص ومَنْ معه من الأجناد . ففي هذه الوصية يقول عمر : « ولا تقولوا : إن عدونا شر منا . فلن يُسَلَّط علينا ، فرب قوم سُلِّط عليهم شر منهم ، كما سُلِّط على بني إسرائيل — لما عملوا بمساخط الله — كفارُ المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

• • •

(٣) — ثم يقول الله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً » .

والمعنى : أن بني إسرائيل ارتدعوا بعد هذا وندموا ، ونفذوا الأوامر التي وجهت إليهم . وكان ذلك بتوفيق من الله تعالى وفضل منه عليهم ، فأعاد الله اليهم القوة والغلبة . ووهبهم الأموال والبنين . وجعلهم أكثر عدداً من ذي قبل .

ويظهر أن هذا كان في عهد داود وسليمان . والقرآن يشير إلى هذا في سورة البقرة حين يقول : « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » الآيتان ٢٥٠ و ٢٥١ .

ولقد كان الواجب على بني اسرائيل أمام هذا الفضل الالهي المتكرر أن يستمسكوا بالحق ، وأن يظلوا على الوفاء ، ولكن هيهات .. وكان الواجب أيضاً على سلالتهم في عصر سيدنا ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يؤمنوا بهذا الرسول الكريم ، الذي جعله الله خاتماً للنبيين ، وأرسله كافة للناس بشيراً نذيراً ، وجعله رحمة الله للعالمين ، ولكن هيهات ..

(٤) — ثم يقول الله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

والمعنى : هو أن الله تبارك وتعالى يقرر ويخبر بأن من استمسك بالإحسان في الإعتقاد والعمل والقول كان ثوابُ ذلك عائداً إلى نفسه ومفيداً له ، ومن أساء فعليه عقاب إساءته ، وهذا تذكير وتبشير من جهة ، وتخويف وتحذير من جهة أخرى .

ولكن بني إسرائيل لم يحفظوا العهد ، ولم يقدروا النعمة ، فعادوا إلى

الإساءة والإفساد مرة أخرى ، ومن مظاهر هذا الإفساد استحلالهم محارم الله ، وأكلهم الربا ، وإرتكابهم المخازي والآثام . فسلط الله عليهم عدواً ينلهم ، حتى ظهرت آثار هذا الإذلال على وجوههم . ويدخل هذا العدو المعبد « وهو المسجد الأقصى فيما بعد » فاتحاً قاهراً لهم . كما دخله أعداء بني اسرائيل من قبل ، ويدمر هذا العدو ما يصل إليه . ويسيطر عليه . تدميراً قوياً شديداً .

وهذا العدو الذي سلطه الله عليهم هذه المرة هو فيما يبدو « بختنصر » البابلي . وقد غزاهم بختنصر وجنوده ثلاث مرات . في السنوات ٦٠٦ — ٥٩٩ — ٥٨٨ ق. م. ولكنه في المرة الأخيرة أشاع فيهم التقتيل والأسر والتدمير .

ويروى في بعض كتب التاريخ أن « صحابين » أو « سنحاريب » ملك النبط اشترك مع بختنصر في هذا الغزو . ويجوز أن يكون العدو الذي سلط عليهم هذه المرة هو « تيطوس » وجنوده من الرومان . وليس هناك ما يمنع أن يكون الأعداء الذين سلطهم الله على بني اسرائيل بعد إفسادهم الثاني هم البابليين والرومان معاً . وان تفاوتت مراحل الإنتقام وأزمانها .

(٥) — ثم يقول الله تعالى : « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » .

وكلمة « عسى » هنا يقول عنها المفسرون إنها للرجاء . والرجاء هنا ليس معناه رجوع الدولة إليهم ، وإنما هو لبيان أن رحمة الله تعالى تدرك الطائعين المستقيمين التائبين الصادقين من عباده .

والمعنى : لعل ربكم يرحمكم يا بني اسرائيل ويعفو عنكم . إن تبتم وأخلصتم الطاعة . وتركتم الإفساد والإنحراف والتحريف . فالذنب يستدعي البلاء . والمغفرة ترفع النقمة . وإن عدتم إلى الإفساد والعصيان وإرتكاب السيئات . عاد الله إليكم بمن يذلكم ويسومكم سوء العذاب : « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ولا شك أن بني اسرائيل قد عادوا إلى الإفساد ثم عادوا . ألم يكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ . ألم يدبروا ضده وضد المسلمين المؤامرات والمكائد ؟ . ألم يتآمروا مع أعدائه ؟ . ألم يقاتلوه ويناصبوه العداء ، مما استوجب تأديبهم وتطهير الأرض الطيبة منهم ، حين كتب الله عليهم الجلاء ، وبذلك صدق القرآن ، فقد عادوا إلى الضلال والبهتان ، فسلط الله تعالى عليهم المسلمين للتأديب والعقاب .

وخُتمت الآية بذلك الوعيد الصريح الواضح : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » . أي جعلنا النار بساطاً وفراشاً لهؤلاء اليهود الذين واصلوا كفرهم وبغيهم .. وستحصرهم النار ، وتحيط بهم فلا يستطيعون منها فراراً .

(٦) — ثم يقول الله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي التي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » :

وكأن هذه الآية تقول لبني اسرائيل في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعدهم : لا تكونوا كأسلافكم وأجدادكم حين كفروا وأفسدوا ، بل استجيبوا لله ولرسوله ، وآمنوا بالقرآن وشريعته ، فان الدين الذي جاء به محمد من عند ربه هو أقوم الدعوات وأعدل الطرق ، والذين يؤمنون به ويقرنون إيمانهم بالفعل الطيب الصالح هم الذين سيفوزون من الله بالثواب الجليل ، وفي هذا تأكيد لأن هؤلاء اليهود سيظلون في ضلال وبهتان ، ما لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : وبدعوة الإسلام ، وبكتاب الإسلام وهو القرآن الكريم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

من أخلاق اليهود في القرآن

السؤال : **نريد أن نعرف جانباً من أخلاق اليهود ، كما صورها القرآن الكريم .**

الجواب :

لقد أراد الله تبارك وتعالى أن يختبر بني إسرائيل — وهم اليهود — منذ القدم ، فأنعم عليهم بما أنعم . وأكرمهم بما أكرم ، ولكنهم كانوا لئاماً . وأعطوا أسوأ الأمثلة في نكران الجميل ، وفي التمرد والتعنت والإنحراف . فقابلوا النعمة بالجحود . واستقبلوا الفضلَ بالكفران والنكران . ولذلك ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة . وإن كانوا على الدوام يترجمون عن مركب النقص في نفوسهم ، فيزعمون أنهم شعب الله المختار ؛ ولقد أفلتت من أحد زعمائهم ، وهو « بنسكر » كلمة تدل على خبثهم ولؤمهم ، حيث قال : « سلاحنا ذلة ومسكنة » .

ولقد صور القرآن الكريم الكثيرَ من الأخلاق السيئة لبني إسرائيل ، ومنها رذيلة العصيان المصحوب بالجبن . ففي القديم أراد الله تعالى لبني إسرائيل أن يتلطف بهم . فيدخلوا الأرض المقدسة لحين معلوم . وقدر مرسوم . ولكن جبنهم أبى عليهم أن يطيعوا الله كما أمر ، أو يستجيبوا لحكمه كما قضى . فكان جزاؤهم العادل أن حكم عليهم بالفسوق والعصيان . وجزاهم بالتفرق والشتات . فها هوذا القرآن الكريم يقول على لسان موسى ، مخاطباً اليهود على عصره : « يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم . فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ، ادخلوا عليهم الباب . فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها . فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون . قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » .

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الجبن بلغ بهؤلاء أنهم لا يقدمون على القتال مواجهة ، بل أنهم دائماً يتسترون خلف ما يقيهم المواجهة في الحرب . ولذلك قال عنهم مخاطباً المؤمنين : « لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد . تحسبهم جميعاً ، وقلوبهم شتى . ذلك بأنهم قوم لا يعقلون . كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم . ولهم عذاب أليم » .

كما أخبرنا القرآن الكريم بأن من أخلاق بني إسرائيل المسارعة إلى الجحود والنكران ، كشأن الأخساء الوضعاء من الناس ، وأنهم منافقون مخادعون . يظهرون غير ما يبطنون . ويقولون بألسنتهم ما لا تنطوي عليه صدورهم . وانهم من تفاهة شخصياتهم ولؤم نفوسهم ، يكثرون الإستماع والاستجابة للأكاذيب والمفتريات ، وأنهم يحرفون الوقائع ، ويشوهون الحقائق ، ويفترون على الله وعلى التاريخ ، وأن قلوبهم دنسة ، وأرواحهم قذرة غير طاهرة . وأنهم يأكلون السحت — أي المال الحرام — من كل طريق . بطريق السلب والنهب ، وطريق الربا الفاحش المدمر . وطريق الإتجار بالأعراض ، وغير ذلك من الوسائل .

وفي هذا يقول القرآن الكريم : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، سماعون للكذب ، أكالون للسحت ، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، ان الله يحب المقسطين » .

وها هو ذا القرآن يؤكد معنى الجبن في نفوس هؤلاء منذ القدم ، وكيف أنهم يقولون ما لا يفعلون ، ويعطون الوعد ثم ينقضونه ، ويتظاهرون بتحمل

التبعة ثم يفرون منها ، فقد أرادوا ذات يوم أن يتظاهروا بأنهم أبطال ، وأنهم على إستعداد لشرف القتال ، فلما جد الجد ظهرت نفوسهم الحقيرة وجبنهم العميق .

يقول القرآن : « ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى ، إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ، قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين » .

هذه طائفة من أخلاق بني إسرائيل كما صورها القرآن ، ومن وراء هذه الطائفة طوائف ، تدل على أن هؤلاء أعطوا أسوأ الأمثال للأمم والشعوب خلال عصور التاريخ .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

وثيقة تبرئة اليهود

السؤال : **ما الرأي في الوثيقة التي يقال إنها ستنشر لتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ؟ .**

الجواب :

يخيل إليّ أنه يجب علينا أن ننظر إلى هذا الموضوع من زاويتين ، زاوية الدين ، وزاوية السياسة . أما زاوية الدين فالمسلمون مجمعون على أن عيسى بن مريم لم يُقْتَل ، ويقول القرآن الكريم : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » . ولكن نفي القرآن الكريم لقتل عيسى وصلبه لا يعني في قليل ولا كثير تبرئةَ اليهود مما يستحقون به اللعنة والطرد . والعذابَ في الدنيا والآخرة ، فإنهم قتلوا الأنبياء . ونسبوا مريم البتولَ الطاهرة إلى الرذيلة والفاحشة ، وادعوا

أن عيسى ثمرة هذه الفاحشة ، ثم رفضوا دعوة عيسى الذي أقبل عليهم من عند الله سبحانه وتعالى نبياً ورسولاً ، ثم كادوا له وتآمروا عليه ، ثم أتوا له — في المكيدة والتآمر — من قبل الناحية التي تعصف بالرؤوس اليانعة والنفوس الكبيرة ، وهي ناحية الكيد للمجاهدين لدى الحكام والساسة الذين يملكون القوة والقدرة ، وأسباب البطش والتنكيل ، ثم شرعوا في قتله ، واتخذوا الأسباب لذلك ، ولكن حيل بينهم وبين ما أرادوا بسبب لا يدخل في طاقتهم ، ولا في قدرة أي إنسان ، ومعنى هذا أنه لو بقي لهم أي وسيلة لإتمام جريمتهم ، وإعتدائهم على الشخص المعين الذي أرادوا ، ما تقاعسوا عن إتمام هذه الجريمة ، فهم موصوفون بالجرم تفكيراً ونية وإقداماً ، وإذ لم يبلغوا الحائل ليس في طاقتهم ولا قدرتهم .

ثم هذه الوثيقة التي يتحدثون عنها ، إن كان المراد منها مجرد تبرئة اليهود من دم المسيح بمعنى أنهم لم يقتلوه فأمامنا في هذا بعد القرآن الكريم — وهو المصدر الأعلى لنا — وثيقة أخرى مسيحية معروفة مشهورة ، طبعت ونشرت فيما بيننا منذ عهد طويل ، وهي أيضاً توافق القرآن فيما قصه من شأن إدعاء قتل المسيح وصلبه ، وأقصد بهذه الوثيقة « انجيل برنابا » الذي ترجمه الأستاذ خليل سعادة ، وطبعه ونشره السيد محمد رشيد رضا سنة ١٩٠٧ م .

وقد طالعت في هذا الإنجيل وصفاً صريحاً لمحاولة قتل المسيح . فلنتناول انجيل برنابا ولنقرأ في صفحة ٣١٣ هذه العبارة : « ولما دنت الجنود مع يهوذ من المحل الذي كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك إنسحب إلى البيت خائفاً ، وكان الأحد عشر نياماً ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ، ورفائيل وأوريل (هما اسرافيل وعزرائيل) سفراءه أن يأخذوا يسوع (المسيح) من العالم .

فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، ووضعوه في السماء الثالثة التي تسبح الله إلى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياماً ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه ، فصار شبيهاً بيسوع ، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ . أما هو فقال مبتسماً : هل أنتم أغبياء ، حتى لا تعرفوا يهوذا الاسخريوطي ؟ . وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه . أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ، ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين . ويوحنا الذي كان ملتفاً بملحفة من الكتان استيقظ وهرب ، ولما أمسكه جندي بملحفة الكتان ترك الملحفة وهرب عرياناً ، لأن الله سمع دعاء يسوع ، وخلص الأحد عشر من الشـــر .

فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه ، لأنه أنكر — وهو صادق — أنه يسوع ، فقال الجنود مستهزئين : يا سيدي ، لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكاً على إسرائيل ، وإنما أوثقناك لأننا نعلم أنك ترفض المملكة ، أجاب يهوذا : لعلكم جننتم ، إنكم أتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كأنه لص ، أفتوثقونني أنا الذي أرشدتكم لتجعلوني ملكاً ؟ .

حينئذ خان الجنودَ صبرُهم ، وشرعوا يمتهنون يهوذا بضربات ورفسات ، وقادوه بحنق إلى أورشليم » أهـ .

ويمضي « إنجيل برنابا » في تصوير لقاء يهوذا — الذي إنقلب إلى شبه يسوع وهو المسيح — بالحاكم ثم الملك الذي اعتقد أنه مجنون في دعواه ، ولكن يهوذا قُتل في النهاية .

أمامنا إذن وثيقة مسيحية مطبوعة ومنشورة ومعروفة ، تنفي قتل المسيح وصلبه . هذا من وجهة نظر الدين . وخلاصته أن اليهود فعلاً لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه ، ولكنهم إرتكبوا جرائم تضج من هولها الأرض والسماء ، وقد حيل بينهم وبين قتل المسيح بقدرة الله وحده .

ونأتي إلى زاوية السياسة لننظر إلى الموضوع منها . المحاولة التي يحاولونها عن طريق هذه الوثيقة الآن يراد منها بخبث اليهود الذكي أن يكونوا كتلة من اليهود والمسيحية ضد العرب والمسلمين ، فكأن اليهود يحاولون تخفيفَ حدة العداوة بينهم وبين المسيحيين ، عن طريق إنتزاع الإعتراف من المسيحيين بأن اليهود لم يقتلوا المسيح ، وما داموا لم يقتلوه فهم أصدقاء للمسيحيين ، باعتبار أن الجرح الدامي في جسم المسيحيين هو أن المسيح قتل وصلب ، وأن المجرمين اليهود هم الذين قتلوه وصلبوه .

ما موقفنا أمام إرادة هذا التكتل ؟ .. موقفنا ينقسم إلى عدة واجبات ، الواجب الأول ، هو أن نبرز الجرائمَ الثابتة المنصوص عليها في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن الكريم ، فيما يتعلق بآثام اليهود .

والقرآن فيما يخيل إليَّ قد أراد أن يصور لنا اليهود وهم يمرون بثلاث حالات : الحالة الأولى : هي حالة المن والعطاء ، والحالة الثانية : هي حالة الاعراض والإباء ، والحالة الثالثة : هي حالة العقاب والجزاء .

أراد الله سبحانه وتعالى كما قص علينا القرآن الكريم أن يرفع اليهود إلى أعلى درجة يمكن أن يرقى إليها شعب في زمنهم ، ففضَّلهم على العالمين ، وآتاهم السلطان ، وآتاهم النعم العشر . فماذا كان ؟ كان في مقابل هذا العطاء الواسع الغامر الذي لم يعطه لشعب من الشعوب في عصرهم أو قبلهم ، إرتكاب عشر خطايا كأن كل نعمة كانوا يقابلونها بارتكاب معصية أو إثم حتى تكون عشرة أمام عشرة ، ثم لم يكتفوا بهذا بل أتوا فوق السيئات بسيئات ، فكان لا بد أن تتبع مرحلة الإباء مرحلة الجزاء . وكما كان العطاء واسعاً وكبيراً وغامراً ، وكان الإباء عنيداً ومجرماً وواسعاً في إثمه ، كان الجزاء كذلك من أشد ما يكون الجزاء ، وحسبنا أن يخبرنا القرآن أن الله تعالى مسخهم قردة وخنازير ، وجعلهم عَبَدَ الطاغوت ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وأن يحدثنا بأنهم باءوا بغضب من الله ، ... إلخ .

هذا التقابل بين العطاء الواسع والجزاء المؤلم — وبينهما الإباء العنيد — لا بد

آن يكون عبرة لكل شعب من الشعوب . حتى لا يرتكب أحد ما إرتكبه اليهود من آثام وخطايا ، كيلا يقع عليه من الجزاء أو العقاب ما وقع عليهم .

فواجبنا الأول هنا هو أن نعرض سيئات اليهود وآثامهم وأفاعيلهم وموقف القرآن الكريم منهم .

الواجب الثاني : أن نقارن بين حديث القرآن عن اليهود وبين حديثه عن المسيح والمسيحية ، وعمن استقاموا وآمنوا من الرهبان . كأن نقارن بين قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

حيث يأتي بذكر اليهود قبل الذين أشركوا . وإن كانت الواو — كما يقول النحاة — لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً . ولكن التصدير بذكر اليهود يفيد مبلغ الإهتمام بتفخيم العداوة الشديدة من اليهود مع الذين أشركوا . نقارن بين هذا وبين قوله تعالى عقب ذلك : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » .

ونقارن بين التصوير المرعب لشخصية اليهود الآثمة وشخصية كبرائها الذين ضلوا السبيل . وبين تصوير القرآن لشخصية مريم العذراء البتول خير نساء العالمين ، والمسيح الذي آتاه الله من المعجزات ما لم يسبق لغيره من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .... إلخ .

الواجب الثالث : هو أن نبين أن الجريمة التي وقعت من اليهود في فلسطين لم تكن موجهة إلى المسلمين وحدهم . بل عمت في إجرامها فشملت المسلمين والمسيحيين معاً . فعندما اغتصبت اليهود الأرضَ الطيبة . أرضَ الإسراء والمعارج ، أولى القبلتين . وثالث الحرمين . لم يعتدوا فقط على مقدسات المسلمين ممثلة في أماكنهم المقدسة ، بل كان العدوان أيضاً على أماكن مسيحية يعتز بها المسيحيون العرب . ففي فلسطين يوجد مهد المسيح . وتوجد كنيسة القيامة ، وتوجد كنيسة المهد . إلى آخر ما يعتزون به من مقدسات . ويجب أن نشعر المسيحيين — وخاصة العرب منهم — أنه لا يجوز الجري في تيار هذه المؤامرة اليهودية ، وإن كان ظاهرها أمراً مسلّماً به . وهو أن المسيح لم يصلب

ولم يقتل ، لأن المراد من ورائها كيد خبيث ، يراد منه تحطيم المقاومة العربية والخطة العربية لإسترداد فلسطين ، ورد اليهود إلى أماكنهم التي جاءوا منها كشذاذ للآفاق .

الواجب الرابع : هو أن نطمئن إلى أن المسلمين لن يضاروا إن صدرت الوثيقة أو لم تصدر ، فإن لم تصدر فإن العداوة التاريخية المستحكمة بين اليهود والمسيحيين ستبقى ، وتضمن للمسيحيين أن يقفوا إلى جانب المسلمين لإسترداد فلسطين . وإن صدرت الوثيقة واعترف أصحابها بمضمونها فسيكون في هذا تسليم من المسيحيين بما قرره القرآن الكريم في قوله : « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » ؛ والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الأطعمة والأشربة والذبائح



الخمر باب الشقاء

السؤال : **ما رأي الإسلام في تناول الخمر ؟ .**

الجواب :

هناك علة خطيرة في المجتمع ، هي علة إنتشار الخمور ، واعتياد الكثيرين من المتحللين والمترفين لتناولها جهراً أو سراً ، وتلطخ الكثير من الحفلات والسهرات ، في الأفراح والملاهي والأندية الليلية الخبيثة ، بالخمر على إختلاف الأنواع والألوان ، وهناك مع الأسف من يصرح بأن المخدرات كالحشيش والأفيون هي التي يجب أن تقاوَم وتحارَب . وتُبذل في محاربتها الجهودُ وتجند الجنود ، وأما الخمر فلا خوف منها ولا خطورة . بل هناك من يقترح محاربةَ المخدرات بنشر شرب الخمر . أو شرب نوع منها . ولسنا ندري ماذا نصنع لو أخذنا بهذا الإقتراح العجيب ؟ . إننا ندلل الناس على حرمة هذه المخدرات بأنها تشبه الخمر . في أنها تسكر أو تفتِّر ، فكيف ندلل لهم على هذه الحرمة إذا صارت الخمر وهي أم التحريم في الباب مباحة منشورة ؟ ..

ومن أعجب العجب أن بعض هؤلاء يفترون على الله الكذبَ وهم يعلمون ، فيقولون إن القرآن الكريم لم يصرح بتحريم الخمر ، مع أن الله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان . فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . فهل أنتم منتهون ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » .

والخمور بمختلف أنواعها المسكرة المذهبة للرشد والعقل – حرام حرام

بنص القرآن والسنة والإجماع ، ولو لم يحرمها الدين لحرمها العقل ، وإنما حرم الإسلام الخمرَ لما فيها من أخطار وأضرار ، وقد أراد من وراء تحريمها حفظَ الأموال ، لأنها تتبدد في الخمر بسفه وجنون ؛ وحفظَ الأجسام ، لأن الخمر تهدمها وتقوضها ، وتصيبها بوبيل الأمراض والعلل ، كضغط الدم والسل وتحلل الأعصاب وفقد الوعي وتلفِ الكبد ؛ وحفظَ العقول لأن الخمر تذهب بها ، وتسبب لمدمنها الخبال والضلال ؛ وحفظَ الأعراض لأن من سكر انفلت منه القياد ، فكان حيواناً أو كالحيوان ؛ ولقد رووا أن عجوزاً من الأعراب جلست إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قدحاً ، ففرحت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً ثانياً فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبِّروني عن نسائكم ، أيشربن من هذا الشراب ؟ . فقالوا لها : نعم . فقالت : زَنَين َورب ِّ الكعبة ....

ومن لؤم الذين يشربون الخمر جهاراً أو من وراء ستار ، أنهم يخادعون الله وهو خادعهم ، فيوهمون الناس َ أن الأصناف التي يشربونها اليوم ليست هي الأصناف التي حرمها الإسلام ، لأن الإسلام لم يذكر تحريم « الويسكي والكونياك والشمبانيا » وما أشبهها من الأسماء التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام ، ولكن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن هذا الاحتيال ، الذي وقع بعد عهده بأجيال ، فيقول : « ليشربن أناس من أمّتي الخمرَ يسمونها بغير اسمها » . ثم وضع لنا قاعدة التحريم في هذا الباب فقال في الحديث الصحيح : « كلُّ شراب أسكرَ فهو حرام » ، وقال : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » . وقال عمر بن الخطاب من فوق منبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الخمر ما خامَرَ العقلَ » أي غطّاه وستره ، فيدخل فيه جميع أنواع الخمر بمختلف أسمائها وألوانها وأشكالها .

ومن لؤمهم كذلك أنهم يقولون : إن « النبيذ » حلال ، وقد أباحه بعض الفقهاء ، وهذا تضليل وتحريف ، لأن النبيذ المذكور في كتب السيرة الإسلامية هو نقيع التمر والزبيب الذي لا إسكار فيه ، فهو يشبه « الخُشاف » المعروف اليوم . وعن أنس رضي الله عنه قال : « سقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقدحي هذا الشرابَ كله : العسل والنبيذ والماء واللبن » ..... فهل يُعقل أن يشرب نبي الطاهرين شراباً مسكراً أو فيه شبهة إسكار ؟ .

وهذا هو الحاكم العادل خامس الراشدين أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، رضوان الله عليه . يرى أن طائفة من المنحرفين يشربون نوعاً من الخمر يسمونه « الطِّلاء » والطلاء جنس من الشراب كأنه ثخن حتى صار كالقطران الذي تُطلى به الأبل ، فحاربَ عمر ذلك الإنحرافَ محاربةً صارمة . وكتب إلى ولاته وعمّاله كتاباً مطولاً ، جاء فيه قوله : « ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين ، إنما هو الخمر يكنّي باسم الطلاء ، قد جعل الله عنه مندوحةً وأشربةً كثيرةً طيبة ، وقد علمتُ أن ناساً يقولون : قد أحلّه عمر رضي الله عنه ، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا ، وإن عمر إنما أتى منه بشراب طبخ حتّى خَثِرَ (أي استرخى) فقال حين أتي به : أطلاء هذا ؟ . يعني به طلاء الإبل ، فلما ذاقه قال : لا بأس بهذا . فأدخل الناسُ فيه بعد عمر ..... ثما من شربه من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يُتخذ مُسكراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرام كل مسكر على كل مؤمن ، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البارَّ دُلْسَةً » (أي خداعاً وتضليلاً) ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة . وأن يحرموه . فإنه من أجمع الأبواب للخطايا ، وأخوفها عندي أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم » .[1] والجائحة هي المصيبة .

ويكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل ، وإليه على مصر . خطاباً في الخمر منه قوله : « ثم إنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رِعَةُ (أي ملاحظة) كثير من الناس ، وجمعوا مما يغشون به مما حرم الله حراماً كثيراً نُهوا عنه . عند سفه أحلامهم وذهاب عقولهم ، حتى استُحِلَّ في ذلك الدمُ الحرام ، وأُكل المال الحرام ، والفرج الحرام ، وقد أصبح كل من يصيب من ذلك الشراب إنما علتهم فيه يقولون : الطلاء لا بأس علينا في شربه ، ولعمري إن ما قرب إلى الخمر في مطعم أو مشرب أو غير ذلك

---

(١) كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، ص ٨١ و ٨٢ .

ليَتقَى ، وما يشرب أولئك شرابَهم الذي يستحلون إلا من تحت أيدي النصارى ، الذين يهون عليهم زيغ المسلمين في دينهم ، ودخولهم فيما لا يحل لهم ، مع الذي يجمع نَفَاق سلعهم ، ويسارَةَ المئونة عليهم ، وما لأحد من المسلمين عذر أن يشرب ما أشبه ما لا خير فيه من الشراب ، فإن الله جعل عنه غنى وسعةً من الماء الفُرات . ومن الأشربة التي ليس في الأنفس منها حاجة ، من العسل واللبن والسويق والنبيذ والزبيب والتمر » .

ثم يقول عمر : « فإنا مَنْ نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه ، نوجعه عقوبةً في ماله ونفسه ، ونجعله نكالاً لغيره ، ومن يستَخْفِ بذلك منا فإن الله أشد عقوبة ، وأشد بأساً ، وأشد تنكيلاً » .

ثم يختم الكتاب بقوله : « أسأل الله أن يغنينا وإياكم بما أحل عما حرم ، وأن يزيد من كان فينا مهتدياً هدى ورشداً . وأن يراجع بالمسيء التوبةَ في عافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » . (١)

ومن لؤمهم أيضاً أنهم يتعللون في شرب الخمر بأنها دواء لمرض أو علاج لعلة ، وهذا مكر يمكرونه بين الناس ، لأنهم يشربونها للسكر والإدمان ، ولمآربهم الخسيسة الأخرى . وعلماء الطب لم يدعوا حالةً من حالات المرض يُستعمل فيها دواءٌ مسكر إلا جعلوا مكانَه دواءً ليس مسكراً ، وفوق هذا سئل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن التداوي بالخمر فأجاب : إنها داء وليست بدواء » .

ولما كانت الخمر بهذه الخطورة الخبيثة حذر الرسول منها أبلغ التحذير ، فقال فيما ينسب إليه : « اجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع (٢) والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يُخرج صاحبه » . ولا عجب فالخمر أم الخبائث ، ومفتاح الشرور ، وباب البلايا ، ولقد قص علينا بعض كتب السنة قصةً فيها عظة وبلاغ ، وخلاصتها أن رجلاً استدرجته امرأة فاجرة ، وغلقت عليه

---

(١) المرجع السابق ص ٨٥ و ٨٦ .
(٢) في كتب اللغة أن الخمر قد تذكر .

الأبواب . وكأنها أرهبته حين خيرته بين أمور ثلاثة : أن يشرب كأساً من خمر كان عندها . أو يقتل غلاماً كان معها أو يزني بها ..... وكأنما أراد الرجل أن يختار في ظنه أخفَّ الأمور ، فشرب من الخمر ، فلما دارت برأسه ، زيّن له الشيطان أن يواقع المرأة فأقدم على ذلك، وكأنما خافَ من الغلام أو ضاق به فقتله . فكانت الخمر سبباً في شر عظيم وبلاء مستطير ...

ولذلك لا يشرب الخمرَ إلا من ضل ضلاله ، وساء حاله ، وكأن هذا بعض السبب في أن السنة المطهرة تخبرنا بأن شارب الخمر كان يُجلَد أربعين ، وكان الجلد بالنعال في كثير من الأحيان ... نعم بالنعال ، لأن المرء الذي أهدر آدميته وأذهب عقله ، لايستحق إلا الحذاء يُصفع به ويجلد ، ليتأدب ويرتدع وشتان بين إنسان يحافظ على عقله وكرامته ، وحشرة تأبى إلا هلاكَ نفسها أو سواها :

إن عادت العقرب عدنا لهـــا بالنعل ، والنعل لها أنســب . . .

وهناك من يرى أن مقاومة الخمر ومهاجمتها الآن لون من الرجعية والجمود ، لأن الخمر قد ذاعت وانتشرت ، وأصبح من العبث الوقوف في وجهها ، وهذا منطق غريب ، مقتضاه أن النار إذا زادت في الإشعال تركناها حتى تأتي على الأخضر واليابس ... وما هكذا كان المصلحون ، ولا الذين يغارون على الفضائل والأخلاق . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نراه حينما شاهد أن عدد الذين ينحرفون فيشربون الخمر قد زاد عما كان عليه في عهد النبوة ، يضاعف حدَّ الشارب ، فيزيده من أربعين جلدة إلى ثمانين ، لأن التوسع في الجرم يستدعي التشديد في الجزاء والعقاب .

إن الله جل جلاله قد خلق لنا الحلو اللذيذ ، الطيب الحلال الطاهر ، من ألوان الشراب ، فخلق اللبن الذي يخرجه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وخلق العسل الذي يخرجه من بطون النحل شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس . وخلق الماء العذب الفرات الذي يروى ويمتع ، وخلق عصير الفواكه وما أكثرها وأكثر منافعها وخصائصها .

ولقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يدخل بستان « بيرحاء » لأبي طلحة ، بجوار المسجد النبوي ، ويشرب من ماء فيه طيب ، كأنه يحبه ويتلذذ به ، وكان الماء العذب يُجْلب للنبي من عين تسمى « بيوت السقيا » على يومين من المدينة ، وقيل إنها قرية بين مكة والمدينة ، فأين هذا الهدى النبوي القويم من ولوع الإنسان اليوم بإفساد الصالح وتعويج المستقيم وتعقيد السهل ؟ .

كان الطعام لسد الجوعة فجعله للتخمة والبطنة ، فتعددت ألوان الأكل ، فكثرت الأمراض وتعددت العلل ؛ وكان الشراب للري ودفع الظمأ ، فاصطنع الإنسان ألواناً منه لقتل العقل وإثارة الشهوة ، وكانت الثياب لستر العورة ، فجعلها الرجل للزينة الزائدة والفخر الكاذب ، وجعلتها المرأة كمصايد للشيطان . فأي شقاء جرَّه الإنسان على نفسه بسبب هذا الإنحراف وذلك الإسراف ؟ .

إن واجبنا أن نقطع الطريق على الخمر أم الخبائث ، وأن نبعدها عن مجتمعنا ، وعن ذرياتنا التي تتوزعها مناكب الحياة ، وأن نأخذ بهدى الإسلام فلا نقرب ، ولا نرضى بها ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الذبائح المحرمة

السؤال : **يقول الله تعالى في سورة المائدة : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق . فما الحكمة في تحريم هذه الأشياء التي ذكرتها الآية الكريمة ؟ .**

الجواب :

حينما نتحدث عن موضوع التحريم الذي نحن بصدده في الآية نسائل

انفسنا : ماذا يراد بهذا التحريم ؟ أأريد به التيسير والإصلاح ، أم أريد به التضييق والإرهاق ؟ . إن نظرة نلقيها على كتاب الله عز وجل ترينا أن هذا التحريم إنما جاء في ظلال التيسير الواسع والإحلال الفسيح المدى . فبجوار هذه المحرمات القليلة سبق إحلال طيبات كثيرة ، فالله تعالى قد قال : « كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، وقال : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ؟ . فأنواع الأحياء في الماء أوفى الهواء أو في الأرض — غير ما حرم القرآن والسنة — كلها من الطيب المباح ، الذي يجوز للإنسان أن يأكله ، ويتمتع به في غير إسراف . ومعنى هذا أن التحريم هنا لم يأت ليسد الباب في وجه الإنسان . وإنما جاء خصيصاً بعد تعميم واسع ، يكفي الإنسان ، ويحقق له كلَّ ما يريد في حسه ونفسه ، فما من شيء من هذه الأشياء المحرمة إلا ويقابله شيء حلال أطيب منه وأكرم ، لا يلحقه شيء من ناحية الفساد أو ناحية الضرر .

ثم إن هذا التحريم ليس تحريماً أبدياً ، إذ روعي فيه أيضاً نافذة الضرورة ، فعندما توجد الضرورة يصبح استعمال هذا المحرم جائزاً ، بقدر ما ندفع به هذه الضرورة .

فروح التيسير موجودة في هذا التحريم الذي جاءت به هذه الآية الكريمة .

ثم من الممكن أن نلحظ معاني عامة لهذا التحريم .

أولاً : نلحظ دفع الضرر الحسي الواقع من تناول هذه المحرمات ، كما ذكر المفسرون السابقون في تعميم ، وكما ذكر المتخصصون من الأطباء والعلماء في تحليل وتفصيل .

ثانياً : نلحظ دفعَ المسلم أو إبعاده عن منطقة القذارة أو الإستقذار ، لأن من شأن المسلم أن يكون طهوراً في صلاته ، طهوراً في صيامه ، طهوراً في حجه . إلى آخر أنواع الطهارة الحسية والنفسية الموجودة في العبادات والواجبات، فمن تتمة هذا التطهير أن يباعد الله سبحانه وتعالى بين المسلم وبين مواطن القذارة وما يثير معنى الإستقذار في المطعومات والمأكولات .

« ثالثاً : نلحظ هنا التزكية والتكريم للنفس المؤمنة المسلمة ، لأن الله سبحانه وتعالى الذي كرم بني آدم يريد أن يرتفع بهم مع إيمانهم عما لا يليق بكرامتهم أو ذوقهم الكريم الطيب ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين يقول : إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » .

رابعاً : الطاعة لله الذي يستحق الطاعة وحده ، ومعنى التعبد لمن يستحق العبودية لذاته ، ومعنى الخضوع لمن هو المعبود بحق دون سواه، ومن هنا أرى أن الأشياء التي جاء فيها تحريم بغرض تحقيق معنى التعبد يجب أن يتوافر فيها هذا المعنى ، فعندما نجد بين المحرمات قوله تعالى : « وما أهل لغير الله به » ، لا نكتفي كأفراد بعدم السؤال عن مصدر « ما أهل لغير الله به » كذبائح أهل الكتاب . وربما لا أكون ملوماً كفرد إذا لم أعرف كيفية ذبح اللحم القادم من بلد مسيحي . ولكني أرى من واجب ولاة الأمر في بلاد الإسلام أن يعنوا ببحث هذه الناحية ، وأن يتأكدوا من أن اللحوم القادمة إلى بلاد الإسلام لحوم لا تتنافى مع شريعتهم ومعتقداتهم في جنسها وذبحها . ولا أقصد منع الضرر الصحي في الذبائح فقط ، وإنما أقصد بجواره تحقيق الشخصية الإسلامية العامة ، حيث يدقق المسلمون كدولة وأمة فيما يقبل إلى مجتمعهم من الخارج ، لكي يتبينوا أهو موافق لتعاليمهم وأخلاقهم ومبادئهم أم ليس بموافق . وبهذا تبدو شخصيتهم واضحة .

هذا ما يحسن بولي الأمر أن يقوم به ، ولذلك أرجو أن يكون صحيحاً ما نُشِرَ من أن ولاة الأمور يكلفون القناصل أو السفراء بأن يوفدوا مندوباً من قبلهم ليردد البسملة والتكبير على الذبائح في البلاد التي نستقدم منها اللحوم ، وليتأكد أن طريقة الذبح لا تخالف الطريقة الشرعية .

وقد يضيف الإنسان بعض الحِكَم التي تُلْحَظ في أسباب التحريم لكل صنف من أصناف هذه المطعومات والمحرمات الواردة في الآية الكريمة .

إن من شأن الحيوان المباح أكلُه أن يذبح ، وألا يُترك حتى يشيخ ، فهو يذبح إما في طفولته أو يفاعته ، وكلما كان أقرب إلى سن الشبيبة كان أطيب

وأرضى للنفس . وأليق بالذوق الذي يختار ويحسن الاختيار . فإذا مات هذا الحيوان ، فإما أن يموت لعلة . وإما أن يموت لشيخوخة . والعلة تستتبع الجرثومة ، والجرثومة عرضة للإنتقال إلى الآكل ، ثم إن الدم في الميتة قد حُبِسَ ، ومتى حُبس الدم في الميتة تعلق بالجلد وتجمد . وتجمع حول العظام ، وأسود وتأكسد ، وأصبحت لهُ طبيعة أخرى غير طبيعة الدم إذا خرج من الذبيحة عند الذبح .

ومن هنا يأتي المرض من أكل الميتة . وإذا كان الحيوان قد مات لشيخوخته . فان هذا مما تعاف أكلَه النفوس السليمة ، ونحن بفطرتنا الريفية نستقذر أن نأكل من لحم الحيوانات إذا ذُبحت وهي عجوز ، ونرى أنها متحللة ومتفانية . وأنها ضعيفة وهزيلة ، وأنها تورث الضعفَ أو تورث العلة في نفس الإنسان ، ولو لم يكن فيها جرثومة .

وكأن هذا توجيه إسلامي إلى أن الحيوان من شأنه أن يُذبح وأن يُذبح قبل أن يتعرض لعوامل المرض من جهة ، أو عوامل التحلل والضعف بالشيخوخة من جهة أخرى ؛ ويقولون إن الحيوان عرضة لأمراض كثيرة ، كمرض السل ومرض الحمى القمحية . ومرض الجرثومة السبحية ، ومرض الجرثومة العنقودية . وكل هذه أمراض تعرِض للحيوان ، وتعرِّضه للموت . وبطبيعة الحال إذا مات بقيت أصول الجراثيم فيه ، فتنتقل إلى من يطعمه ، فيكون قد أضر بنفسه ، وألقى بها إلى التهلكة ، والله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

والدم مزرعة جراثيم ، ومن تناول منه شيئاً عرَّض نفسه لهذه الجراثيم ، كما أن الدم يتغير بمجرد أن يسيل أو يخرج من الحيوان الذي كان فيه ،ويتلف ويفسد ، وتتعلق به جراثيم أخرى غير الجراثيم الفاسدة الناشئة من الرواسب والفضلات ، ومن السموم التي خرجت من الجسم بعد عملية الصراع بين الكرات الحمراء والكرات البيضاء داخل الجسم ، كما نفهم هذا من مبادىء علم الصحة .

والطب مثلاً يختاط ويوجب علينا إذا استعملنا اللبن — وهو في ذاته غذاء صالح ومباح من الأصل — أن نغليه غلياً جيداً ، بل إن بعض الأطباء يبالغون في أنه لابد من أن يغلى اللبن غلياً شديداً مرة أو مرتين ، وخصوصاً إذا كان الجسم الذي سيتناوله غير قوي البنية . فإذا كان هذا ممكناً في شأن اللبن فإنه لا يمكن تحقيقه فيما يتعلق بالدم . لأنه غير قابل لإحتمال الحرارة ، ثم إن قوة الجراثيم فيه أقوى من قوة الجراثيم في اللبن . قد يقال إننا استحدثنا وسائل جديدة تقضي على الجراثيم بدرجات حرارة عالية . ولكن هذه الدرجات العالية في الحرارة تتكلف من الجهد . وتتكلف من إضاعة الوقت ، وتتكلف اللحم الهنيء المريء .

هذا إلى أن تناول الدم فيه معنى التوحش . ومعنى الإنحطاط عن مستوى النفس الإنسانية ، ومن شأن المسلم ألا يألف منظر الدم في غير موطن الجهاد . فأكاد أفهم أن نهي الإنسان عن شرب الدم وتناوله فيه إبعاد له عن المعاني الدموية التي فيها نوع من الوحشية والإفتراس ، ولذلك وجدنا الإسلام يوصينا إذا قتلنا أن نحسن القتلة ،وإذا ذبحنا ان نحسن الذبحة ،وأن نخفي السكين ،ونجهز على الذبيحة بأقصر وقت يمكن ، وألا نتمعن في منظر الدم حتى لا نألف هذا المعنى الدموي الثائر .

وفي لحم الخنزير توجد الدودة الشريطية ، وجرثومة المرض المسمى (التريكينا) ومن الأطباء والعلماء من حققوا أن لحم الخنزير فيه من الدهون والشحوم التي تختلط بعضلاته وبلحمه ما لا يسهل على المعدة أن تهضمه في أغلب الأحيان ، وهذا بجوار الأمراض والجراثيم الموجودة فيه ، وبجوار قذارته ، وبجوار العرف الشائع منذ أقدم العصور على أنه يضرب مثلاً للقذارة وللخسة وعدم الغيرة ،وبمجرد أن يأكل الإنسان لحم الخنزير سيتذكر هذه المعاني ، فكأنه يعرض نفسه للتلبس بمعان مستقذرة يوحي بها تناول هذا اللحم الخبيث ، فمن الأفضل أن ينأى عنه ، وبجواره طيور وأبقار وجواميس ودجاج وبط وأوز وغير ذلك من الحيوانات الطيبة .

وينبغي هنا أن نتذكر حكمة الفقه عندما نهى عن أكل البهيمة الجلالة التي

تألف القاذورات ، حتّى ولو كانت مباحة اللحم في أصلها ، وهناك خلاف طويل حول النهي هنا : أهو نهي للتحريم أم نهي للكراهة ؟ . وبعض العلماء يذهب إلى التحريم ، حتّى إن بعض الأشخاص الذين عندهم حيوانات من هذا القبيل كالدجاجة المخلاة الّتي تألف القاذورات يحبسونها في مكان ، ويناولونها طعاماً خاصاً لمدة أيام ، حتّى تتخلص من آثار القذارة القديمة ، ولعل من آثار هذه العادة ما نجده عندنا في الريف ، فهم إذا أرادوا ذبح البط أو الأوز سقوه مقداراً من الخل ، إعتقاداً منهم بأنه يقضي على بقية القذارة الّتي تكون موجودة من أكله القاذورات .

وبعض الأطباء يقول : « لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضماً ، وذلك لأن أليافه عضلية محاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الأخرى المباح أكلها ، وهذه الأنسجة الدهنية تحول دون العصير المعدي ، فلا يسهل عليه هضم المواد الزلالية للعضلات ، فتتعب المعدة ، ويعسر الهضم ، ويحس الإنسان ثقلاً في بطنه ، ويضطرب القلب ، فإما أن يقيء ما أكله فيستريح ، وإما أن تهيج الأمعاء وينطلق البطن بالإسهال ، فمن يتعود أكله يتعب منه كثيراً ، ومن تعود وكان قوي المعدة كان الأولى به صرفُ قوتها في الأغذية الجيدة النافعة ، فان لم يكن قوي المعدة ناله من شر هذا اللحم ما يناله » .

ثم إن الخنزير لم يكن حيواناً مشهور الوجود في البيئة العربية الّتي ظهرت فيها دعوة الإسلام ، فكان من معجزات الإسلام أنه حرم هذا الخنزير من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه طبع المسلمين الأوائل على لحوم طيبة هنيئة ، حتّى إذا ما عرض عليهم هذا اللحم الخسيس الخبيث الوبيء انصرفوا عنه ، وحملوا غيرهم على الإنصراف عنه — وقد روى أن الموسوية تحرم الخنزير ، مما يؤكد أن مثل هذه المحرمات معروف تحريمها من قديم العصور .

تبقى بعد ذلك أصناف : كالمنخنقة الموقوذة والمتردية والنطيحة ، وهذه ملحقة بالميتة . وقد يقال : فلماذا نص عليها القرآن ؟ . لعل سبب النص هو ما تعوده القوم في الجاهلية أو في البيئات غير المتقيدة بالآداب الإسلامية من استباحة أكل هذه الأصناف — فالقرآن الكريم أجمل في سورة البقرة كلمة « الميتة » .

وجاء هنا في سورة المائدة ففصل ، حتى لا يقول أحد من الناس إن هذه الأصناف لا تدخل في معنى الميتة ، أي أنه منع بالتخصيص بعد أن منع التعميم .

هناك أيضاً صنف من هذه الأصناف ، وهو الموقوذة ، ولعل من أسرار النهي عن أكلها هو أنها ضُرِبت ، ويغلب في ضربها معنى التعذيب لها ، والإنسان المؤمن من شأنه ألا يرتضي تعذيب الحيوان ، لأن الدين أمر بالرفق به ، فيكون أيضاً من أسرار النهي عن أكل الموقوذة إبعاد المسلم عن معنى تعذيب الحيوان ، أو الرضا بتعذيب غيره له ، لأن أكل المسلم من هذه الموقوذة سيكون تسليماً بهذا العمل ، وهو تعذيب الحيوان ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ذبيحة المسيحي

السؤال : **هل يجوز شراء اللحوم وأكلها من الجزار ، مع العلم بأن الذابح لم يظهر أمره : أهو من المسلمين ، أم من المسيحيين ؟ .**

الجواب :

يجوز اكل ذبيحة الجزار سواء أكان مسلماً ام كان مسيحياً. وعلى هذا يجوز شراء اللحوم وأكلها . إذا كانت مشتراة من جزار مسلم أم من جزار مسيحي كما جاء في السؤال .

وإنما يجوز ذلك إستناداً إلى قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم » .

وقد جاء في تفسير القرطبي ما خلاصته : الطعام اسم لما يؤكل ، والذبائح من الطعام ، والمراد من الآية أن ذبائح أهل الكتاب — وهم اليهود والنصارى — حلال لنا ، وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنه . وقال عطاء : « كُلْ من ذبيحة النصراني وإن قال : باسم المسيح ، لأن الله جل وعز قد أباح ذبائحهم ، وقد علم ما يقولون » .

وقالت طائفة : إذا سمعت الكتابي يسمى غير اسم الله عز وجل فلا تأكل .

وسئل أبو الدرداء عن كبش ذبح لكنيسة أهدوه إليها ، أتأكل منه ؟ : فقال أبو الدرداء للسائل : اللهم عفواً ، إنما هم أهل كتاب ، طعامهم حل لنا ، وطعامنا حل لهم . وأمره بأكله .

ويلاحظ أنه ليس واجباً على المسلم في مثل هذه الحالة أن يسأل عن الذبيحة التي لم يشهد ذبحها : كيف كان الذبح ؟ وهل استوفى الشروط ؟ وهكذا .

فما دام الذابح مسلماً — حتى ولو كان فاسقاً — أو من أهل الكتاب ، فأكل ذبيحته حلال .

وقد صح أن قوماً سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري : اذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سموا الله عليه أنتم وكلوا » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الأكل من صيد الكلب

السؤال : ما حكم الأكل من صيد الكلب ؟ .

الجواب :

يجوز للإنسان شرعاً أن يأكل مما صادته الكلاب بشروط ذكرها العلماء

في كتب الفقه ، وقد إستند الفقهاء في ذلك إلى قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة : « يسألونك ماذا أحل لهم . قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب » .

وقد روى المفسرون أن الآية نزلت بسبب عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل ، قالا : يا رسول الله ، إنا قوم نصيد بالكلاب والبُزاة ، وإن الكلاب تأخذ البقر والحُمُر والظباء ، فمنه ما ندرك ذكاته ، ومنه ما تقتله فلا تدرك ذكاته ، وقد حرم الله الميتة ، فماذا يحل لنا ؟ . فنزلت الآية السابقة .

ويشترط في الصيد المباح بالكلاب أن يكون الكلب معلّماً — أي متعلماً متدرباً — يخضع لتوجيه صاحبه ، ويطيع أمره وتوجيهه ؛ وهذا مأخوذ من قول الله تعالى في الآية السابقة : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » .

وأن يكون إمساك الكلب للصيد من أجل صاحبه ، فالكلب لا يأكل منه ، فإذا أمسك الكلب الصيد وأكل منه لم يجز . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك : « إذا أرسلت الكلب فأكل من الصيد ، فلا تأكل ، فإنما أمسك على نفسه ، فإذا أرسلته فقتل ولم يأكل ، فكل ، فإنما أمسك على صاحبه » .

ويجب ان يذكر مرسلُ الكلب للصيد اسم الله تعالى عند ارساله ، لأن الآية السالفة قد جاء فيها قوله عز شأنه : « واذكروا اسم الله عليه » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حكم شرب « البيرة »

ما حكم الدين في شرب الشراب المسمى باسم « البيرة » ؟.

الجواب :

الخمر هو كل ما يسكر ويُخرج الإنسان عن وعيه الطبيعي ورشده المألوف ، والخمر من الأمور التي حرمها الإسلام ، لأنها مذهبة للعقل ، مفسدة للجسم ، مضيعة للمال ، والدليل على تحريم الخمر قول الله تعالى في سورة المائدة : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » . ويقول أيضاً : « كل ما أسكر كثيره فقليله حرام » . ويقول : « كل مسكر حرام ، وما أسكر منه الفـرَق (مكيال يسع ستة عشر رطلاً) فملء الكف منه حرام » ..

وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن الدواء المتخذ من الخمر داء وليس بدواء.

والمعروف أن شراب « البيرة » الذي يباع في كثير من بلادنا يحوي نسبة من الكحول — وهي المادة المسكرة — قد تكون حوالي عشرة في المائة ، وقد تعلو إلى خمسة عشر في المائة ، وما دامت هذه النسبة موجودة ، فإن شراب « البيرة » حينئذ يكون من المواد المسكرة ، وحينئذ يكون شربه حراماً . والأطباء — فيما أعلم — يعدون شراب « البيرة » المعروف في بلادنا ضمن قائمة المواد الكحولية التي يوجد فيها عنصر اسكار ، وهو عنصر « الكحول » .

وقد سمعت أن هناك نوعاً من الشراب يسمى أيضاً « البيرة » ولكنه خالٍ من الكحول ، أي خال من العنصر المسكر ، وهذا النوع يباع في المملكة العربية السعودية ، وقد كتبوا عليه ما يفيد أنه لا يحوي شيئاً من الكحول ، فهذا النوع يباح شربه ما دام لا توجد فيه مادة إسكار ، وليت هذا النوع يعمم في البلاد الأخرى ، حتى يستفيد الناس بما فيه من منفعة ، وحتى يقطع الطريق على « البيرة » التي تحوي مادة الكحول .

وقد يقول قائل إن النصوص المحرمة للخمر لم تذكر شيئاً اسمه « البيرة » ، وهذا نوع من التضليل وبلبلة العقول ، لأنه ورد في السنة النبوية المطهرة أنه يأتي على الناس زمان يسمون فيه الخمرَ بغير أسمائها ، وكل نوع من المواد المسكرة مهما كان لونه أو شكله أو اسمه فهو حرام ، لأن القاعدة الشرعية هي : كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام .

وأحب أن ألفت النظر هنا إلى أمر له أهميته هو أن الفقيه الديني قد يسأله الناس عن نوع من الأشربة ، وهو لا يدري عناصره ، ولا يعرف طريقة تكوينه ، ففي هذه الحالة لا يكون أساس الفتوى إلا على تقرير أهل الخبرة والإختصاص في هذه المواد ، فإذا أثبت الطبيب المسلم الحاذق أن هذا النوع من الشراب يتضمن مادة مسكرة صار تناوله حراماً ، ولذلك يحتاط الفقيه عند الإفتاء فيقول مثلاً : إن كان هذا الشراب فيه مادة مسكرة يكون حراماً ، ولا عبرة بقلة المشروب منه أو كثرته ، فإن القاعدة الدينية تقول : ما أسكر كثيره فقليله حرام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

وقوع الذباب في الإناء

السؤال : جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء » . فهل هذا حديث صحيح ؟ وإذا كان صحيحاً فما معناه ؟ .

الجواب :

نعم هذا الحديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وقع

الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كلّه . ثم ليطرحه ، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء » .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد بن حنبل . كما يتبين ذلك من كتاب « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » .

وقد وردت رواية البخاري هكذا : « فإن إحدى جناحيه » بالتأنيث . وذكر ابن حجر في كتابه « فتح الباري » أن الجناح يذكر ويؤنث ، وقيل أنّث باعتبار اليد ، وفي رواية أبي داود : « فإن في أحد جناحيه » .

والأمر بالغمس في الحديث ليس للفرض أو الوجوب ، وإنما هو أمر إرشاد ، لمقابلة الداء بالدواء فقد رووا — وأيد الرواية بعض الأطباء — أن الذبابة تحمل في جناحيها جراثيم ضارة وجراثيم مقاومة ، ففي أحد جناحيها جراثيم تقضي عليها أو تفسدها جراثيم الجناح الآخر .

وقال الإمام الخطابي: « تكلم على هذا الحديث من لا أخلاق له ، فقال : كيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب . وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدّم جناح الشفاء وما ألجأه إلى ذلك ؟ .

وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة ، وقد ألّف الله بينها وقهرها على الاجتماع ، وجعل فيها قوي الحيوان ، وإن الذي ألهم النحلة إتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه . والهم النملة أن تدخر قوتها أوان حاجتها ، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت ، لقادرٌ على إلهام الذبابة أن تقدم جناحاً وتؤخر آخر .

وقال ابن الجوزي : ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب ، فإن النحلة تعسل من أعلاها ، وتلقي السم من أسفلها . والحية القاتل سمها تدخل لحومُها في الترياق الذي يعالج به السم ، والذبابة تُسحق مع الإثمد لجلاء البصر . وذكر بعض حذاق الأطباء أن في الذباب قوة سُميّة يَدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعة ، وهي بمنزلة السلاح له . فإذا سقط الذباب فيما يؤذيه تلقاه بسلاحه .

بأمر الشارع أن يقابل السمية بما أودعه الله تعالى في الجناح الآخر من الشفاء ، فتتقابل المادتان فيزول الضرر باذن الله تعالى » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

متفرقات



الذكرى

السؤال : مضى عام على وفاة أبي ، فتجددت الذكرى ، وتحركت الأشجان ، فما هو الطريق المستقيم للذكرى في الإسلام ؟ .

الجواب :

« الذكرى » كلمة مشتقة من مادة « الذكر » ، والذكر يراد به استحضار شيء منسي أو غائب ، أو الإحتفاظ بشيء موجود قائم ، ليكون من وراء ذلك تفكر وتدبر واعتبار . ونحن جميعاً محتاجون إلى الذكرى ، مطالبون بها شرعاً وعقلاً : من كان غافلاً وجب عليه أن يتذكر ما غفل عنه ، ومن كان ذاكراً وجب عليه أن يستديم نعمة التذكر ، لأن الذكرى تثمر حياة القلب ، ويقظة العقل ، وعظة النفس ، ولذلك كانت الذكرى صفة العقلاء الأخيار : « إنما يتذكر أولو الألباب » .

ولقد كان الفضلاء البصراء من أجدادنا يحسنون التذكر ، ويرتفعون بالذكرى ، حتى في مواطن الحب والهوى ، فهذا شاعر عربي يقول لحبيبته :

ولقد ذكرتك والرماح نواهـــل   منى ، وبيض الهند تقطر من دمي

فهو لم يذكرها وهو في ملهى أو ماخور ، بل ذكرها وهو في ميدان قتال تتهاوى فيه الرءوس وتنشق الصدور . وإذا كان هذا شأن الشعراء وهم يترنمون بأنغام الصبابة والهيام ، فكيف بالعبّاد والزهاد من الأجداد الذين عطروا صفحات التاريخ بأنباء تفكرهم ، وأخبار تذكرهم ، وضربوا للناس في هذا المجال خير الأمثال ؟ ! .

ونحن أشد حاجة إلى الذكرى من أجدادنا ، فقد شغلتنا الحياة بمطالبها ورغائبها ، وماديّاتها وشهواتها ، عن مواطن الاذكار ، ومواقف الإعتبار ،

ع أن القرآن المجيد يقول : « إن الذين إتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون » ؛ ويقول : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

وإذا كانت « الذكرى » من « الذكر » ، فحسب الذكر والذكرى شرفاً أن يصف رب الخلائق كتابه الباقي الخالد بأنه ذكر : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وبأنه ذكر حكيم : « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » ، وبأنه ذكر للجميع : « إن هو إلا ذكر للعالمين » . وحسب الذكر والذكرى شرفاً أن يصف رب الخلائق نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه ذكر : « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات » .

وإذا كان الذكر أنواعاً والذكرى درجات ، فإن قمة الذكر والذكرى تتمثل في ذكر الله جل جلاله : أي في مراقبته واستحضار هيبته ، والثناء عليه بجميع محامده ، وهذا هو مفتاح الطمأنينة والسكينة ، وباب الفوز والفلاح : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » . وذكر العبد ربه لنيل اسمى شرف له ، وهو أن يذكره ربه حسبما قرره وهو أصدق القائلين : « فأذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » . وهذا أحد أعلام الصوفية — وهو ثابت البناني يقول الصحبة : إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ، فسألوه متعجبين : وكيف تعلم ذلك ؟ . فأجاب : إذا ذكرته ذكرني ، لأنه يقول « فاذكروني أذكركم » . ويؤيد هذا ما جاء في الحديث القدسي : « أنا مع عبدي ما ذكرني ، وتحركت شفتاه بي » ! .

• • •

والذكرى القويمة المرضية المطلوبة شرعاً وعقلاً هي الذكرى التي تفيد وتنفع ، وتهذب وتوجه ، ولذلك يقول القرآن المجيد : « فذكر إن نفعت الذكرى » . ويقول : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » . ويقول :

« فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . ولذلك لا يصلح للذكرى الرشيدة كل من هبَّ ودب ، وإنما أهل هذه الذكرى خواص لهم صفات متى تحلوا بها جاءتهم الذكرى على وجهها ، فنفعت وأفادت وأثمرت ، ومن هنا قال الحق جل جلاله : « إنما يتذكر أولو الألباب » وكرر القرآن عدة مرات أن الذكرى من صفات أولي الألباب ، أي أصحاب العقول والقلوب ، وقال : « وما يتذكر إلا من ينيب » . وقال : « سيتذكر من يخشى » ، وقال : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

* * *

وما أكثر مواطن الذكرى ..

تثور الذكرى برأس الإنسان العاقل الفاضل ، فيتذكر كيف بدأ الله الخلق ، وكيف أنشأ بديع السموات والأرض هذا الإنسان بعد أن لم يكن ، فجعله في أحسن تقويم ، وسواه وعدله في صورة ما شاء ركبه : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعاً بصيراً ، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » ، « أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » ؟ . ثم ينفسح تذكره وتدبره وتفكره ، فإذا هو يسبح في ملكوت الله الواسع متأملاً متعقلاً ، وإذا هو يتذكر كيف خلق الله الأرض والسماء ، والماء والهواء ، والليل والنهار ، والأنهار والبحار والقفار ، والأطيار والأشجار والثمار ، والحيوان والنبات والجماد ، وما أعظم الذكرى التي تثور عند العقلاء البصراء في هذا المجال : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ، فقنا عذاب النار » .

وتثور الذكرى برأس الإنسان العاقل الفاضل ، فيتذكر ما عليه من واجبات وتبعات ، فيلتزمها ويؤديها ، مستحضراً في فؤاده قول ربه جل جلاله :

« وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . ويتذكر ماله من حقوق فيبحث عنها ويطالب بها ، ولا يقبل فيها هضماً ولا غبناً : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » ، ويتذكر المستضعفين ليقويهم ، والمظلومين لينصرهم : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » . ويتذكر ما بين يديه وما حوله من أمانات ليصونها ويرعاها : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . ثم يتذكر حسناته ، ليحمد الله عليها ويزداد منها ، ويتذكر هفواته وسيئاته ليندم عليها ويقلع عنها ، ويطهرها بالحسنات والطيبات : « إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » ، والرسول يقول : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . الحكمة تقول : إن الحلو يأتي على المر فيمحوه .

وتثور الذكرى برأس الإنسان العاقل الفاضل ، فيتذكر إنساناً حبيباً إليه . عزيزاً عليه ، بعيداً منه غائباً عنه ، فإذا المتذكر مستحضر نسمات هذا الغائب العزيز ، يتنشق نفحاته ، ويتمثله إلى جواره ، فيجد من ذلك هزة موقظة ، تعروه في حسه ونفسه ، وقد توجعه ولكنها تمتعه ، وقد تشتد عليه ولكنها حبيبة إليه ، وقديماً قال القائل :

وإني لتعروني لذكراك هـــــزة كما انتفض العصفور بلله القطر

والذكرى للغائب لون كريم من ألوان الوفاء ، ولذلك قال الأول :

اذكرونا مثـــل ذكرانا لكـــم رب ذكرى قربت من نزحا

وقد أشار القرآن الكريم إلى قوة الذكرى للغائب ، التي يستطيع بها المتذكر الوفي أن يتمثل العزيز عليه حاضراً لديه ، حينما قال عن والد يوسف : « ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون » . ولو أن كل مؤمن تذكر إخوته في الله والإيمان والوطن ، وسأل عنهم ، واتصل بهم ، وتعاون معهم ، وأحب لهم الخير وسعى فيه ، وكره لهم الشر وقاومه ، لكان ذلك تطبيقاً لقول الله عز من قائل : « إنما المؤمنون إخوة » ، وقول

الرسول عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » . وصلوات الله وسلامه على رسوله حين قال : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

وتثور الذكرى برأس الإنسان العاقل الفاضل ، فيتذكر تاريخه المجيد المليء بمفاخر أجداده ومآثر آبائه ، فيدرك أنه فرع لدوحة وارفة الظلال ، وأنه ينتسب إلى أمة كريمة عظيمة ، شرفها ربها ، وعز في التاريخ شأنها ، فتوجب الذكرى على الإنسان أن يجعل ذاته أهلاً للإنتساب إلى تلك المفاخر والمآثر ، لا بواسع الكلام أو عريض الدعوى ، بل بخطوات المتابعة على طريق العزة والمجد ، فيعمل كما عمل أسلافه ، ويجاهد كما جاهدوا ، ولا يكتفي بالتحدث عن آبائه وأجداده ، وإلا كان عظامياً ، ونحن نريده عصامياً ، وزلت أمة تكتفي بإجترار الذكريات :

لسنا وإن أحسابنا كرمت ‌ ‌ ‌ ‌ يوماً على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ‌ ‌ ‌ ‌ تبني ، ونفعل مثلما فعلوا

وإذا بنى الإنسان نفسه بنفسه ، وأضاف جديداً إلى تراث قومه ، فإن المعاصرين له من أبناء الأمة سيذكرونه بالحمد والثناء ، وسيتطلعون إليه كمصلح أو منقذ إذا ضاقت المسالك أو تشعبت الدروب ، فكأنه القائل :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم ‌ ‌ ‌ ‌ وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وتثور الذكرى عند الإنسان العاقل الفاضل ، فيتذكر من رحل إلى دار البقاء والخلد ، من أحبابه الأطهار وأعزائه الأخيار ، فيدعو لهم ، ويدرك أنه ماض على طريقهم ، وأن بينهم وبينه لقاءً موعوداً هناك ، حيث يجمع رحمن الدنيا والآخرة أهل الهدى والتقى في مستقر رحمته ، وساحات جنته ، ما داموا على الصراط المستقيم سائرين ، لأن الجزاء من جنس العمل ، ونعم دار المتقين : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم

فنعم عقبى الدار » . والتفكير في دار البقاء يستتبع تذكر الموت ، وما احسن عبد تذكر الموت إلا هون عليه كل عسير ، وقرب إليه كل بعيد، ولذلك كان الإمام علي يقول : « اكثروا ذكر الموت » ويقول : « اذكروا إنقطاع اللذات وبقاء التبعات » . وهذا نذير أي نذير يؤيده ويزكيه قول أصدق القائلين : « كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

إن أوجب الواجبات علينا أن نذكر ربنا بالتوحيد والتمجيد ، وأن نذكر رسولنا بالمتابعة والإقتداء ، وأن نذكر قرآننا بالتدبر والإستجابة ، وأن نذكر وحدتنا بالتثبيت والتوطيد ، وأن نذكر بلادنا بالتحرير والتحصين ، وأن نذكر مقدساتنا بالغيرة والصيانة ، وأن نذكر ماضينا بالدرس والإعتبار ، وأن نذكر حاضرنا بالجد والإجتهاد ، وأن نذكر غدنا بحسن الأمل وعميق الرجاء .

« وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

أسباب الشقاء

السؤال : **ما هي أسباب الشقاء في الحياة ؟ .**

الجواب :

يلاحظ الدارس لمجتمعاتنا أن الشكوى كثيرة شائعة ، وأن عدداً كبيراً من الناس يتحدثون بأنهم أشقياء في حياتهم ، وأنهم لم يذوقوا للسعادة طعماً . حتى قال بعض الكاتبين إن بلادنا هذه من حقها أن تسمى « بلاد الشكوى » . وقد يكون هناك حقيقةٌ من فاضت به كؤوسُ مصائبه وشقائه ، فحق له أن

يعد نفسه غيرَ سعيد ، أو يقرر أنه شقي ، ولكن الملاحظ كذلك أن كثيرين يعدون أنفسهم أشقياء ، ولو أنهم تبصروا الحقائق وواجهوها لما عدوا أنفسهم كذلك .

ولا ريب أننا إذا عرفنا العلة وشخصناها ، ووقفنا على أسبابها ، تيسر لنا علاجُها وإزالتها ، وفي إعتقادي أن أول داع من دواعي هذه الشكوى ، وأول سبب من أسباب هذا الشقاء الذي يتحدثون عنه ، هو ضعف الإيمان بالله جل وعلا ، وضعف التوكل عليه والثقة به ، وضعف الصلة الروحية بين الإنسان وخالق الإنسان .... ولو ارتبط المرء بخالقه إرتباطاً قوياً عميقاً عن طريق الإيمان والإعتماد والرجاء والمناجاة والمراقبة ، لرأى المؤمن نفسَه وحياته فيوضاً من الجمال والرحمة ، تغمر ما قد يظهر في الحياة من معكّرات أو منغصات ، والحق تبارك وتعالى يقول : « ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً » .

ومن أسباب الشقاء أيضاً ذلك الوهم الكاذب المسيطر على عقول الكثيرين وأرواحهم . يكون الواحد منهم سعيداً مكفياً في حاضره ، فيأبى التمتعَ الطيب الطاهر المطمئن بما هو فيه ، بل يذهب مفكراً في المستقبل ، والغيب شيء استأثر الله بعلمه ، ويتساءل المرء لينغص على نفسه بنفسه حياتَه : هل سأكون كذلك في المستقبل ؟ . ألا تُدْبر الدنيا بعد إقبال ؟ . ألا ينتظرني بلاء أو شقاء ؟ .... وهكذا يظل في بلباله وزلزاله وتصوراته الوهمية ، حتى تتراكم سحب القلق في سمائه ، فلا هو انتفع بما في يده ، ولا هو استطاع أن يخترق حجبَ الغيب ؛ وذلك من ضلال الرأي وسوء التصرف .... ولو أنه حمد ربه على ما ساق إليه اليوم من نعمة ، وتمتع بها كما أمر ، وبذل جهده كما أرشد ، لما ضاعت عليه فرصة اليوم ، ولا تعب عقله من التفكير في الغد .

ومن أسباب الشقاء أيضاً محاولة تطهير الدنيا من الشر نهائياً ، مع أن ذلك غير ممكن ، وقد فطر الله هذا الكونَ على أن يطوي بين جوانبه خيرَ الأخيار وشر الأشرار ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا

بالحسنى ... كما أنه سبحانه جعل من دقيق نظامه ، وعميق حكمته ، أن يبلو الإنسانَ بالخير والشر ، والنعمة والنقمة ، لكي يشكر الإنسان حينما تأتيه النعمة ، ولكي يصبر حينما تساق إليه النقمة ، فينال الرضا والرضوانِ ، ولو أنه استمتع بالنعمة وحدها ، وكفر عند الإبتلاء ، لاستوجب لنفسه الشقاء : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » ... « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » .

ومن اسباب الشقاء ذلك الضيق السريع بالأزمات الخفيفة ، وعدم علاجها بسرعة ، أو عدم التبصر في مأتاها للخروج منها ، وهذا يدل على قلة الحزم وضعف العزيمة وضيق الأفق ، ولو أن الإنسان عوَّد نفسَه إذا وقع في حرج أو مأزق عارض ، أن يحفظ إتزانَه وهدوءه ، وأن يقبل على التخلص مما تعرض له ، في سرعة ودقة واطمئنان ، لما تراكمت عليه الهموم ، فأثقلت كاهله حتى ينوء بحملها ، فلا يستطيع الخلاص منها .... ولقد كان السلف الصالح في أوقات الشدة يهتفون : « الغَمَرَات ثم ينجلينا » أي تأتي الشدائد فنلقاها ونصبر لها ، ونعمل على التخلص منها ، حتى تزول وتنجلي ، وذلك أسلوب أولي العزم من الرجال .

وقد يتصل بهذه الناحية سرعة اليأس ، وهذا أخطر داء يصاب به الإنسان في الحياة ، لأنه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة . والتنزيل المجيد يقول : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ، ويقول : « لا تقنطوا من رحمة الله » ، ويقول : « قال ومن يقنط من رحمة الله إلا الضالون » . والأول يقول محبباً في الرجاء ، محرضاً على الأمل والثقة بفرج الله :

إذا إشتملت على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضرّ وجهاً ولا أغنى بحيلته اللبيب

أتاك على قنوط منك غوثٌ يمن به اللطف المستجيب
فكل الحادثات إذا تناهت فموصولٌ بها الفرج القريب

ومن أسباب الشقاء عدم تذكر النعم الكثيرة بجوار المتاعب القليلة ، ولو تذكر الإنسان هذه النعم حينذاك لهانت عليه تلك المتاعب ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكن الإنسان ذو طمع ، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى معه الثاني ، ولو كان معه الثاني لتمنى معه الثالث ، ولا يملأ عينَ ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، كما يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام .

إن الإنسان ليصنع الشقاءَ لنفسه أحياناً ، بل يبلغ السفهُ بالبعض إذا لم يجد في دنياه شقاءً أن يبحث عنه ، وذلك من سوء تصرفه وتخليط عقله ، ولو آمن المرء بربه ، واعتمد عليه ، وبذل جهده ، واحتمل ما يساق إليه ، وتطلع إلى الوجود بعين الأمل والرجاء ، لعاش عيشةَ السعداء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الإسلام والضمير

السؤال : **استدل كاتب على أن الإسلام لا يعرف تربية الضمير ، بأن القرآن الكريم لم ترد فيه كلمة « الضمير » ، فما الرأي في ذلك ؟ .**

الجواب :

مما ورثناه من حكم الأولين أن من جهل شيئاً عاداه ، ولم يحسن الحكم عليه ، لأن الحكم على شيء فرع عن تصوره ، ولقد كتب كاتب يقول : إن الإسلام دين لا يعرف تربية الضمير ، واستشهد على زعمه بأن القرآن الكريم لم تذكر فيه كلمة « الضمير »

وهذا القول من ألوان التخبط في التفكير ، وضرب من ضروب السفه في الحكم ، لأن المغنى من المعاني ، قد يؤديه صاحبه بأكثر من لفظ أو تعبير ، ولغة العرب – وهي لغة القرآن الكريم – لغة غنية ثرية ، قد نجد فيها للشيء الواحد عدةَ أسماء ، بل نجد له عشرات من الأسماء ، والإسلام دين يقوم على تربية الضمير في نفس المسلم ، وإن لم ترد لفظة « الضمير » بعينها وذاتها في القرآن . ذلك بأن الضمير كلمة تدل على الغيبة والسّر ، فيقال : أضمر الإنسان في نفسه شيئاً ، إذا أخفاه وطواه ، ويراد بالضمير الحي في المجال الخلقي أن يستشعر الإنسان – في نفسه وفي أعماقه – قوةً معنوية تصده عن العمل القبيح ، وتحرضه على التصرف الحميد ، وهذه القوة هي التي يُعَبَّر عنها في الإسلام بالخوف من الله ، أو خشية الرب بالغيب ، أو محاسبة النفس ، أو مراقبة الخالق ، وهذه أمور استفاض الحديث عنها في الإسلام بصورة أخاذة رائعة ، في القرآن وفي غير القرآن .

وقال العلماء إن كلمة « المسلم » نفسها تؤدي معنى كلمة « الضمير » لأن قول الإنسان : أنا مسلم ، معناه : أسلمت نفسي لله ، أي أسلم له ضميري ، وباطني وظاهري ، أي صرتُ عبداً خالصاً له : « فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص » . والقرآن يقول : « إنْ كل نفس لمّا عليها حافظ » وقد فسروا « الحافظ » هنا بالرقيب ، وقال بعضهم : إن المراد بالرقيب هنا هو الضمير .

وفي القرآن الكريم هذه الآيات : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » . « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » . وهذه الآيات ، وأشباهها كثير ، تنص على وجود هذه الرقابة الحكيمة الواسعة .

ولو تبصرنا لعرفنا أن أساس الضمير ودعامته هو الإيمان بإله ، مسيطر ، قادر ، حفيظ على كل شيء : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

مطلع على ما تكنه الضمائر والسرائر : « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » ، « ويعلم ما تخفون وما تعلنون » ، « وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى » ، « إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً » . محاسب على الكبائر والصغائر : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تُظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

ولقد قال أحد الحكماء : « إن ضميراً بلا إعتقاد في الله يكون كمحكمة ليس بها قضاة » .

* * *

وإنما يوجد الضمير الحق عند الإيمان بالله مالك الملك ، لأن الله جل جلاله مطلع على كل شيء : « وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » ، « سواء منكم من أسر القول أو جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » .

وإذا أيقن الإنسان باطلاع الله على حركاته وسكناته ، وعلمه بخفيِّ أمره وجليِّه ، أدرك أن الله معه حيثما كان : « وهو معكم أينما كنتم » فاستحيا من الله المرافق له ، الرقيب عليه ، القريب منه ، فخشيه بالغيب ، وخافه على كل حال ، ففاز بالخير في أولاه وأخراه : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم » . « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، وأسروا قولكم أو أجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

ومتى تحققت هذه الخشية تحقق الضمير الإسلامي المصاحب الدائم ، الذي لا يخون ولا يمين ، والذي يبلغ بصاحبه درجة الإحسان ، وهي أعلى مراتب العبادة في الإسلام ، وقد عبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن هذا الإحسان بما نفهم منه أنه سيطرة الضمير الديني على صاحبه ، حتى لا يدعه يهفو أو يغفو . فيقول : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

ولقد سأل رجلٌ النبيَّ صلوات الله وسلامه عليه : كيف يزكي المرء نفسه ويصفيها ؟ . فأجابه : « أن يعلم أن الله معه حيثما كان » . وفي رواية أخرى : « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » .

وهذا أحد حكماء الإسلام يقول : « إن أكبر مقومات الضمير هو الإعتقاد بإله قادر ، يحاسب على الكبائر والصغائر ، ويطلع على ما تكنه السرائر ، وبحياة بعد هذه الحياة ، يثاب أو يعاقب فيها الإنسان على ما قدمت يداه ، فكل تربية وكل تعليم لا يغنيان عن صاحبهما شيئاً ما دام ضميره مقفراً من هاتين العقيدتين ، وهذا هو المشاهَد المُحَسُّ ، فإن الناس في أيام جهالتهم ، وعدم إنتشار التعليم فيهم ، كانوا بفضل هاتين العقيدتين أفضلَ حالاً ، وأقوم أخلاقاً مما هم عليه اليوم ، يشهد بذلك كل من أطلع على التاريخ ودرس أحوال الأمم في أدوارها المختلفة » .

والمراقبة لله من الداخل وفي الأعماق هي التي تحسن قيادة الأعضاء والأطراف ، فلا يكون من الإنسان ما يسوء أو يعاب في تصرفاته أو حركاته ، ولذلك قال ابن مسروق الطوسي : « مَنْ راقب الله في خطرات قلبه ، عصمه الله في حركات جوارحه » ، وحينما كانت هذه المراقبة متحققة في أبناء الإسلام كان الحياء من الله يسيطر عليهم ، فيعصمهم من الخلل والزلل ، حتى في حالة الإنفراد وعدم إطلاع الناس ، وكان منهم من يبالغ في ذلك ، فكان خيارُ المتعبدين مثلاً يخجلون من كشف عوراتهم ، وهم منفردون ، لأنهم يتذكرون أن الله تعالى معهم ، لا يغيب عنهم ، ولا ينقطع عن الإطلاع عليهم ، فكل منهم يقول لنفسه :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل : خلوت ، ولكن قل : عليَّ رقيب .
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما تخفيه عنه يغيب .

ويروى أن شاباً غرا راود فتاة مؤمنة عفيفة عن نفسها ، وقد أقبل الليل ، وانتشر الظلام ، فتأبت عليه قائلة : « أما تستحي ؟ » فقال لها : « وممن أستحي وليس أمامنا إلا الكواكب » ؟ . فأجابته الفتاة زاجرةً مؤدبة : « فأين

مُكَوِّكبها ؟ » . أي فأين الله مبدعها جل جلاله ؟ .

وقصة عمر مع ابنة بائعة اللبن مشهورة ، وسلطان الضمير الديني فيها لائح واضح ، فقد سمع عمر وهو يتفقد أحوال الرعية بالليل امرأةً تقول لابنتها داخل البيت : يا ابنتي ، قومي أخلطي اللبن بالماء ؛ فأخبرتها الفتاة أن منادي الخليفة عمر ، قد نادى بألا يُخلط اللبن بالماء ، فقالت لها الأم : إنك في مكان لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر ، فأجابتها ابنتها مستنكرةً مذكرة : لا والله يا أماه ، ما كنت لأطيعه في الملا ، وأعصيه في الخلا ، إن كان عمر لا يرى فرب عمر يرى .

• • •

والعجيب أن يزعم الزاعم أنَ الثقافة المدنية العلمية وحدها هي التي تربي الضمير ؛ وهذا كلام يصادم الواقعَ في كثير من الأحيان ، فهناك مثقفون وذوو شهادات ودرجات ، وهم مع ذلك لا ضمير عندهم ، ولا خلق لهم ، فهم يعتدون باسم الحرية والتحرر ، وهم يختلسون ويغشون باسم المهارة أو الحاجة ، وهم يستغلون علمهم في وسائل للدمار والهلاك باسم الغلبة والإنتصار ، وقد نجد أشخاصاً غير مثقفين ، ولكنهم نشأوا في بيئة دينية سليمة ، فنرى الواحدَ منهم يخاف العملَ الأثيم والتصرف الذميم مخافتَه العقرب الخبيثة أو السم الناقع ، وكم من عوام نراهم أسلمَ صدوراً ، وأطهر تصرفاً ، وأحسن أخلاقاً ، من بعض الآثمين من المثقفين أو المتعلمين ؛ لأن العبرة هنا بسلامة الصدور وطهارة القلوب وحياة الإيمان : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ، « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

والقلب — كما قال أحد الحكماء — متى ثارت فيه ثوائر الشهوات لم تستطع أن تردها قوة العلم والثقافة ، لأن النفس تجد من كليهما مخرجاً بالتستّر أو سواه ، ولكن تستطيع أن تردها قوةُ العقيدة بالله ، وقد صلحت هذه القوة أن ترد عن الشهوات جماعات لم تنل من العلم ولا الثقافة شيئاً يذكر ، ويوم

يجتمع التعلم والتدين تكتمل قوة الضمير الصالحة في نفس الإنسان .

والذين يؤمنون بالله ويعتقدون في يوم الجزاء ، قد يهفون أو يزلون ، لما في الإنسان من حظ النقص ، وجل من لا يخطىء ولا يسهو ، ولكنهم سرعان ما يفيئون من زللهم ، ويتوبون إلى ربهم ، ويعاودون الإستقامة على طريقهم ، لأن هاتفاً قوياً في أعماقهم هتف بهم أن ربهم مطلع عليهم ، وأنه بالمرصاد ، وأنه هو الغفور الرحيم ، وصاحب العذاب الأليم ، في وقت واحد ، وهذه الإنابة تجعلهم على الدوام يقظين محترسين ، مقومين لما يعرض لهم من خلل أو إنحراف ، يقول الله تعالى : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم ، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون » . والنزغ هنا أقل وسوسة تكون ، فأمر الله عبده أن يهرب من الوسوسة بالمراقبة والتذكر ، وأن يلجأ إلى الله ويعتصم بحماه ، حتى لا يركن إلى هذه الوسوسة أو يستجيب لها . والمتقون لربهم إذا ألم بهم شيء من جهة الشيطان تنبهوا واستيقظوا ، فإذا هم على بصيرة من الأمر ، وحذر من السوء ، وأما الفجار فإن الشياطين تسرف في إغوائهم دون ارعواء أو إنتهاء .

والأعجب أن يزعم زاعم أن الضمير في أوروبا له جلال وسلطان .

فهل من سلامة الضمير الأوروبي أن يعتدي البيض المثقفون أبناءُ أوروبا على السود ، ويفرقوا بين الناس بسبب الألوان والأجناس ؟ . وهل من سلامة الضمير الأوروبي أن يكيد الإستعمار الأوروبي اللئيم كيده ليأتي بشذاذ الآفاق فيضعهم بقوة الحديد والنار في أرض فلسطين ، ويشرد أبناءها في الآفاق ، ليكونوا ضحايا الفقر والجوع والمرض ؟ .... وهل من سلامة الضمير الأوروبي أن يتخصص علماء كبار ليخترعوا وسائل الهلاك والدمار ، ويحولوا طاقات الكون من وسائل للنفع والتعمير والسلام إلى وسائل للإفساد والإهلاك ونشر الظلام ؟ .

أمّا إن الذين يجهلون الإسلام لا يحسنون الحديث عنه ، وإن أعداء الإسلام

يحاولون جاهدين أن يطمسوا محاسنه ويتجاهلوا فضائله . ولا بد أمام هذا من اعتزاز أبناء الإسلام به ، يدرسونه حقَّ الدرس ، ويعملون به أفضلَ العمل ، ويعرضونه خيرَ العرض . وبذلك يرضون ربهم ، ويسعدون أنفسهم ، ويحسنون إلى الناس ، والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حقيقة الدار الآخرة

السؤال : **أريد أن أعرف بعض الكتب التي تتحدث عن الدار الآخرة وأحوال القيامة ، وهل أحداثها ستكون حقيقة أو مجازاً ؟ .**

وما معنى قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها » ، وهل الحوض حقيقي ؟ .

الجواب :

لقد شغل موضوعُ الآخرة وما فيها أسلافَنا رضوان الله عليهم ، حتى إن كثيرين منهم وضعوا فيه مؤلفات مستقلة ، فبجوار التفاسير المبسوطة وأصول السنة المطهرة ، نجد لابن رجب الحنبلي كتابين في هذا الموضوع ، أحدهما بعنوان « أحوال القيامة » ، والثاني بعنوان « التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار » . كما نجد كتاباً يشترك فيه معاصر مع أحد السلف وهو كتاب « لباب البحث في شرح كتاب البعث » للأستاذ أبو الوفا المراغي مدير المكتبة الأزهرية ، وهو شرح لنحو ثمانين حديثاً جمعها أبو بكرٍ أبي داود السجستاني ، المحدث المعروف ، فيما يتعلق بأحوال البعث وأحوال الجنة والنار ، وهناك كتاب الأستاذ سيد قطب « مشاهد القيامة في القرآن » .

وعلى الرغم من أن المتقدمين والمتأخرين تحدثوا الحديث الممتد الطويل

عن أحوال القيامة وأحوال الجنة والنار . نجد الجمهرة الغالبة من شبابنا لا يعرفون شيئاً ذا بال عن هذه الأحوال . لأنهم بحكم النشأة والتوجيه الخاطىء . ووضع المجتمع الذي يعيشون فيه . يغرقون في شهوات وملذات . ولا يلتفتون إلى حديث عن اليوم الآخر . أو إلى حديث الحساب العادل الذي سيكون في هذا اليوم الذي يعده بعضهم حديثَ خرافة .

ونحن نشأنا في قرانا نسمع من آبائنا وشيوخنا حديثَ الجنة فنتماها ، ونحاول أن نعمل لها ، ونسمع حديث النار من هؤلاء الآباء والشيوخ ، فنخافها ونهابها ، ونحاذر أن نتلبس بشيء من أسبابها . وكان لهذه النشأة أثرها فيما يتعلق بسياسة الترغيب والترهيب ، وبتحذيرنا مواطن الزلل كثيرة . ولو لم يكن هذا الترغيب أو ذلك الترهيب موجوداً لما حذرنا هذه المواطن .

وهكذا كانت طريقة السلف . بل هكذا كان هدى الإسلام منذ انبثق نوره . فابن رجب الحنبلي يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع شاباً يهتف في جوف الليل ويقول : واغوثاه من النار . فقال الرسول عندما أصبح : أيها الشاب ، لقد بكى من هتافك ملأ من ملائكة الله كثير . وكذلك جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله يباهي ملائكته بالشاب الصالح » . وأتذكر أن هذا الحديث قد ورد في الجامع الصغير للسيوطي .

ونجد سلف هذه الأمة أيضاً لا ينسون في حياتهم الفردية أو الجماعية الحسابَ ، والبعث ، والجزاء بالثواب أو العقاب . فالخليفة الشاب والحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يتذكر هذا الحساب الأخروي دائماً ، حتى يقول يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز ، كأن النار لم تُخْلَق إلا لهما أو من أجلهما .

ولقد كان عمر يشارك قومه مجلساً وهم يتحدثون وهو صامت ، فسئل : لم يصمت ، فقال : لقد كنت أتفكر في الجنة وأهلها كيف يتزاورن فيها ، وكنت أتذكر النار وأهلها ، وكيف يتعذبون فيها :

ولقد كان يقال قديماً في شباب الإسلام :

فتية يُعْرَف التخشع فيهـــم كلهم أحكم القُرآنَ غلامـــا
قد برى جلدَه التهجدُ ، حتى عاد جلداً مصفراً وعظامـــاً
يتجافى عن الفراش من الخوف إذا الجاهلــون باتوا نيامـــا
بأنين ، وعبـــرةٍ ، ونحيـــب ويظلون بالنهـــار صيامـــا
يقرأون القرآن لا ريبَ فيـــه ويبيتون سجـــداً وقيامـــا

فماذا يقال في شباب اليوم ، يا ترى ؟ ....

وما دام هناك بعث قد ثبت وتقرر ، فلم يكون هذا البعث ؟ . لا بد من أن يكون له غرض ، لأن الحكيم العليم يتنزه عن العبث ، وعن أن يجعل شيئاً دون غرض ، وغرض البعث حساب عادل ، وثواب مكافيء ، وعقاب زاجـر ...

ولكننا نعيش في هذه الحياة بعقول محدودة ، وغرائز معدودة ، ونحن بوساطة هذه العقول المحدودة نستطيع أن نفهم أحكام هذا الكون المحدود برغم إتساعه ، ولكن الدار الآخرة دار أخرى متميزة من كل جهاتها ، وهذا العقل المحدود لن يكون هو الحَكَم يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ولن يتصور الأمور يومئذ كما يتصورها الآن وهو على حالته الراهنة ، وأكاد أفهم من الإخبار بتبديل السموات والأرض أن الإنسان أيضاً سيُخلَق خلقاً جديداً : سيكون جديداً في عقله ، وفي فكره ، وفي شعوره ، وفي تصوره ، ومعنى هذا أن تصوره لهذه الأشياء التي حدثنا بها القرآن والسنة عن أحوال الآخرة سيكون تصوراً مكيفاً في حقيقته وجوهره بالكيفية التي سيكون عليها ذلك العقل الجديد ، ونحن نفهم مدلول هذه الأخبار التي جاءت في القرآن والحديث على مقدار عقلنا المحدود الآن ، دون أن نتدخل في تفاصيلها أو حقائقها أو جواهرها ، فنحن نأخذ بحقيقة الكلمة إذا ناسب مقامُ النص الأخذَ بحقيقة الكلمة . وإذا رأينا المقام يشير إلى المجاز أخذنا بالمجاز أو بالتأويل على أن يكون تأويلاً قريباً لا بعيداً ، لأن بعض المتعسفين أو المنحرفين يتأولون في تفسير القرآن أحياناً تأولاً لا تقره لغة ، ولا يقبله ذوق .

والله تعالى يقول : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » ونرى المفسرين قد ذكروا آراء كثيرة في هذه الآية ، فمنهم من قال إن الورود معناه الدخول ، ويروى أن عبدالله بن رواحة بكى فبكت امرأته ، فقال لها : ما يبكيك ؟ . قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، فقال : إني ذكرت هذه الآية : « وإن منكم إلا واردها » وقد علمت أني داخلها ، فلا أدري أناج أنا منها أم لا . وهذا رأي ابن عباس ، وهم يدخلونها على تفاوت ، لأنهم جميعاً قد أذنبوا على تفاوت .

وبعضهم يفسر الورود بأنه المرور على الصراط والنار موقدة ، والله يعين من أصلح على المرور في خفة وسرعة ، بينما يقع من يستحق الوقوع ، وبعضهم يفسر الورود بالمرور على النار ، وهي خامدة لا لهب فيها ، لأنها غير موقدة ، ويذكرون في ذلك بعض القصص .

وبعضهم يرى أن الورود في الآية متعلق بالذين أجرموا ، وهم الذين ذكروا في الآية قبل ذلك : « فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً » . والذي يناسب الفهم السليم لهذه الآية هو ما ذكره بعض المفسرين من تفسير الورود بمعنى الحضور عند النار والوقوف عليها ، كما يجري تعبير العرب من قولهم : ورد فلان الماء ، وبعضهم يعبر بقوله : وردت الدابة الماء ، إذا جاءت عنده ، ولا يشترط أن تشرب منه ، وذلك كقوله تعالى عن موسى : « ولما ورد ماء مدين » أي وصل إليه وبلغه .

وكأن الله تعالى يريد لعباده جميعاً صالحهم وطالحهم أن يحضروا عند النار ، ليروا ما فيها من عذاب وأهوال ، ثم يفرق بينهم فمنهم شقي وسعيد ، فالشقي يمضي إلى العذاب ، والسعيد يمضي إلى الجنة .

هذا ، وقد جاء ذكر للحوض وحقيقته في كتب الحديث ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا عنه صورة لا تقبل المجاز ، ولا يبلغ فيها التصوير حد التوسع ، وهي قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا فرطكم على الحوض ، من مر عليّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردن عليّ أقوام أعرفهم

ويعرفوني . ثم يحال بيني وبينهم . فاقول : يا رب انهم مني ، فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي » .... فهذه صورة لا يسهل أن نلجأ فيها إلى المجاز . حتى نقول إن الحوض شيء مجازي لا حقيقة له .

وتبين لنا من هذا أن أمور الآخرة منها قسم قد صور تصويراً يفهم على حقيقته اللفظية . والتعسف فيه بالمجاز أو التأويل غير ميسور أو غير مستساغ . وهناك أمور من أمور الآخرة صورها القرآن الكريم أو السنة تصويراً يحتمل الحقيقة ويحتمل المجاز . فمن فهمها بنوع من المجاز القريب المقبول فلا عيب فيه ولا مضرة عليه . ومن فهمها على أنها أمور حقيقية . فلا يذم في ذلك ولا يعاب . وفصل الخطاب وتبيان الحقائق يكون عندما نلتقي عند الله عز وجل في رحاب يومه الآخر . يوم الفصل . يوم الدين . فحينئذ سنرى رأي العين حقائق هذه الأمور . والله عليم خبير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الله أكبر

السؤال : **كيف كانت كلمة « الله أكبر » شعاراً للمسلمين ؟ .**
وهل بقي تأثيرها الذي كان موجوداً في صدر الإسلام ؟ .

الجواب :

ان بعض الكلمات الجليلة قد تفقد معناها وتأثيرها في نفوس الكثيرين من الناس . وان كثر ترددادها وتكرارها . وذلك لقلة التدبر فيها أو التأمل لمعناها أو الإستجابة لمغزاها ومن بين هذه الكلمات كلمة : « الله أكبر » العظيمة الجليلة العميقة ، التي جعلها الإسلام رمز التكبير وعماده ....

ولقد كان التكبير أول ما كلف الله به رسوله حين أمره بإنذار الناس فقال له : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » ، ويعلم الله ورسوله أن يكثر من تكبيره بعد تقرير ألوهيته ووحدانيته . فيقول له : « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبره تكبيراً » . والاذان يتردد في بلاد الإسلام كل يوم خمس مرات ، وألفاظه الأساسية قبل التكرار هي : « الله أكبر ، أشهد أن لا اله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، لا اله إلا الله » فنرى الآذان يبدأ بكلمة التكبير ، وينتهي بكلمة التوحيد ، وتتكرر كلمة « الله أكبر » ست مرات ، بينما تتكرر جمله الأخرى مرتين .....

والصلاة تبدأ بالتكبير . إذ يفتتحها المسلم بكلمة « الله أكبر » وتسمى حينئذ تكبيرة الأحرام ، لأنها جواز الدخول في الصلاة ، وإذا دخلت بها في الصلاة حرم عليك ما كنت فيه من اللهو واللعب وكلام الدنياوكل شيء إلا عمل الصلاة ، وروى الخمسة إلا النسائي أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

والتكبير يتخلل حركات الصلاة ويتكرر في كل ركعة عدة مرات ، وقد روى الخمسة إلا الترمذي عن عبدالله رضي الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يكبر في كل خفض ورفع (إلا عند الرفع من الركوع) وقيام وقعود ، وأبو بكر وعمر ....

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من القائل كلمة كذا وكذا ؟ . قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله ، قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء . قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله يقول ذلك . روى ذلك مسلم والترمذي .

ويختم المسلم صلاته المفروضة بالتسبيح والتحميد والتكبير ، فقد أخرج

الشيخان وأبو داود الحديث : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلكم تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر » .

ويأتي عيد الفطر فيجهر المسلمون بالتكبير من وقت الخروج إلى الصلاة حتى ابتداء الخطبة ، فيرددون : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله إلا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد » ، وإذا جاء عيد الأضحية كان اسبوعه حقيقاً بأن يسمى « أسبوع التكبير » ، إذ يظل المسلمون فيه خمسة أيام يكبرون الله على ما هداهم ، ولعلهم يشكرون ، فهم يكبرون في مختلف الأوقات وبخاصة في أعقاب الصلوات من صبح يوم عرفات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد ، وهو آخر الأيام التي تسمى « أيام التشريق » .....

ويستفاد من هذا أن المسلمين يكررون كلمة « الله أكبر » كل يوم عشرات المرات على الأقل في الصلوات وغير الصلوات ، ولكننا لو ذهبنا نبحث عن آثر هذه الكلمة الجليلة في نفوس أكثرهم وتصرفاتهم لوجدناه قليلاً ضئيلاً ، مع أن الله تبارك وتعالى : قد شرع تكرار هذا الهتاف الالهي في مختلف المناسبات — وبخاصة في الآذان والصلوات — ليكون أشبه بدقات الساعة التي تتردد بين الفينة والفينة ، منبهة لعباد الله ، مذكرة بحقوق الله ، منادية بالرجوع إلى الله ، ليستيقظ الغافل ، ويهتدي الضال ، ويرتدع المسيء ، ويزداد المحسن إحساناً ، وكلما سمع أبناء القرآن هذا التكبير في الاذان قابلوه بالتكبير ، فيتعلمون الإستجابة للحق ، والمسارعة إلى الخير ، والتلاقي على الذكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والمجاهدة للاثم والعدوان : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

« الله أكبر » نداء السماء العلوي المنزل من حمى القدس ليتردد بين أهل الأرض ، مذكراً إياهم بجلال الله وعظمته ، وسلطانه وقدرته . فتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم يلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فترى

المؤمنين يرددون كلمة « الله أكبر » في صدق وعزيمة . وكأن لصوتها هديراً كهدير البحر المتلاطم . أو أشد وقعاً ، لأن معناها القوي البليغ قد أخذ يهدر في قلوبهم ويتلاطم في صدورهم . فكأن هذا من ذاك .....

وتتردد في الآفاق كلمة « الله أكبر » فاذا هي نسمات السماء الطاهرة التي تمر على الأرض الهامدة فتحيي مواتها ، وتبعثها من رقادها ... وتتردد فاذا هي فيض الملأ الأعلى الذي يغسل أدران الحياة وأقذار البشر .

« الله أكبر » كلمة تتردد في أذن السارق الناهب ، فترتجف يده ويهتز كيانه . ويتذكر – ان كان من أهل الذكرى – أن هناك إلهاً أقوى منه ، وأكبر من حيلته واستخفائه . ومن مكره وخديعته ، وأن أخذ هذا الاله أقوى من أخذ القانون والمحكمة والسجن والأشغال الشاقة المؤبدة ..... « ان أخذه أليم شديد » .....

« الله أكبر » كلمة تدوي في أذن الفاسق الذي يهم بإثم أو معصية ، فيقشعر ويرتدع ، ويتذكر – ان بقيت فيه فضلة ذكرى – ان الله عيناً لا تنام وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . وأنه يعلم سرهم ونجواهم ، وهو معكم أينما كنتم ..... « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ ..... « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شيء عليم » .

« الله أكبر » كلمة يرددها – أو يسمعها – الغني الكثير المال الواسع الثروة . فيتذكر عند ذلك أن الله أغنى الأغنياء ، وأنه مصدر النعم والآلاء ، وأنه هو الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، فلا يزدهي الغني غناه ، ولا يبطره ماله وثراؤه ، بل يتدبر قول ربه عز من قائل : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً » . وقوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة . وان الله عنده أجر عظيم » ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

« الله أكبر » كلمة يرددها أو يسمعها الفقير القليلُ المال . فلا يذله الفقر ولا يهينه ، ولا يزلزله أو يبلبله . بل يتذكر أن الله العلي الكبير أقوى وأغنى ، وأنه القادر بكبريائه ونعمائه أن يقهر هذا الفقر اللعين . فلا ينال شيئاً من المؤمن الفقير في ماله : « وان خفتم عيلة (فقرا) فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء » . « ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً (فقيراً) فأغنى » ؟ .

« الله أكبر » يرددها أو يسمعها الصحيح السليم المعافى القوي البدن المفتول العضل ، فلا يغتر معها بصحته . ولا ينخدع بقوته . فان الله الأكبر الذي وهب الصحة هو الذي يستطيع أن يسلبها ويضع مكانها العلة والمرض . والذي أعطى القوة قادر على أن يحيلها ضعفاً . وليست قوة العضلات أو صحة الأبدان وحدها مفخرة لصاحبها . فكم من حيوانات وبهائم توافرت لها قوة الأجسام . ولم ترزق قوة العقل والجنان . بل لعل أشد البهائم بأساً في جسمها هي أقلها في التعقل والتمييز . والمهم هو قوة العقل وثبات القلب . لا شدة الجسم ولا صلابة العضل . والحديث يقول : « ليس الشديد بالصرعة » أي الذي يصرع غيره كثيراً لقوة جسمه « إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ويردد الضعيف السقيم كلمة « الله أكبر » فاذا هي عنده بلسم ودواء . وإذا هي عزاء وشفاء . وإذا هي تذكرة بأن الله الرحمن الرحيم هو أهل الرجاء ومعقد الأمل : « واذا مرضت فهو يشفين » « وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له . فكشفنا ما به من ضر . وآتيناه أهله ومثلهم معهم . رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » .....

« الله أكبر » يقولها أو يسمعها الكبير المسيطر الذي يهم بطغيان أو بهتان . فيعلم ويتذكر أن هنا . من هو أقوى منه وأعظم وهو الله الأكبر ذو البطش الشديد . فيرهبه ويتواضع له ويتأدب أمامه . ولا يبغي أو يطغى على أحد من عباده . وإلا فالمنتقم جبار : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » .... والعامة تقول — وهي صادقة فيما تقول — : « الله أكبر على طغي وتجبر » ... وهذا فرعون قد طغى وبغى : « فقال أنا ربكم الأعلى »

فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، ان في ذلك لعبرة لمن يخشى » .... وهذا هو نداء الله لمن يحاول أن يقاسمه كبرياءه : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين .....

ويردد المظلوم المهضوم المستضعف كلمة « الله أكبر » فيقوى ويتماسك ، ويتذكر أن هناك إلهاً عادلاً منصفاً ، لا يرضى الظلم بحال ، فينهض ذلك المظلوم ويجاهد الضيم بكل ما استطاع ، مستعيناً بجاه الله القوي العزيز : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » . ويقول الرافعي عليه رحمة الله :

« بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الإسلام بهذا الرنين : الله أكبر ، الله أكبر ، كما تدق الساعة في موضع ليتكلم الوقت برنينها . الله أكبر .... بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة في هذه الكلمة نداءها تهتف : أيها المؤمن ، ان كنت أصبت في الساعات التي مضت ، فاجتهد في الساعات التي تتلو . وإن كنت أخطأت فكفر وامح ساعة بساعة . الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية في العمر هي أمل كبير في رحمة الله ....

بين ساعات وساعات يتناول المؤمن ميزان نفسه حين يسمع : الله أكبر ، ليعرف الصحة والمرض من نيته كما يضع الطبيب لمريضه بين ساعات وساعات ميزان الحرارة .

اليوم الواحد في طبيعة هذه الأرض عمر طويل للشر ، تكاد كل دقيقة بشرها تكون يوماً مختوماً بليل أسود ، فيجب أن تقسم الإنسانية يومها بعدد قارات الدنيا الخمس . لأن يوم الأرض صورة من الأرض ، وعند كل قسم من الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء تصبح الإنسانية المؤمنة منبهة نفسها : الله أكبر الله أكبر .....

بين ساعات وساعات من اليوم يعرض كل مؤمن حسابه ، فيقوم بين يدي الله ويرفعه إليه ، وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات : الله أكبر ..... ؟ .

بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوي كلمة الروح : الله أكبر .....

ويجيبها الناس : الله أكبر ، ليعتاد الجماهير كيف يقادون إلى الخير بسهولة . وكيف يحققون في الإنسانية معنى إجتماع أهل البيت الواحد ، فتكون الإستجابة إلى كل نداء اجتماعي مغروسة في طبيعتهم بغير استكراه .

النفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخزب ، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

. لا تضطربوا ، هذا هو النظام ..... لا تنحرفوا ، هذا هو المنهج لا تتراجعوا هذا هو النداء ..... لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلمتكم : « الله أكبر » .....

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ..... يا أبناء الإسلام .... يا أبناء العزة التي كتبها الله لنفسه ولرسوله وللمؤمنين ......

عاهدوا ربكم أن تقولوا كلمة « الله أكبر » بفهم وعزم . وتدبر وتأثر . حتى تثمر لكم ثمرتها التي أرادها الله منكم .... ان حاول متكبر متجبر أن يستذلكم لغير الله فقولوا له صائحين في وجهه « الله أكبر » وان خادعكم الشيطان ليصرفكم عن دينكم وفضائلكم مغرياً بالمتاع والشهوات فقولوا « الله أكبر ..... » وان ألمت بكم غمرات أو أزمات فتماسكوا واصبروا وقولوا « الله أكبر » ، وان جاءتكم خيرات ومسرات فلا تغتروا أو تتجبروا . بل تواضعوا وقولوا : الله أكبر ....

وليكن من دعائكم لربكم : اللهم جملنا بالتواضع لك ، والذلة أمام عزتك . والإعتزاز أمام غيرك . واحفظنا من التكبر والتجبر . ولا تجعلنا من المفسدين في الأرض ، اللهم انصر المؤمنين المتواضعين لك ، انصرهم بجاهك وسلطانك ، واقصم ظهور المتجبرين الطاغين ، اقصمهم بسلطانك وجبروتك ، فانك عزيز ذو إنتقام .....

والله أعلى . والله أكبر .....

• • •

حكم الإجتهاد

السؤال : **ما حكم الدين في الإجتهاد والتقليد ، مع ضرب بعض الأمثلة على الإجتهاد .**

الجواب :

الإجتهاد معناه تحمل الجهد ، أي المشقة والتعب ؛ وهو في الشريعة أن يبذل العالم الفقيه غاية جهده في معرفة حكم شرعي ، بحيث يشعر في نفسه انه عاجز عن المزيد على ذلك .

ويجب أن نؤمن بأن أحكام الله تعالى قد بيّنها بلا خلاف ؛ وهي مضمونة الوجود لعامة العلماء ؛ وإن تعذرت معرفتها على بعض الناس .

والإجتهاد نوعان : إجتهاد مطلق يكون في جميع الأحكام ، وهو ما يقتدر به صاحبه على استنباط الأحكام من أمارة معتبرة عقلاً أو نقلاً .

والنوع الثاني إجتهاد في حكم دون حكم ، وهو ما يقتدر به على إستنباط بعض الأحكام ، ولا بد للمجتهد في هذه الحالة أن يعرف جميع ما يتعلق بهذا الحكم ؛ ومن جملة ما يعرفه أنه ليس مخالفاً لنص أو إجماع ؛ ولا يشترط معرفة ما يتعلق بكل الأحكام .

ويشترط في الإجتهاد المطلق شروط : أولاً : معرفة آيات الأحكام في القرآن الكريم حتى يتمكن من الرجوع إليها عند الحاجة ، وهذا يستدعي معرفة معاني المفردات والتراكيب من الناحية اللغوية والناحية الشرعية ؛ وما يتعلق بذلك من الإطلاق والتقييد ، والعموم والخصوص ... إلخ .

ثانياً : أن يعرف المقدار المتعلق بالأحكام من السنة النبوية ، من ناحية المتن والسند ؛ وأن يعرف أنواع القياس . وكل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي هو محل الإجتهاد ، ولا يجوز الإجتهاد فيما ثبت بدليل قطعي كأركان الدين وقواعد الإسلام ، فالإجتهاد يكون في الأمور الظنية ، حيث يغلب الظن بأن ما وصل إليه المجتهد هو الحكم الصواب .

ومن أمثلة الإجتهاد قياس « القُبْلة » على المضمضة في أن كلاً منهما لا يفسد الصوم . وقياس الديون التي لله تعالى على الديون التي للعباد ، في أن كلاً منهما يجب قضاؤه .

وقد جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت : إن أبي مات وعليه حجة الإسلام . أفأحج عنه ؟ . فقال النبي : أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أكان يجزيه ؟ . قالت : نعم . قال : فدين الله أحق بالأداء .

ومن امثلة الاجتهاد ما حدث من الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر في موضوع الأسرى الذين كانوا في غزوة بدر:

واستدلوا على مشروعية الإجتهاد بقول الله تعالى : « فاعتبروا يا أولي لأبصار » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

موقف المسلم من الغناء

السؤال : **ما موقف المسلم من الغناء ؟ .**

الجواب :

رضوان الله على أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، فقد كان كما أخبر الرسول – صلوات الله عليه وسلامه – رجلاً ملهماً ، ينطق بالحق ، ويهدي إلى الصدق ، ويفر الشيطان من وجهه ، ولا يباريه منافس في عبقريته ، وكان مسلماً يفقه الإسلامَ خير الفقه ، ويدرك أن ملة الله الغراء لا تجافي مسلماً يفقه الإسلامَ خير الفقه ، ويدرك أن ملة الله الغراء لا تجافي الحياة ، ولا تصدم الأحياء ، بل تشرع خير السبل لسعادة الدنيا ونعيم العقبى ، « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ؟ .

ولقد طال حديث الفقهاء عن الغناء في الإسلام ، ما بين متشدد في النكير ، ومتخفف في التحريم ، وكانت أحكامهم عليه في الغالب أحكاماً عامة ، لا تفصِّل ولا تخصِّص ، مع أن الناظر البصير . يستطيع أن يفرِّق بسهولة بين خسيس الغناء أو منكره ، ورفيعه أو مقبوله ، كما يستطيع أن يفهم من روح الإسلام ، ومن سوابق السلف أن الغناء إذا سما في مبناه ومعناه ، وارتفع في أدائه وترديده ، وخلا من مصاحبة الإثم والباطل ، كان شيئاً لا بأس به ، وكان لوناً من ألوان الترويح عن القلوب التي إذا ملت عميت ، وكان سبباً من أسباب الاستجمام واستعادة النشاط ، وكان باعثاً من بواعث الأريحية والإقدام .

كذلك قد يكون الغناء باباً من أبواب الخير ، ومفتاحاً من مفاتيح البر ، وذلك إذا نبع من منهل ديني ، أو ارتبط برباط أخلاقي ، وها هو ذا الإمام الشاطبي يروي في الجزء الأول من كتابه « الإعتصام » قصة حكاها أبو الحسن القرافي الصوفي عن الحسن ، وخلاصتها أن قوماً أتوا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين . إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنى . فقام عمر مع جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضوا إلى الرجل وهو في المسجد ، فقال له عمر : ويحك ! .. بلغني عنك أمر ساءني ! ...

قال الرجل : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ .. قال عمر : أتتمجن في عبادتك ؟ .. وذكر له القصة . قال الرجل : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنها عظة أعظ بها نفسي . قال عمر : قُلْها ، فإن كان كلاماً حسناً قلتُه معك ، وإن كان قبيحاً نهيتك عنهُ . فقال الرجل :

وفـؤاد كلمـا عاتبته . . . في مدى الهجران يبغي تعـبي
لا أراه — الدهرَ — إلا لاهيـاً في تماديه ، فقد بـرَّحَ بي !
يا قرينَ السوء ، ما هذا الصبا ؟ فنى العمر كـذا في اللعب !
وشباب بانَ عني ، فمضـى قبل أن أقضي منـه أربـي
ما أرجِّي بعـده إلا الفنـا ضيَّق الشيبُ علـى مُطَّلَبي

ويح نفسي . لا أراها أبـــداً   في جميل ، لا ولا في أدب
نفسُ ، لا كنتِ ولا كان الهوى   راقبي المولى ، وخافي . وأرهبي

فتأثر عمر من الشعر الواعظ البليغ . وعلق بذاكرته البيتُ الأخير . فأخذ ينشده قائلاً :

نفسُ ، لا كنتِ ولا كان الهوى   راقبي المولى ، وخافي ، وارهبي

ثم قال : على هذا فليغنِّ من غنّى ! ..

ونحن معه نقول : وهكذا يغني المسلم ! ...

رضوان الله على عمر ، ورضوان الله على الذين يفقهون الدين ويدركون مغزاه ، ورضوان الله على الذين يراقبون ربهم في هذه الحياة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كيف نستفيد من الكتاب ؟

السؤال : **هناك كثير من الناس يكثرون من شراء الكتب ، ولا يستفيدون منها ، ولا يحصلون ما فيها ، فما الرأي في هؤلاء ؟ .**

الجواب :

كان الناس قديماً في عصور البداوة وسهولة الحياة يعتمدون في ثقافتهم وعلومهم على ذاكرتهم ، فهم يثبتون في عقولهم ما يسمعون . ويحفظون في صدورهم ما يشاهدون ، ويعون في قلوبهم ما يحسون ويدركون ، لأنهم لا يجدون قلماً يسطرون به ، ولا ورقاً يقيدون فيه ، ولا كتاباً يرجعون إليه ، ولا مطبعة من المطابع تسعفهم بما يحتاجون إليه من الآراء والأفكار والنظريات والمعلومات ، وكانت هذه الحياة على شدتها مفيدةً كل الفائدة . وكانت تلك

الطريقة على قسوتها تخرّج كثيراً من الأفذاذ الأُحْدَان الذين يأسرون القلوب، ويستولون على الألباب ، بقوة حفظهم ، وسرعة إدراكهم ، وتفجر ذاكراتهم بالمعلومات الكثيرة والنصوص الطويلة والأقوال الدقيقة ، مما كان له أكبر الأثر في فتق العقل البشري ، واتساع الأفق الإنساني ، وإحاطة الذاكرة الواحدة بما يعد اليوم ضرباً من ضروب الخيال أو المحال .

ثم أخذت الحياة بعد هذه البداوة تتسع وتتجمع ، وتلتوي وتتعقد ، وتكثر في الدنيا الشواغلُ والحوائلُ ، والمطامح والمطامع ، فإذا الإنسان الذي يريد العلم والثقافة لا يجد من الوقت ، ولا من فراغ البال ، ولا من قلة الهموم ، ولا من ضرورات الحياة وقلة وسائلها ما يدفعه إلى هذا التحصيل الجاد في سبيل العلم ، معتمداً على مجهوده وحده ، أو على ذاكرته فحسب ؛ ولماذا يتعب نفسه في الحفظ والتحصيل والتقييد في الذاكرة ، وقد وُجدت أمامه الأوراق والأقلام والمطابع والكتب والصحف والمراجع والمجلدات ؟ ...

ومن هنا اختار الإنسان أن يريح نفسه من عناء التحصيل والإستذكار ، لأنه سيجد طلبته حينما يريدها ، في الكراسة أو الكتاب أو المجلة ، ولذلك رأينا الكثير من الناس يعتمد في ثقافته على الاستزادة من الكتب والمؤلفات ، وترتيبها مجموعات بعد مجموعات في أصونة ورفوف ، حتى وصل الأمر ببعض الناس إلى أن يجلدوا من وسائل الثروة وحب الإشتهار بالعلم وطلبه ، ما يستطيعون به شراءَ المئات أو الآلاف من المجلدات ، ويصفونها في بيوتهم ، دون أن يرجعوا إليها ، أو يستفيدوا منها ، أو يتعبوا أبصارهم في تحصيل ما فيها ، وكلما مرت مسألة من مسائل العلم ، أو عرضت ناحية من نواحي الثقافة ، سارع صاحب المكتبة الطويلة العريضة منهم بقوله : إن في مكتبتي عن هذا الموضوع كذا كتاباً ، وإن عندي عن هذه المشكلة كذا وكذا من المؤلفات والمجلدات ، إلى غير ذلك من عبارات الإزدهاء والإفتخار .

ومن العجيب أن بعض القدماء قد لاحظ هذا العيب ، فقال عن نفسه معرّضاً بغيره :

أما لو أعي كلَّ ما أسمـــعُ وأحفظ من ذاك مـا أجمعُ
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقيل هو العـالم المقنـــع
ولكنّ نفسي إلى كـل نـوع من العلم تسمعـه تـــترع
فلا أنا أحفظ مـا قد جمعـت ولا أنـا من جمعه أشبـع
ومن يك في علمـه هكـــذا يكنْ دهرَه القهقـرى يرجع
إذا لم تكن حافظـاً واعيـــاً فجمعُك للكتب لا ينفـــع

* * *

إذن يجب على المرء أن يهتم بتحصيل ما في الكتب ، قبل الإهتمام بتكديسها والإكثار منها ، ورب شخص لا يملك إلا قدراً ضئيلاً من هذه الكتب ، ولكنه يفنيها بحثاً وتنقيباً . فيكون علمه أضعافَ ذلك الذي يملك الكثير من الكتب ، ولكنه لا يسامرها ولا يقرؤها ؛ ويجب على الإنسان أن يعتمد على ذاكرته أكثرَ مما يعتمد على كتبه ، وأن لا يضع كتاباً في مكتبته إلا بعد أن يحيط به علماً . فإن ذلك البحث هو الثمرة المطلوبة المرجوة من شراء الكتب ، وإلا كانت الكتب أصناماً أو خُشُباً مسندة ، وقديماً قيل : العلم في الصدور لا في السطور ، وفي القلوب لا في الجيوب . وما أريد بذلك أن أهون لك من أمر الكتاب أو من شأن الإعتزاز به ، ولكني أريد أن تعرف أن قيمة الكتاب بقيمة الإستفادة منه . لا بقيمة ثمنه أو كبر حجمه أو شهرة مؤلفه .

فحذار من الإعتماد على كتبك ومراجعك أكثرَ من الإعتماد على استنباطك وتحصيلك !! ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الرقابة والرقيب

السؤال . **ما معنى المراقبة ؟ ولماذا نخشى الرقابة والرقباء ؟ .**

الجواب :

لكل كلمة في لغتنا العربية الكريمة الخالدة معنى أو بضعة معان عامة ، تدور حولها استعمالات الكلمة ومدلولاتها ، تارةً على وجه الحقيقة ، وتارة على وجه المجاز ؛ ونحن إذا تناولنا كلمة « الرقيب » أو « الرقابة » واستهدينا معاجمَ اللغة في أغلب تصاريفها واستعمالاتها ، وجدناها تدور حول معاني التوقع ، والإنتظار ، والتطلع ، والحراسة ، والحفظ ، والحذر ، والخوف مما يخشى ، والعلو مع التسامي والقوة ! . وهي في مجموعها كما ترى معان تدل على أخلاق نحبها ، وطبائع نود شيوعها ، حتى لنود أن يكون لكل فرد منا نصيب من المعنى الجميل العام لكلمة الرقابة أو الرقيب ...

تناول معي إن شئت « أساس البلاغة » للزمخشري ، لنقتطع من مادة «ر ق ب» فيه هذه الأشياءَ ، مع قليل من التصرف في التعبير :

قعد فلان يرقب صاحبه أي ينتظره ، وهو رقيب القوم ، وهو رقيب الجيش ، يقال للطليعة ، وأنا أرقب لكم هذه الليلة ، أي أحرسُ وأرعى ، ورقبه وراقبه حاذره .

والمراقبة عند أهل السلوك كما في « كشاف اصطلاحات الفنون » هي حفظ القلب عن خواطر السوء ، وقيل : هي أن تعلم أن الله على كل شيء قدير . وقيل عن حقيقتها : هي تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، كما جاء في الحديث الشريف .

وأنت ترى من هذه النصوص كلها — ولها أشباه ونظائر كثيرة مبثوثة هنا وهناك — أن أساس المراقبة عند أهل السلوك والتصرف هو الخوف من الله ، واستشعار رهبته وهيبته وجلالته ، في الحركة والسكون ، والغيبة والحضور ، حتى يصير المرء المراقب — بكثرة الخوف وطول الاستحضار — « ربانياً » ،

كأنه لا يسعى ، بل الله هو الذي يسعى له ، وفي حديث الرسول ﷺ يوضح ذلك بأجلى بيان :

وقد عقد حجة الإسلام الإمام الغزالي في الجزء الرابع من كتابه « إحياء علوم الدين » فصلاً طويلاً عميقاً عن « المراقبة » صال فيها وجال على طريقته التحليلية الممزوجة بالنزعة الصوفية والطريقة الروحية والطابع الديني المسيطر وهو – وإن كان من واجبك أن تطالعه لتصقل روحك بما فيه – يعتمد أيضاً على أن المراقبة أساسها خوف الله ، واستحضار جلاله ، وتصور عقابه ، ومن نصوصه التي أيد بها كلامه يظهر لك هذا الأساس أتم ظهور ... فهو يستشهد مثلاً بقول ابن المبارك ، وقد سئل عن معنى المراقبة : كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل . ويقول المحاسبي : أول المراقبة علم القلب بقرب الرب . ويقول الترمذي : اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك . واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه [1] .

• • •

وما من أمة أو جماعة إلا وهي بحاجة إلى الرقابة والرقباء ، مع حسن استعمال لهذه الرقابة . وإخلاص أولئك الرقباء : الأمة من الأمم في حاجة إلى رقباء على الدين ، ينفون عنه الباطل ، ويصدون عنه تيارَ التحريف ، وينطقون من اجله بكلمة الحق ، ويطبقونه كما نزل ! .

والأمة بحاجة إلى رقباء على المال ، فلا يُجمع هذا المال إلا من حله وبطريقه المشروع ، ولا يُنفق إلا في خير أو منفعة ، بلا استغلال أو إسراف ! .

والأمة بحاجة إلى رقباء على الولاية وأهليها ، كي لا يستغلها أهلوها أو ينحرفوا بها ، فتصير تسلطاً واستبداداً ، وهي في أصلها تضحية وإيثار ! .

---

(١) في الجزء الأول من كتابي « أخلاق القرآن » فصل واسع عن خلق « المراقبة » انظر ص ٨ – ١٥ .

والأمة بحاجة إلى رقباء على الأخلاق التي هانت . والحرمات التي ضاعت . والأعراض التي دست ، فبعمل هؤلاء الرقباء على أن تقود الأخلاقُ ولا تقود الشهوات . وأن تُحفظ الحرمات لا أن تَذل الكرامات . وأن تصان الأعراض لا أن تهان المكارم ! .

والأمة أخيراً بحاجة شديدة إلى « رقيب » نفسي . تحاسب النفس به ذاتها قبل أن يحاسبها سواها .. سمّه الضمير أو القلب أو الخلق أو الدين ، فقد تختلف الأسماء باختلاف الاصطلاح والثقافة ، ولكن المعنى سيظل واحداً . وهو أنه يجب أن يكون للنفس منها عليها « سلطان » ، ولو أنصف الناس ممثلين في الأفراد لاستراح القاضي ! .

* * *

على أن هناك ألواناً من الرقابة لا يرضاها إلا دخيل أو ظنين ، وألواناً من الرقابة يعافها الناس ويبغضونها ، فالرقابة على حرية الفكر وإبداء الرأي شر مستطير ، وخاصة إذا وضعت هذه الرقابة في الأيدي التي تسيء الإستغلال ، وتصيد في الظلام ؛ والرقابة تكره بين الأحباء والأخلاء ، والرقابة تُكره إذا كانت تجسساً على الناس ، وتتبعاً لعوراتهم . وتسقطاً لزلاتهم ، ولذلك نهت الأديان والأخلاق عن مثل ذلك الخلق الذميم ! ..

ومهما يكن من شيء فلن يتجادل اثنان في أن وجود « الرقيب النزيه المخلص » هو الأساس ! ...

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أسرار الكون العظيم

السؤال : **يقولون إن الكون مليء بالأسرار ، فما الطريق إلى إدراك هذه الأسرار ؟ .**

الجواب :

ينشأ الإنسان في هذه الحياة فلا يرى إلا وطنه المحدود وبيئته الضيقة ، فيظن مخدوعاً أن ما يراه او يشاهده هو كل ما في الكون . مع أن الكون يشتمل على آلاف الأضعاف لما يراه الإنسان بحسه أو نفسه ، ولما كان المرء عاجزاً عن أن يرحل إلى كل بقعة من بقاع العالم ، ليدرسها ويعرف أسرارها ، فقد يسّر الخالق العظيم لنا طريقة أخرى للوقوف على هذه الأسرار والأخبار . وتلك الوسيلة هي الدراسة والبحث ، والقراءة ، وطلب العلم . وكلما تعمق الإنسان في بحثه . وتوسع في دراسته ، اطلع على جوانب كثيرة من آفاق الحياة . وأسرار الكون العظيم ، على شرط أن لا يقف عند حد ، فالعلم محيط لا ساحل له . وبشرط أن لا يغتر بعلمه الذي حصله ، لأن الغرور يُعمي صاحبه عن المتابعة والإستمرار في طلب الكمال ، ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما معناه إنك تظل عالماً ما طلبت العلم فإن « بدأت تظن أنك قد علمت فقد بدأت تجهل » .

ورُوي عن كليم الله موسى عليه السلام أنه سأل ربه فقال : أي ربي ، أيُ عبادك أحبُ إليك ؟ . فأجابه : الذي يذكرني ولا ينساني . قال : فأي عبادك أقضي ؟ . فأجابه : الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى ؛ قال موسى : فأي عبادك أعلم ؟ . فأجابه : الذي يبتغي علمَ الناس إلى علمه ، عسى أن يصيب كلمةً تهديه إلى هدى ، أو ترده عن ردى ..

وهذا كلام معناه أن الإنسان يجب أن يظل طيلةَ حياته باحثاً منقباً . مستفيداً من علم غيره . لأن الناس كثيرون . وعلومهم شتى وهو لا يستطيع أن يلم بكل ما عندهم في شهور أو سنوات .

والله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير ، الذي لا يتناهى علمه . وهو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم ، ولا يزال الله يفتح للناس أبواب العلم والمعرفة بلا نهاية ، لأن علمه لا ينتهي ولا تُدرك غايته . ولذلك روى أن موسى عندما ركب مع الخضر في السفينة رأى عصفوراً قد جاء . ووقف على حافة السفينة ، ثم نقر في الماء نقرات ، وأخذ من البحر قطرات ، فقال الخضر لموسى : ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر ..

هكذا يجب أن يكون الإنسان في الحياة . طالباً للمعرفة . شغوفاً بالبحث . لأنه إذا اقتصر على تجاربه هو ظل فرداً واحداً . بل ظل فرداً ناقصاً . ولكنه حين يعرف ما عند الآخرين . وما في الكون العظيم من أسرار . يصبح عدة أشخاص في جسم إنسان ! ! .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تطوير الفقه الإسلامي

السؤال : **ما رأيك في الدعوة القائمة لتطوير الفقه الإسلامي ؟ . وما المراد بهذا التطوير ؟ . وأين ينتهي ؟ .**

الجواب :

أذكر أن الأزهر الشريف قد اشترك بعضُ علمائه في سنة ١٩٣٨ في مؤتمر القانون المقارن بمدينة لاهاي ، وقرر المؤتمر أن الشريعة الإسلامية مصدر للتشريع ، وأنها حية صالحة للتطور ، وأنها متميزة غير مستمدة من غيرها . ولما عاد الممثلون للأزهر الشريف في هذا المؤتمر طال منهم الحديث حول هذه الناحية . وكثير من علمائنا عدوا هذا نصراً للشريعة . وإن كان قد جاء عن غير أبنائها .

كما أذكر أن المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى كتب كتاباً يؤخذ منه ويرد عليه (حسب تعبير القدماء) وهو كتاب « تاريخ الفقه الإسلامي » . ونجد في مواضع متعددة من هذا الكتاب حديثاً عن وجوب التطور أو الدعوة إلى التطور في الفقه .

ويخيل إليّ أن مفهوم هؤلاء في التطور لا يُقصد منه التغيير في الشريعة أو في الدين ، وإنما يقصدون منه التجديد في البحث الفقهي . أو التطور فيما يتعلق بالفقه ، أي دراسة الأحداث والوقائع والأوضاع القائمة . ومحاولة استمداد أحكام لها لا تخرج عن قواعد الدين ومبادئه . وفي الوقت نفسه لا تقف حجر عثرة في سبيل الحياة الممتدة المتجددة .

وفيما يتعلق بمعنى التطور يحلو لي أن أستأنس بالمعنى اللغوي للكلمة . فكلمة التطور المأخوذة من مدة الطاء والواو والراء تعود إلى معنيين أصليين . المعنى الأول هو الإمتداد في الشيء . سواء كان مكاناً أو زماناً ، وفي معنى الإمتداد معنى النمو . ومعنى المواصلة . ومعنى الزيادة الملائمة لما كان قبل هذه الزيادة .

وهناك معنى آخر للتطور في اللغة . وهو التعدي ومجاوزة الحد . ومن هذا قولهم : جاوز فلان طورَه . أي تعدى حده . وخرج عما ينبغي له..

وإذا كان المراد بالتطور الإمتداد والنمو فإن رحاب الفقه الإسلامي تتسع لهذا الإمتداد . لأن الفقه حي . والتراث الفقهي الموجود عندنا ضخم . ويمكن بعث كثير من هذا التراث ليلائم الحياة المستمرة .

أما إذا كان المراد بالتطور التعدي أو التبديل والتغيير في أي وضع من أوضاع الدين . أو أي مبدأ من مبادئه . فإن العقول السليمة المؤمنة متفقة على أنه لا يجوز ولا يحق . وحتى على المعنى الأول . وهو التطور بمعنى الإمتداد . لا يكون المعنى أن نضيف إلى الدين أو إلى الشريعة . أو حتى إلى الفقه الاسلامي ما ليس منه . بمعنى ما لا يتلاءم مع أصوله وقواعده ومبادئه . ويخيل إلي أن المقام يقتضينا أن نستعرض تاريخ الفقه الإسلامي . ففي عهد الرسول صلى الله

عليه وسلم كانت الحياة سهلة وبسيطة وساذجة وخفيفة التبعات ، وقليلة التعقيدات ، وتنزل القرآن الكريم ليكون الدستورَ الأساسي الأول لهذا الدين .

وأضيف إلى القرآن الكريم سنةُ الرسول صلى الله عليه وسلم . وعندما نرجع إلى القرآن نجد الآيات الموجودة فيه إما أنها تتعلق بالعقائد ، أو بالمعاملات ، أو بالعبادات ، أو بالأخلاق . والأخلاق قيم لا تتغير ولا تتبدل ، والعقائد أيضاً لون من اليقين والإيمان لا يتغير ولا يتبدل ، والعبادات شرعها الحكيم العليم ، وهي أيضاً لا تتغير ولا تتبدل ، ويبقى بعد هذا ما يتعلق بالبيوع والمعاملات وأحداث الحياة وأمور الدنيا .

والبيوع والمعاملات في القرآن الكريم تأتي في قواعد عامة ، إلا في مواطن محدودة أو معدودة عرضت لجانب التفصيل ، فنجد مثلاً أن الله سبحانه وتعالى قد قال : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

ثم ترك لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحد للبيع حدوداً ويقيده بقيود . وأن يبين لهم الربا وكيف يحرم ، وأخطار هذا الربا المحرم . ولكن هناك صوراً كثيرة للمعاملات استجدت في المجتمع ، ونريد أن نعرف رأي الدين فيها .

ويجب علينا في تحديد هذا الموقف ألا يتعارض في قليل أو كثير مع هذا الحكم الأساسي القرآني المسلم ، وهو إحلال البيع وتحريم الربا .

وهناك مسائل تتعلق بالنظام العام ، أو بالمجتمع ، أو بحياة الجماعة ، ونجد القرآن الكريم يأتي بها في الغالب عامة ، ولا يعرض التفاصيل أو صور التطبيق أو وسائل التنفيذ .

ففي الشورى مثلاً يكتفي بقوله : « وأمرهم شورى بينهم » .

ولكن كيف تكون الشورى ؟ . وكيف تتحقق ؟ . أعلى مرحلة واحدة ، أم على مرحلتين ؟ أمن طبقة معينة ، أم من جميع الطبقات ؟ ... إلى آخره . كل هذا متروك للإجتهاد والفهم والإستنباط . وكذلك يقول القرآن الكريم : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » .

فكيف تتحقق الوحدة ؟ وحدة سياسية أم إقتصادية أم عسكرية . أم تكون وحدة شعور عام ، وأخوة دينية ، واتفاق في الأصول ، ثم إتاحة فرصة من الحرية أو من التمتع بالحكم الداخلي الذاتي لكل قطر ؟ .

لم يتعرض القرآن الكريم لتحديد هذه الأوضاع وهذه التفاصيل . وفي هذا التحديد مجال واسع للاجتهاد وللتطوير بالمعنى الذي نوافق عليه .

وعلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أتيح لصحابته — ما داموا لا يحلون حراماً ولا يحرمون حلالاً ، ولا يجدون أمامهم في المسألة التي تعرض لهم أو الوضع الذي يواجهونه نصاً في القرآن الكريم أو السنة — أن يستعملوا عقولهم وإجتهادهم وإستنباطهم . ووصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن خير شاهد على ذلك . فقد سأله الرسول : فإن لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله . فأجابه : أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر في الإجتهاد وفي تحري الحق والواقع) .

وننتقل من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد الخلفاء الراشدين . فنجد شخصية ضخمة كبيرة . هي شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونجد له إجتهاداً أوسع ممن سبقه ، ونجده يحاول أن يستمد من الدين وأحكامه ومبادىء الإسلام العامة ما يجعل الحياة تمتد وتقوى . وفي الوقت نفسه لا يخرج بالناس عن أصول هذا الدين في قليل أو كثير . وأظنه في بعض آراء منه وإجراءات له ، وبعض مواقف وقفها قد قطع شوطاً كبيراً وخطا خطوات واسعة في هذه السبيل .

وإذا جئنا إلى عصر إزدهار الفقه في عهد الأئمة الأربعة نجد أبا حنيفة يفهم فهوماً جديدة ، فهو دائماً يرى أن الأحكام لها علة . وأن النصوص لها حكمة . وأن الحكم يدور مع هذه العلة وجوداً وعدماً . فعندما تعرض عليه مثلاً مسألة سهم الفارس من الغنيمة . يعارض بعض المذاهب التي تجعل للفارس سهماً وللفرس سهمين أخذاً من بعض الأحاديث . ويقول : لا أعطي للبهيمة فوق ما أعطيه للإنسان . وكان هذا فهماً جديداً أو إجتهاداً من أبي حنيفة .

ونستطيع أن نقول : إن أبا حنيفة لم يخرج عن الحديث المروى في هذا المقام . لأنه فهم الحديث على أنه في وقت كان الجواد فيه يقوم مقام أكثر من رجل لقلة الراحلة وندرة آلات الركوب . ولكن بعد أن توافرت الدواب والأشياء التي تحمل أصبح الإنسان على الأقل مساوياً للفرس في أخذ السهم .

ثم نجد الإمام الشافعي رضي الله عنه يتكون له مذهب قديم في بغداد ، ومذهب جديد في مصر . وما ذلك إلا لأنه لاحظ أوضاع الحياة وتطوراتها ، أو الأعراف والتقاليد والعادات الموجودة هنا وهناك .

بعد هذا نجد أن دعوة التطور إذا تُركت — دون تحديد أو تقييد . ودون أن توجد أمامها صخرة للمقاومة . فإنها قد تجمح وتتطرف . وربما تسرف وتضل عن سواء السبيل . خصوصاً أن هناك عقولاً مستعدة كل الإستعداد لتحريف دعوة التطور بحيث يجعلونها دعوة تبديل او مسخ للشريعة الاسلامية .

أتذكر هنا كاتباً كان غير مسلم ثم أسلم وهو « ليوبولد فايس » الذي تسمى باسم محمد أسد . وكتب كتابه : « الإسلام على مفترق الطرق » وهو في هذا الكتاب لا يدعو فقط إلى أن تحتفظ الأمة بمبادىء دينها وقواعد شريعتها ، وأحكام القرآن والسنة والتراث العظيم الذي نقل إليها من ماضيها فقط . وإنما يدعو في حرص إلى أن تحتفظ الأمة أيضاً بشكلياتها في الثياب والطعام وآداب المقابلة والزيادة والحديث . ويقول : إن هذه أشياء ضرورية مكملة لشخصية الأمة الإسلامية . فيجب أن نحرص عليها .

* * *

بين الأحرار والعبيد

السؤال : **لماذا نرى الكثيرين من كرام الناس معرضين لإبتلاء الحياة والأحياء ؟.**

الجواب :

الأحرار في سائر الديار هم غرض الزمان وهدف الأشجان ، يبتلون في

أرزاقهم وحظوظهم ، ويبتلون في أجسامهم وصحتهم ، كما يبتلون في سمعتهم وتاريخهم ... ترى الرجل الحر النبيل وقد وُهب الذكاء والفطنة والألمعية ، وسار في الحياة سيرة الطهارة والشرف ، فلا يُجزَى على ذلك من الحياة أو الأحياء إلا بشظف العيش وعبوس الدنيا .

تراه وقد قُدر عليه رزقه ، وضُيِّق عليه في حاجاته ، ولم ينل من حظوظ العيش ما يناله كثير من الناس ، وتراه لكثرة نضاله وضخامة أعماله وسمو آماله ضئيلَ البدن نحيل الجسم ، على حين نجد أشباه السوائم قد تضخموا في أجسامهم وأبدانهم ، حتّى صدق عليهم قول الأول : « جسم البغال وأحلام العصافير » ؟ .

وتراه أيضاً مبتلىً في سيرته أثناء حياته وبعد مماته ؛ ففي حياته تُدس له الدسائس ، وتنقض معه العهود ، وتختلق له العيوب ، والعرانين دائماً محسدة كما يقول شاعر العرب :

« ولن ترى للئام الناس حساداً » ، وبعد مماته تُسلّط على تاريخه الألسنةُ الوقحة والأقلام الفاجرة ، فتحرِّف وتشوه بما أراد لها الغي والهوى ! ..

وليس إقبال الدنيا على العبيد وإدبارها عن الأحرار سنةً مستحدثة ، او عادة قريبة العهد ، ولكنها شنشنة قديمة عتيقة احترق بها المقنع الكندي في عصور الجاهلية حين صرخ :

وإن الذي بيني وبين بني أبــي ... وبين بني عمي لمختلف جدّا
أراهم إلى نصري بِطاء ، وإن هم ... دعوني إلى نصر أتيتُهم شــدا
فإن يأكلوا لحمي وَفرت لحومهم ... وإن يهدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا
وإن زجروا طيرا بنحسٍ تمر بي ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
وإن ضيّعوا غيبي حفظتُ غيوبَهم ... وإن هم هوَوا غيِّي هويت لهم رشدا
ولا أحمل الحقدَ الدفين عليهم ... فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غـنى ... وإن قل مالي لم أكلفهم رِفْدا !

وأحس بها ذلك الشاعر الثائر الذي لم يملك رشادَه ، ولم يحكم قياده ،

حينما شاهد جوانب الإضطراب في المجتمع المزلزل ، فهاج وماج ، وقذف بقولته المرة النابية حين صرخ في تمرد ضال :

كم عالمٍ عالم أعيت مذاهبــه ... وجاهلٍ جاهل تلقاه مرزوقـا
هذا الذي ترك الأوهامَ حائـرة ... وصيّر العالم النحرير زنديقا !

وأحس بها أبو العتاهية في العصر العباسي ، بعد قرون من صيحة المقنع الكندي ، وذلك حين أراد أبو العتاهية أن يصور لؤم الناس ، وضيعةَ الكريم بينهم ، وهوانَه عليهم ، فقال :

يا رب إن الناس لا ينصفونني ... فكيف وإن أنصفتُهم ظلموني
فإن كان لي شيء تصدوا لأخذه ... وإن جئت أبغي شيئَهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم ... وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن طرقتي نكبةٌ فكهوا بهـا ... وإن صحبتني نعمةٌ حسدونـي
سأمنع قلبي أن يحن إليهـم ... وأغمض عنهم ناظري وجفوني
وأقطع أيـامي بيـوم سهولـة ... أقضّي بها عمري ويوم حزون
ألا إن أصفي العيش ما طاب غِبه ... وما نلته في لـذة وسكـون !

وأحس بها حاتم الأصم حينما قدم إلى الإمام أحمد بن حنبل ، فقال أحمد لحاتم بعد أن بشّ له ورحب به :

أخبرني ، كيف الطريق إلى السلامة من الناس ؟ .

فقال له حاتم : بثلاثة أشياء .

فقال له أحمد : وما هي ؟

فقال حاتم : تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم ، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك ، وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم .

فقال أحمد : إنها لصعبة ! .

فقال حاتم : وليتك تسلم ! ..

وأخيراً أحس بها ذلك الشاعر الحديث « العقاد » الذي فطر قلبَه اضطرابُ الموازين بين الناس ، وإرتفاعُ المجتمع بالخسيس الدون إلى مراتب الراحة والنعمة والشهرة ، ومحاربته للكريم الأصيل حتّى في حقوقه وشخصياته ، فلم يملك نفسَه أن صرخ في الناس :

إنا نريد إذا ما الظلم حاق بنـــا ... عدلَ الأناسيّ لا عدلَ الموازينِ
عدل الموازين ظلم حين تنصبها ... على المساواة بين الحر والدون
ما فرّقت كفةُ الميزان أو عدلت ... بين الحليّ وأحجار الطواحين !

* * *

أيها الحر الكريم في هذه الحياة ، أيها المحروب المضطهد ، أيها المعدن النفيس المجهول ، أيها الكنز المخفي ، إن قست عليك الحياة ، واشتط في معاملتك الأحياء ، فارفع وجهك إلى السماء ، وأذكر أن للكون خالقاً سبحانه ، لن ترضى عدالتهُ أبداً أن يدوم حيف ، أو يخلد عسف ، فما فاتك اليوم من حقك فهو أمامك ، ستلقاه هنا أو هناك ، ولن يذهب العرف بين الله والناس !..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزمن حلال للمشكلات

السؤال : **سمعتك في إحدى خطبك تقول : « الزمن حلال للمشكلات » فماذا تريد بذلك ؟ .**

الجواب :

من الأمور البديهية المقررة المسلّمة أنك لن تستطيع مهما حاولت أن تعيش طيلة حياتك على نمط واحد ، أو أسلوب واحد ، بل لا بد من التغير والتبدل ، والإقبال والإدبار ، والسراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ،

والسعادة والشقاء ، والراحة والتعب ، والإطمئنان والقلق ؛ ولن تمر بك الأمور كما تمر الريح هادئة رخاء ، بل ستصادفك أمور ومشكلات ، تحتاج منك إلى حسن النظر وعميق التدبر . وكثير من الناس قد وهبهم الله الفكر الناضج ، والعقل النير ، والإحتيال اللطيف ، أمام دقائق الأمور . ولكن بعضهم لا يحسن اختيار الوقت الذي يعالج فيه ما يعرض له من مشكلات ، وسبب ذلك أنهم يريدون أن يعيشوا في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل دفعة واحدة ، فهم يجترون ذكرياتهم ، الحسن منها والقبيح ، ويشغلون أنفسهم بها شغلاً سيئاً ، فيقولون : لو كنا فعلنا كذا لكان كذا ، « ولو » تفتح باب الشيطان كما يقول الحديث الشريف .

وهم أيضاً يتطلعون إلى المستقبل ويفكرون فيه ، مع أنه لا يزال غيبا يعلمه الله ، فهم يقولون : ماذا نفعل لو حدث كذا ؟ وما هي النتيجة لو لم يتيسر لنا كذا ؟ . ويتركون حاضرهم وعاجل أمورهم ، ويبدأون في نسج ثوب طويل عريض لمستقبلهم ؛ مع أن مستقبلهم لم يولد بعد ، ومع أن حاضرهم أولى بهذا الثوب أو بعضه ...

وبذلك الإختلال في اختيار الوقت المناسب لحل المشكلة . يفقد أولئك الناس كثيراً من راحتهم وهنائهم وسعادتهم ، ولو أنهم عاشوا في حاضرهم ، وواجهوا مشكلاته ، وحلوها في وقتها المناسب ، لوفروا وقتهم وجهودهم ، وسعدوا بدنياهم ! ! .

ومن العجيب في هذه الحياة أنك قد تعرض لك المشكلة من المشكلات ، وأوانها لم يحل بعد ، فتذهب ضارباً الأخماس في الأسداس ، محاولا بقسوة وشدة أن تجد لها حلاً فلا تستطيع ، فتظل مسهد الطرف قلق الخاطر خافق القلب ، تتوهم أن أشباحاً سوداً تنتظرك ، وأن إخفاقاً في الطريق يتهددك ، وأن شقاء في الغد المبهم سيلقاك . ولكن الأيام تمر ، ويحل ميعاد ما عرض لك من مشكلات . فإذا بالزمن قد حلها ، وإذا بتقديرك قد بعد أو شط . وتكفل الدهر بتهوين ما عسرت ، وتقريب ما أبعدت ، ولعل الشاعر يرمز إلى هذا المعنى من طرف خفي حين يقول :

تقفون والفلك المحرك دائــــر   وتقدرون فتضحك الأقــدار

مرت عليّ في كثير من الأوقات أزمات ضقت بها ، ولم أعرف الخلاص منها ، وأكثرها كان يغلق عليّ أمره فلا أستبين فيه رشاداً ، وخاصة حينما يتصل ذلك بغيري من الناس ، فأقول مثلاً : كيف السبيل غداً إلى إرضاء ذلك الصديق ، أو قضاء حاجة ذلك الرفيق ، أو الوفاء بذلك الوعد ، أو النجاح في تلك المحاولة . أو الوصول إلى ذلك الهدف ، أو تجنب هذا الخطر المقبل بعد قليل ؟ ! ... وهكذا من أمثال هذه الفروض والحلول . وأضيق ذرعاً كما قلت حين لا أعرف الحل الفاصل اليسير لهذه المشكلات ، ثم أقول بعد هذا كله : هيه ! .. دعها للزمن ، فسيتولى حلها . وكثيراً ما يصدق ظني فيتولى الزمن الحل ، في الساعة الفاصلة أحياناً ، وقبل الأوان أحياناً أخرى !! . وذلك كله بفضل الله وعنايته .

أيها الإنسان ، عش في ساعتك التي أنت فيها ، وأحسن التدبير لها ، ولا تشغل نفسك بأوهام تتخيلها في مستقبل غامض لم يأت بعد . فان عرض لك شيء من ذلك فقل في نفسك ، أو بأعلى صوتك : دع ذلك للزمن يتولى حله . فان الزمن خير حلال للمشكلات !! .. « والله من ورائهم محيط » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدليل على وجود الله

السؤال : **يتساءل كثيرون : ما الدليل على أن الله موجود ، فماذا نقول لهؤلاء ؟ .**

الجواب :

تناقلت الأنباء أن أحد رواد الفضاء قد جاب السماء ، ثم قال إنه لم ير الله

جل جلاله . وأمام هذا الموقف أحب أن أتأدب بأدب الإسلام ، من حيث السماحة وسعة الأفق فأنوه أولاً بالجهود العظيمة التي توصل إليها الإنسان في محاولته إرتيادَ الفضاء . وأعتقد أن هذه المحاولات ستكون براهين جديدة ولو بعد حين على قضية الإيمان . وعلى وجود الله سبحانه وتعالى ، وعلى وجود الخالق المبدع الباريء المصور للحياة والأحياء .

وإذا كان أحد هؤلاء الرواد قد قال : إنه لم ير في رحلته اللهَ عز وجل . فقد رد عليه رائد آخر من دولة أخرى ، فقال : إن الله الذي أؤمن به أجل وأعظم من أن تراه عينُ هذا المخلوق الذي أنكر وجودَه .

وينبغي أن نتذكر أن الذين يلحدون في آيات الله وينكرون وجوده الآن سوف لا يظلون على هذا الإنكار إلى الأبد ، وربما كان إنكارهم الحاضر نكسةً من نكسات البشرية ، عندما تساق إلى مضيق من مضايق الحياة كردِّ فعل لوضع كان منحرفاً من قبل ، ولذلك يغلب على الظن أن الذين يشتغلون بالعلوم الطبيعية والكونية وبإرتياد الفضاء سيساقون يوماً إلى الإيمان ببصر وبصيرة . بعد أن أذهلهم عن هذا الإيمان ما ركبهم من غرور بسبب الإنتصارات العاجلة التي جاءتهم ، وبسبب مواريث قديمة كانت مجتمعاتهم فيها مختلة أو مضطربة ، ولم تستقم على الدين العادل المستقيم .

والقضية التي تشغلنا الآن هي التدليل على وجود الله سبحانه وتعالى ، ولا يكفي في مجال التدليل اوجود الله سبحانه وتعالى أن نرد على المنكر بنصوص نؤمن بها ونؤمن بصحتها وصوابها ، وهو لا يؤمن بها ولا يسلم بأنها حق أو أنها صواب . ولذلك يحسن بنا أن نلجأ في التدليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى إلى أدلة أخرى .

يمكن أن نصل إلى التدليل على وجود الله سبحانه وتعالى ، أو على وجود الخالق للخَلْق عن طريق من طرق ثلاثة : إما أن نصل إليه بطريق الفطرة ، والوجدان والقلب والشعور ، وإما أن نصل إليه عن طريق النظر في ملكوت السموات والأرض ، وأما أن نصل إليه عن طريق العقل والتفكير ، أما فيما

يتعلق بالفطرة والقلب والشعور والوجدان . فالإنسان السوي الخالي من المؤثرات المصطنعة أو غير الطبيعية يحس عندما يتخلص من هذه المؤثرات أن هناك قوة عليا مطلقة تشرف عليه . وتتحكم فيه ، وتنظمه وتنظم ما حوله ومن حوله . ويستدل بعض العلماء على هذا أيضاً بأن الإنسان إذا اعتز بوسائله البشرية وبطرقه المادية في معالجة الحياة أو التغلب على متاعبها ومصاعبها . ثم حيل بينه وبين الوصول إلى ما يريد ، وتقطعت به الأسباب فإنه دون صنع من عقله أو دون وعي يتجه إلى هذه القوة فيستعين بها ويردد اسمها ، وينادي في ظلمات الحياة وأعماق المتاعب اللهَ ربَّه ، سبحانه وتعالى . لكي يعينه وينقذه إذا ما تقطعت به الأسباب . وقد أشار القرآن إلى مثل هذه الحالة في أكثر من وضع .

أما فيما يتعلق بأسلوب الإستدلال على وجود الخالق بطريق التأمل في ملكوت السموات والأرض . فهذا خليط من الفطرة ومن العقل ، فإن الإنسان يرى صنعة فتدله على صانع . ويرى إتقاناً فيدله على أن مبدعاً متقناً قد أوجد هذا الشيء المتقن .

أما الطريق الثالث طريق العقل الصرف . فهو أن يعتمد الإنسان على عقله في الإستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى ، وهو ما يسمونه بالتفكير المحض . فالعقل عندما يتطلع إلى هذا الكون ليفكر في وجوده . أوُجِدَ بلا موجد . أم أوجده موجد ؟ . فإنه يستطيع أن يفرض أربعةَ فروض : إما أن يكون ما نسميه بالحياة والكون شيئاً وهمياً لا حقيقة له ، وإما أن هذا الشيء وهو الكون وُجِدَ ونشأ من تلقاء نفسه أو إعتباطاً ، وإما أن هذا الكون أبَدِيٌ ليست له بداية . وليس له نهاية ، وإما أن موجداً قد أوجده .

أما الفرض الأول وهو أن الحياة وهم وخيال وليست حقيقة ، فإن هذا تكذبه حواسنا ووسائلُ إدراكنا ، فنحن نرى ضوءاً وظلاماً ومادة . ونحس ألماً وراحة وبرداً . ونشرب ونأكل ونلبس . وكل هذا لا يمكن أن يكون وهماً . وإلا كان مصادمة للعقل ومصادمة للتفكير .

وإما أن هذا الكون قد وُجد من تلقاء نفسه ، وهو الفرض الثاني ، فلا يمكن أن يقبله العقل ، وإلا لأمكن العقل أن يقبل ويصدق أن الوجود ينشأ عن العدم ، ولا يمكن أن « لا شيء » يوجد شيئاً ، فالعقل ينفي أن يكون العالم قد وجد من تلقاء نفسه .

وأما الفرض الثالث ، وهو أن العالم أبدي ، بمعنى أنه لا أول له ولا نهاية ، فإن العلم المادي نفسه ينقض هذه الدعوى ، ولا يسلم بهذا الفرض ، لأنهم يقولون في علومهم المادية وما يسمونه بقوانين الديناميكا الحرارية إن حرارة الكون تتناقص يوماً بعد يوم ، ومرحلة بعد مرحلة ، ويقررون أن الكون سيأتي عليه يوم يفقد فيه كلّ حرارته ، ومتى فقد الحرارة فقد تقلص وهمد ، ولم يبق فيه حياة .

فالعلوم المادية الطبيعية نفسها تشير إلى أن الكون سينتهي ، وما ينتهي لا يكون أبدياً ولا أزلياً . ومعنى ذلك أن الكون حادث ، أي أنه مخلوق موجود . وحينئذ يُسْلمنا الفرض الثالث الذي لم يقبله العقل إلى الفرض الرابع الذي لا يجد العقل مفراً من قبوله ، وهو أن هذا الشيء الحادث الموجود لا بد له من موجد ، وهذا الموجد هو الله سبحانه وتعالى .

بعد هذا نجد أن قضية إثبات وجود الله سبحانه وتعالى لم تقتصر على علماء الدين أو رجال الدين أو المجالات الدينية البحتة ، لأن إنكار الخالق ليس من بضاعة رجال الفضاء وحدهم ، بل إننا منذ أقدم العصور وأبعد الأزمنة ، نجد من ينكر الخالق ، ومن ينكر وجود الله سبحانه وتعالى ، والقرآن الكريم نفسه أشار إلى أن أقواماً ينكرون وجودَه ويقولون : « ما يهلكنا إلا الدهر » ، ولا يتحكم فينا إلا الزمن ، وأنهم ما دام لا يوجد لهم من يخلقهم فلن يوجد لهم من يبعثهم ، ومن هنا أنكروا قضية البعث كما أنكروا قضية الخلق .

ونحن أمام هؤلاء المنكرين نجد أن كثيراً من العلماء بحثوا الموضوع بحثاً علمياً موضوعياً ، تجنبوا فيه الإعتماد على النصوص الدينية التي لا يسلم بها المنكرون لوجود الله سبحانه وتعالى ، وإعتمدوا على البحث العلمي ، ونجد

كثيراً منهم قد كتبوا كتباً جيدة وبحوثاً ممتازة في هذه الناحية .

ونشير إلى بعض المراجع العلمية التي فصلت الحديث في هذا الموضوع :

فهناك عالم تركي اسمه المشير أحمد عزت باشا . كتب كتاباً قيماً ترجم إلى العربية وعنوانه « الدين والعلم » . كتبه أولاً بالتركية ، وكان يتمنى أن ينشره بالعربية ، لولا أن الثورة الكمالية جاءت فقوضت دعائم الخلافة الإسلامية . وألغت الديانة الإسلامية ، وقلبت المجتمع التركي إلى مجتمع علماني لا ديني . فصعب على الرجل أن ينشره بالتركية وحدها في بلاد صارت لا دينية . فجعل يترجمه إلى العربية ، ولكن أدركته المنية قبل أن يتم ترجمته . فكتب وصية لزوجته أن تعني بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ، وفعلاً عنيت الزوجة بذلك ، وكلفت به أحد أساتذة اللغة التركية وهو الأستاذ حمزة طاهر . وكان مدرساً بكلية الآداب . وعاونه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، وطبع هذا الكتاب طبعة عربية متقنة في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وهناك كتاب ثان . وهو ما يسمى في ترجمته العربية : « العلم يدعو إلى الإيمان » وقد ألفه أستاذ أمريكي وهو عالم طبيعي ، كان رئيساً للأكاديمية العلمية في أمريكا ، وتولى مناصب علمية كبيرة . وهو « كريسي موريسون » والترجمة الحرفية للكتاب هي : « الإنسان لا يقف وحده » وهو يريد بهذا أن الإنسان يوجد بجواره أو من فوقه قوة عليا تنظم له الكون وتسيِّر خطواته في الحيـــاة .

وكان هذا الكتاب رداً على كتاب لكاتب إنجليزي اسمه جوليان هكسلي عنوانه : « الإنسان يقف وحده » أي ليس في العالم سوى الإنسان ، هو الذي يصنع الحياة ، وهو الذي يسيِّر الأحياء من حوله

وهذا بحث علمي ، كان رداً على بحث علمي . لم يعتمد فيه صاحب الكتاب وهو كريسي موريسون على نصوص دينية من الإنجيل أو القرآن أو غيرهما من الكتب الدينية . بل اعتمد من أول الكتاب إلى آخره على الأدلة

العلمية . وقد ترجم هذا الكتابَ الأستاذ محمود الفلكي الذي كان سفيراً لمصر في باريس منذ سنوات .

وهناك أيضاً كتاب ثالث مترجم – والكتب المترجمة عندنا في هذا المقام أهم من الكتب المؤلفة في بيئتنا الدينية ، لأنها شهادة من جو علمي ليس فيه مظنة التأثر بالنصوص الدينية – وهو كتاب : « الله يتجلى في عصر العلم » وقد أشرف عليه أحد الأمريكان واسمه « جون كروفر » واشترك في كتابته طائفة من العلماء في الطبيعة والحيوان والنبات وغير ذلك من العلوم ، وترجمه الدكتور الدمرداش عبد الحميد سرحان وطبع طبعة أنيقة . وهو يبحث في وجود الله بالأدلة العلمية .

بعد هذا يوجد عندنا كتب عربية مؤلفة في بيئتنا الإسلامية ، مثل كتاب : « الله والعلم الحديث » للأستاذ عبد الرزاق نوفل . وفيه أيضاً جهد كبير طيب . وهناك كتاب : « مع الله في السماء » و « مع الله في الأرض » وهما لعالم طبيعي متخصص في الفلسفة والعلوم الطبيعية ، وهو الدكتور أحمد زكي . الذي كان مديراً لجامعة القاهرة وهو يرأس الآن تحرير مجلة العربي التي تصدر في الكويت . وهذه الكتب لم يكتبها رجال دين ولا علماء دين حتى يقال إنها لا تخرج عن ترديد « قال الله ، وقال الرسول » . وإنما هي كتب علمية ساقت الأدله على وجود الخالق سبحانه وتعالى .

أما بعد : فإن الفطرة الإنسانية ، ومن ورائها العقل البشري . يناديان بأن الصنعة لا بد لها من صانع ، وأن الخَلْق لا بد لهم من خالق . وأن الله موجود وإن رغمت أنوف الجاحدين والمنكرين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نعمة المرض ! !

السؤال : **لماذا خلق الله المرض ؟ .**

الجواب :

ما أكثر الأحكام التي يصدرها الإنسان على أمور الحياة دون أن يصيب بها شاكلةَ الحق والصواب ، وما أكثر القواعد الخاطئة التي يسير عليها المرء في هذه الدنيا ، دون أن يفكر تفكيراً عملياً جدياً ، سريعاً أو بطيئاً ، في تغييرها ، أو إصلاحها على الأقل ...

من بين هذه الأحكام وتلك القواعد أن الناس قد تعارفوا من قديم الزمن على إعتبار المرض لوناً من الآلام، ونوعاً من أنواع المحن ، ونكبة من النكبات التي يأسى الإنسان لها ويحزن ، مع أن في المرض من النعم ما لو تبصر فيه الإنسان صادقَ التبصر ، لاعتبر المرض بركة تساق إليه لتنفعه ، وإن تكن قد إتخذت لها شكلَ المحنة والألم ، ففي المرض راحة من الأشغال والهموم التي تهجم على الإنسان كالغول المفترس أو الأسد الكاسر أو الحاكم المستبد ، فتسخره وتستعبده ، وتضطره دائماً أن يكون كالآلة التي تعمل باستمرار ، ودون إنقطاع ، ولا شك أن هذا العمل الدائم ، والمجهود المتواصل ينهك الأعصاب ، ويرهق الجسم ، ويحطم قوي الإنتاج والإبتكار والتجويد في الإنسان ، ولذا كان الإنسان بأشد الحاجة إلى أوقات إنقطاع واستجمام ، ولكن طموحه أو رغبته في السيادة والإنتصار تحرضه على عدم الراحة والإستقرار ؛ فلم لا نعد المرض نوعاً من الراحة الإضطرارية التي تلجيء المرء إلى الإنقطاع عن العمل المرهق المضني إلى أجل محدود ؟ ! ..

والمرض كذلك نوع من الدراسة ، فأنت حين الصحة لا تدري ما هو المرض ، ولا ما هو شعور المريض ، بل أنت لا تدري الصحةَ نفسها ، لأن الأشياء لا تُعرف إلا بأضدادها ، ولذلك قيل في المثل المشهور : الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى » ..

أما في أثناء المرض فأنت تعرف ما هو . وتدرك ما هي العواطف واللواعج التي يتعرض لها الشخص المريض . وهذا الإدراك يفيدك في معاملة الذين يمرضون ، وتقدير ما يصدر عنهم . وأنت أيضاً تدرك مبلغ ما للصحة من منزلة . فتحسن استعمالها واستغلالها في مكارم الأمور ..

ومن نعم المرض أيضاً أنه يهذب غرور الإنسان وفخاره ويطأطىء من تعاليه وكبريائه . فأنت حين تسعى في الأرض صحيحاً سليماً معافى . يخيل إليك أنه ستخرق الأرض . وستبلغ الجبال طولاً وانك لا يوجد من يغلبك أو يناوئك . ولذلك تمشي في الأرض مرحاً . وتكثر في دنياك البغي والفساد . وتتوهم أنك لن تذل . ولن تضعف . فإذا ما صفعك المرض صفعته القوية . وألجأك إلى الفراش والإنقطاع عن الحركة والحياة والأحياء تهذب غرورك . واعتدل فخارك . وأدركت أنك عاجز أمام قوة الله . وأنك شيء تافه صغير أمام قدرة الله . ورأيت كيف يتحول هذا الطموح المفرط . والحركة الدائبة . والنشاط الدائم . والأمل العريض . والرجاء الواسع . والكبرياء المتكبرة . إلى كتلة من اللحم والدم . لا تجد سبيلها في الحياة . ولا تقضي مطالبها الضرورية في الدنيا . إلا بمعونة الآخرين . وفي ذلك تذكير أي تذكير للإنسان المغرور بأنه أمام جلال الله وعظمته شيء صغير حقير .

ومن نعم المرض أيضاً أن لسان الإنسان قد يغفل طويلاً أو قليلاً عن ذكر خالقه وموجده . لأن شواغل الحياة ولذات الكون ومفاتن الدنيا تلفته عن هذا الذكر . فإذا ما جاء المرض رأى المرء نفسه مدفوعاً عن رغبة أو رهبة إلى ذكر ربه . يكرر اسمه وصفاته . ويطلب منه الشفاء والدواء . ويرى ذكر ربه محيطاً به من كل جهة . حتى لقد قال بعض الناس إن « آه » التي يرددها المريض اسم من أسماء الله ذي الجلال . ولا شك أن في هذا التذكر لله تطهيراً وتذكيراً ...

ومن نعم المرض أن الله يجعله تكفيراً للذنوب وتمحيصاً للذنوب . ومحواً للسيئات . وتكثيراً في الحسنات . فلو أن المريض تذكر هذا حين مرضه لعده نعمة سابغة يطلب منها المزيد ..

والمرض أخيراً نوع من الإختبار لوفاء الناس . فأنت أثناء المرض تنعم بعواطف أولئك الذين يسعون إليك ، ويحيطون بك . ويبالغون في توفير راحتك . ويتمنون لك الهناء والشفاء من القلوب ! ...

إنني أكتب هذا وأنا مريض ، فهو من صميم الحق والواقع ، لا من عمل التصور والخيال ...

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كيف نحكم على الأشياء ؟ !

السؤال : **كيف نحكم على الأشياء ؟ .**

الجواب :

حدثني أحد أصدقائي قال :

لي شقيقة ريفية تصغرني بسنوات . وقد تزوجت منذ أمد بعيد . وتطلعت عينها إلى الذرية العزيزة الغالية . وخاصة في الريف . فلم يكتب لها الله العظيم الحكيم شيئاً منها . وعلى الرغم من أن جميع صويحباتها قد رزقن الذرية الكثيرة أو القليلة من البنين والبنات . بقيت هي تنتظر بلا نتيجة . وتنطوي نفسها على هم دفين وألم عميق . وإن كانت تتظاهر بأن مسألة الذرية هذه لا تمر لها على بال ! .

وبالأمس القريب كان بيدي عدد من مجلة شهرية مصرية . أصدرته إدارتها خاصاً بالربيع . وحلت صدره بصورة فتاة جميلة باهرة الجمال . تجوس خلال روضة حافلة بالأزهار والرياحين . وحلت الصفحة الاخيرة منه بصورة جميلة لصبي في نحو الثالثة من عمره . فما رأيت أنا صورة الفتاة بجمالها وروعتها

تزينه صدر المجلة . حتى أدركني الحنين إلى نصفي الآخر . فهتفت من الأعماق : ما أجمل هذه الصورة ؟ ! ..

وكانت شقيقتي حينئذ تحد النظر إلى صفحة الغلاف الأخيرة . إلى صورة الطفل الوسيم ، فما سمعتني أقول هذا حتى هتفت كأنها تعارضني : بل هذه الصورة أجمل منها ! ! ..

وهكذا ... أدركني شوقي إلى الأليفة المرموقة . فسيطر على تقديري . فكان أن حكمت بأن صورة « الفتاة » أجمل صورة . وسيطر على أختي حنينها إلى الذرية . فجعلها تحكم بأن صورة « الصبي » أجمل صورة في الحياة ! .

كذلك تأتي أحكامنا غالباً على ما يصادفنا من مسائل ومظاهر وحوادث في هذا الكون العريض الوسيع . لا ننظر إلى المسألة إلا من ناحية هوانا وغرضنا وحاجتنا . ومن هنا جاء إختلاف الناس الظاهر في أحكامهم على الأمور . نتيجة لإختلافهم البين في الرغبات والمشارب . والأهواء والمطالب . ومثل هذه الحادثة التي قدمتها في صدر هذه الكلمة يجب أن تهدينا . وتنير لنا السبيل . حتى تجنبنا الأخطاء في الأحكام التي نصدرها من حين إلى حين على الأشخاص أو المبادىء أو الآراء ! ! .

ومن الواجب على الإنسان إذا أراد أن يحكم على أمر من الأمور . أو مسألة من المسائل ، أن يتأنى ويتريث . فلا يعجل ويسارع بالحكم عليها . بل يطيل التأمل فيها . ودراستها من شتى نواحيها . والنظر إلى جهاتها المختلفة . لأن هذه الدراسة تفتق ذهن الإنسان . وتوسع معارفه من جهة . وتجعل حكمه أقرب إلى الدقة والصواب من جهة أخرى .

ويجب على الإنسان حينما يصدر حكماً من الأحكام . في موضوع من الموضوعات . وخاصة إذا كان الموضوع خطيراً جليلاً متشعب النواحي والأطراف . أن لا يصدره في لهجة المطمئن الواثق . أو في عبارة المتحدي . أو في أسلوب الجزم واليقين . الذي لا يقبل التعديل أو التبديل ، بل الأحسن

والأجدر به والأضمن له ، أن يصدر حكمه في عبارة تفيد الظن والترجيح ، أو التفضيل والتقديم ؛ وفي اللغة من أمثال هذه العبارات والألفاظ ما لو استعمله الإنسان لجنبه الكثيرَ من العثرات ، ولن يضير الإنسان في الغد من هذا الحكم شيء ، لأن الأيام إذا أثبتت رأيه وأكدت ظنه كانت أشبه بمن يزكّي تفكيره وتأويله ، وإذا جد في الموضوع ما يخالف نظريتَه وفكرته ، لم يلق من اللوم والعتاب شيئاً ذا بال ، فقد إحتاط لنفسه ، وأخذ الحذر ! .

كذلك من الواجب على الإنسان أن يقتصد في تخطئة غيره من الناس ، فقد يكون لهم وجهات نظر أخرى . وقد يكونون على علم لم يصل إليك ، أو لم تقف عليه ، فلتقبل أحكامَ غيرك برزانة وتدبر ، لا تسارع بالرفض والإعراض ، كما لا تسارع بالقبول والتسليم . بل تنظر وتقدر . وتتعقل وتتبصر . فالعقل الإنساني مهما قيل في قدرته محدودة قاصر ، وخطوات التعليم في الحياة تفسح له الطريق ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حب الثناء طبيعة الإنسان

سؤال : **يقولون إن حب الثناء طبيعة الإنسان ، فما رأيكم في هذا القول ؟ .**

الجواب :

كنت أتحدث في مناسبة دينية عن خبرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بالنفس البشرية ، وذكرت أثناء الحديث أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد أدرك بفطرته الإنسانية السامية . وعصمته الإلهية العالية . وهداية العليم الخبير له . أن الثناء طبيعة الإنسان . وأن الناس على إختلاف مشاربهم ومنازعهم يحبون أن يكون ذكرهم محموداً . وأن تكون سيرتهم مذكورةً بالخير والثناء .

والفرق بين الرجل الأصيل والرجل المزيل في هذا المقام ، أن الرجل الأصيل يحب الثناء ويرتضيه بحق ، وعن جهد بذله ، وعمل عمله ، ومحمدة أتاها ؛ وأما الرجل المزيل فإنه يحب الثناء ، ولو أتاه عن طريق الباطل ، ومن هنا نعى القرآن ذلك فقال : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتَوْا ويحبون أن يُحْمَدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

وذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثنى على خيار صحابته أفضل ثناء ، حينما أطلق عليهم تلك الألقاب المجيدة التي صادفت أهلها ولقيت محلها ، فأبو بكر هو الصديق ، وعمر هو الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي باب مدينة العلم ، وخالد سيف الله المسلول ، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة ، وحنظلة غسيل الملائكة ، إلى آخره ..

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ، فيها ذكر للأنبياء وثناء عليهم ، وتصريح بأن ذكرهم الحميد إنما كان لما اتصفوا به من محامد ، وما قاموا به من مآثر ، ففي سورة مريم يقول الله تبارك وتعالى عن إبراهيم : « واذكر في الكتاب إبراهيم ، إنه كان صديقاً نبياً » . ويقول عن موسى : « واذكر في الكتاب انه موسى كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً » . ويقول عن اسمعيل : « واذكر في الكتاب إسماعيل ، إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » . ويقول عن إدريس : « واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً » . وفي سورة ص يقول عن داود « اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيْد [1] » . ويقول عن أيوب : « واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب » . ويقول عن إبراهيم وإسحق ويعقوب : « واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار » . ويقول عن إسماعيل واليسع وذا الكفل : « واذكر إسماعيل واليسع ذي الكفل وكل من الأخيار » . وفي سورة الأحقاف يقول عن هود : « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف » ... الخ .

---

(١) الأيد – بفتح فسكون – : القوة في الدين :

والثناء بحق وصدق على العاملين والمجاهدين فيه تقدير وإنصاف أولا . وفيه ضياء لنفس العامل المجاهد ، وحث له على مواصلة المجهود ثانياً ، وفيه ضرب القدوة وتحريض على التنافس ثالثاً .

• • •

ومن عجيب المصادفات أنني كنت أقرأ عقب هذا الحديث في مجموعة الكلمات التي كتبها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ونشرها السيد محمد رشيد رضا في « تاريخ الإمام » فإذا بي أجد مقالة بعنوان : « المقالة الثالثة عشرة : كم حكمة لله في حب المحمدة الحقة » كتبها الإمام ونشرها في العدد الثاني عشر من جريدة العروة الوثقى في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ — ٣ يونيه سنة ١٨٨٤ م .

وفي هذه المقالة يتحدث الإمام محمد عبده عن كفاح الأمم والشعوب ، وجهاد الأبطال فيها ، وتحملهم للمتاعب ، وصبرهم على المشقات . ويقول : « هكذا تنكشف لطالب المعالي موحشات مدهشات مصاولةُ المخاطر أدناها . والموت الشريف أقصاها وأعلاها ، فتارة يخور عزمه ، ويضعف همه . فينكص على عقبيه ، ويرتد إلى أسوأ حاليه ، ويرتع في مراتع أمثاله ، حتى يروح الى عطنه الاولى به وهو العدم، وتارة يوحي إليه الإلهام الالهي أن الشخص في خاصته ، والامم في هيئاتها ، ونوع الإنسان في مجموعه ، تطالبها صورة الإبداع بأعمال شريفة ، دونها إجهاد الأنفس في السعي وحملها على ما لا تهوى ، ومغالبة الأهوال والغوائل ، وفيما أودع الله الإنسان من القوى العالية ، والخواص السامية . أكبر مساعد على ما تندفع إليه الهمة وتنبعث له العزيمة » .

ثم يتحدث عن الرفعة ، وتبعات المجد ، وتكاليف العظمة الخالدة ، وأن الأمم لا تبلغ غايةَ المجد إلا بجهاد المخلصين الأبطال من رجالها ، ثم يقول بعد ذلك :

« ماذا يريد العانون في خدمة الأمم أو النوع الإنساني . والمنفقون لحياتهم

في أعمال فادحة ، يعود نفعُها على من تجمعه معهم جامعةُ الأمة أو الملة أو يشاركهم في النوع ؟ . أليس قد جعل الله لكل شيء سبباً ؟ . أليس من سنة الله في عباده أن لا تتجه الإرادة البشرية إلى حركة تصدر عن المريد إلا بعد تصور غاية تعود إلى ذاته ، وبعد اليقين أو راجح الظن بأنه يستفيد الغاية من العمل ؟ فإن كان الأجل يذهب في مساورة الآلام . الروحية ، والعمر ينفد في مناهدة الاوصاب البدنية ، فماذا يقصدون من أعمالهم ؟ إن كان يوجد في أبناء جلدتهم وذوي ملتهم من يساعد حوادث الكون على إيلامهم ، وممانعتهم في مقاصدهم ، وصدهم عن السعي فيما يرجع خيره إلى أنفس المعارضين ، ويثخن فيهم جراح اللوم والتقريع والشماتة والتشنيع ، أو يدافعهم بالمكافحة والمنازلة ؛ فما الذي يبتغون من جدهم وكدهم ؟ . لا لذة تجتني ، ولا ألم يتقي ، فما هذا الباعث القوي الذي غلب الأهواءَ ، ولم يضعفه جهد البلاء ؟ » .

ثم يدخل في صميم المراد من موضوعه فيقول :

« نعم أودع الله في الإنسان ميلاً أقوى من كل ميل ، وهو أخص خاصة فيما يمتاز بها عن غيره من الأنواع ، وهو حب المحمدة الحقة ، وحسن الذكر من وجوه الحق . أقول هذا تفادياً من حب المحمدة من أي وجه ، حقاً كان أم باطلا ، وطلب الثناء بالزور والغش والرياء ، والظهور بمظهر الأخيار ، مع تبطن سرائر الأشرار ، فإن هذا من أسوأ الخلال ، وإنما يعرض بعد إعتلال الفطرة وفساد الطبيعة ... المحمدة هي الغذاء الروحاني ، والمقوم النفساني ، وكلما قرب الشخص من الكمال الإنساني تهاون بالشهوات ، وازدرى اللذائذ الحسية ، وقوي فيه الميل إلى المحمدة الباقية ، وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الأعمال ؛ تأمل ؛ إن الفاضل يرى له في هذا العالم أجلين ، أقصاهما الأجل المحدود ، من يوم ولادته إلى نهاية العمر المقدر ، والآخر أبعد من هذا نهاية ، وبدايته عندما ينجم من عمله الصالح أثر لمنفعة تشمل أمته ، أو تعم النوعَ الإنساني . وغاية هذا الأجل عندما يمحى أثرُه من ألواح النفوس وصفحات التاريخ ؛ فللروح الفاضلة وجودان : وجود في بدنها الخاص ، ووجود في جميع الأبدان ، وهو ما يكون بحلولها من كل

روح محلٌ الكرامة والتبجيل . ولا ريب أن هذا الأجل الطويل . وهذا الوجود العريض . خير من ذلك الأجل القصير والوجود الكزٍّ (المنقبض) . وحقيق بالإنسان أن يبيع ما هو أدنى بالذي هو خير » .

وبعد أن يتحدث عن الأمم إذا جحدت فضلَ العاملين . وأن ذلك يؤدي إلى ضعف الهمم وقلة السعي في المصالح العامة . يقول :

« كيف لا تكون المحمدة الحقة نعمةً على النفوس الإنسانية ، يسعى لها الأعلون من بني الإنسان . وقد امتن بها على نبيه فيما يقول : (ورفعنا لك ذكرك) ؟ . وكيف لا تكون حقاً تطالب به الطبيعة . وقد سمح الله لمستحقها بالتحدث بنعم الأعمال الصالحات . كما سوغ ذلك لنبيه في قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) » .

أظن أن في ذلك القدر من الإستشهاد بياناً أي بيان لأن حب الثناء طبيعة الإنسان . فالأصيل يحبه بحق وصدق . والهزيل يرتضيه ولو من طريق البهتان .

ورضوان الله على الأستاذ الإمام الذي كان بحراً في علمه ، وآية في فهمه ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين الشرق والغرب

السؤال : **قيل : إن الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا ، فهل هذا صحيح ؟ .**

الجواب :

نسمع بين الحين والحين كلاماً كثيراً عن الإختلاف بين الشرق والغرب . ولقد قال أحد شعراء الغرب من قبل : « الشرق شرق . والغرب غرب . ولن يلتقيا » .

والإنسان المؤمن بوحدة الله ، ووحدة الكون ، ووحدة النوع الإنساني ، يصعب عليه حين دراسة هذه المسألة بروح المحايدة والإنصاف ، أن يقبل ما يذيعه المغرضون ، أو الجاهلون ، أو المرضى بعقولهم وقلوبهم ، عن التناقض بين الشرق والغرب ، وخاصة فيما يتعلق بسوء ظنهم في الشرق ، وإسراف إعجابهم بالغرب .

إنه يصعب عليه أولاً التسليم بالفصل بين الشرق والغرب ، حتى في التسمية الأصلية ، فأين ينتهي الشرق مثلاً . وأين يبدأ الغرب ، مع أن الكرة الأرضية مستديرة . والشمس تدور حولها ، وكل مكان في الأرض تشرق عليه الشمس وتغرب عنه . فله إذن مشرق ومغرب ؟ .

واللغة تقول : « الشرق هو الشمس وإسفارها . وحيث تشرق » . وقد تعرض القاموس لشرح قوله تعالى عن الزيتونة « لا شرقية ولا غربية » فقال : « أي لا تطلع عليها الشمس عند شروقها فقط ، ولكنها شرقية غربية ، تصيبها الشمس بالغداة والعشي . فهو أنضر لها وأجود لزيتونها » .

بل تفيد كتب اللغة أن الشرق فيه معنى الغرب أيضاً ، فهي تقول : شرقت الشمس دنت للغروب ، وخالط لونها كدرة وحمرة ، وشرق الشيء اختلط ...

وقد جرى العرف بيننا على تسمية أوربا وأمريكا بالغرب ، وتسمية ما عداهما بالشرق ، وهذا عرف لا يرتضيه علماء البلدان والجغرافيا .

ونحن نسمي من زمن بعيد تونس والجزائر ومراكش بلاد المغرب ، فهل هي غربية أكثر من مصر ، أو شرقية أكثر منها ؟ ...

والجغرافيون يضعون خطاً إفتراضياً إصطلاحياً يقسم الكرة الأرضية إلى نصفين ، نصف يسمونه الشرق . ونصف يسمونه الغرب ، وهذا الخط وهمي لا حقيقة له في الواقع والخارج، وما هو إلا مجرد إصطلاح لا يُلزم بشيء . ولسنا ندري مثلاً ماذا يكون شأن البلاد أو البقاع الواقعة على هذا

الخط الوهمي ؟ .. أهي من الشرق أم من الغرب ؟ . أم هي شرقية غربية ؟ . أم هي لا شرقية ولا غربية ! ؟ ..

فأنت ترى أن التسمية في حد ذاتها قابلة للمراجعة والإعتراض ، فالقول باختلاف الشرق عن الغرب وتناقضهما أمر يحتاج إلى نظر ! ! ...

ثم كيف يقال إن الشرق والغرب لن يلتقيا . والكون كون الله ، والأرض أرضه . والقلوب بيده . والعباد هم عباده ، والإنسان هنا هو الإنسان هناك ؟ وما تحدثت الكتب السماوية . ولا الشرائع الدينية . ولا البحوث الإنسانية ، عن الإنسان باعتبار أنه غربي ، أو أنه شرقي ، بل باعتبار أنه مخلوق بشري .. والصلات والروابط بين الشرق والغرب قديمة جداً ، وما قامت دعوة في الشرق فاقتصرت عليه . بل كانت تسير وتسير ، مشرّقة ومغربة ما قدر الله لها أن تعم وتسود ...

وهذا هو الإسلام الحنيف الذي بزغ نوره في مكة المكرمة ، واستفاض في جزيرة العرب الشرقية ... هل جاء ليكون مقصوراً على الشرق دون الغرب ؟ .. وكيف والقرآن يقول لرسول الله عليه الصلاة والسلام : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . ويقول : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » . والرسول نفسه يقول لقومه : « إني لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة » .

وهل اقتصر مجال النشاط والفتح للدعوة الإسلامية على الشرق ؟ .. وكيف وقد انبسطت أضواؤها في الأنحاء والأرجاء ، حتى شملت المشرق والمغرب بهدي السماء ؟ ... وكيف وقد كان لنا نحن المسلمين في الغرب دولة عظيمة باهرة تسمى « الأندلس » ، ولما أضاعتها الفرقةُ والأهواء والتنافس سميناها لجلالها وإزدهارها « الفردوس المفقود » ؟ ! ...

وعن طريق هذا الفردوس المفقود ربط الإسلام والعرب المسلمون بين الشرق والغرب برباط متين ، وقدموا إلى الغرب من الشرق زاداً وحضارة ، ونقلوا من الغرب إلى الشرق أشياء وأشياء ؟ ! ...

وها هم أولاء مؤلفو كتاب (تاريخ العرب) يقولون : « كان لأسبابها

أثر رائع في التاريخ الفكري للعصور الوسطى الأوربية ، فقد كانت الشعوب التي تتكلم العربية منذ القرن الثامن ، حتى أول القرن الثالث عشر ، هم الحملة الرئيسيين لمشاغل الثقافة والمدنية في العالم أجمع ، بل كانت هذه الشعوب فوق ذلك طريقاً تسنّى بوساطته لعلوم القدماء وفلسفتهم أن تعيش وتزدهر . وتعود إلى أوربا بعد أن شُرحت ونمت ، بحيث سهّلت السبيلَ لبزوغ عصر النهضة في غرب أوربا ، وقد ساهمت في هذا كله أسبانيا العربية ولعبت دوراً هاماً » .

ويقول المؤلفون في مكان آخر : « لولا صناعة الورق التي هي من أجل الخدمات التي أسداها الإسلام إلى أوربا لما تم إختراع الآلة الطابعة » .

فإذا تذكرنا بجوار هذا الإرتباطِ العلمي والمعنوي ، الحروبَ والغزوات والإحتلالات والرحلات ، وموجات الهجرة والتجارة ، والإستيطان والإختلاط ، والمصاهرة بين الشرق والغرب على ممر العصور ، عرفنا أنه من الإسراف أن يقال إن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا .. ولست أدري كيف يقال مثل هذا — وخاصة اليوم — ونحن قد ألغينا المسافات والحواجز بين قارات الأرض ، بما توصل إليه العقل البشري من وسائل الإنتقال والإتصال ، كالطائرة والمذياع والبرق واستخدام الأثير والهواء في النقل والتصدير ؟ ! ..

* * *

هناك من يقول إن التناقض بين الشرق والغرب يأتي من أن الغرب كله للمادة ، وأن الشرق كله للروح ، وهذا أيضاً إسراف في الحكم ، فروحانية الشرق لم تمنعه أن يأخذ نصيبه من المادة ، وعظمة القاهرة وبغداد ودمشق والقيروان فيها مظاهر كثيرة للمادة ، وخاصة في العصور المزهرة أيام الرشيد والمأمون وكثير من بني العباس مثلاً ...

والغرب المادي لا يمكن أن يخلو من الروح ، ولو قل نصيبها ... حتى هذا الذي يخترع الآلة المادية الخالصة لا يسهل أن نتصوره دون الدافع الروحي ، وهو على الأقل إيمانه بقيمة ما يعمل ، وثقته من الغاية التي سيصل إليها ، ومن

خلال الدخان المتصاعد من المعامل والمصانع نستطيع أن نسمع همسات الروح والعاطفة والإيمان أحياناً ..

ركب المخترع المشهور « أديسون » سيارةً ذات يوم ، فانطبق بابها على أصبعه . فخلع ظفره ، فربط أصبعه ، فسأله أحد الأصدقاء عما به فقال : « الأمر هيِّن ، لقد خلع ظفر أصبعي ، وهناك غيره آخذ في النمو . وإن العالم ليقول إنني أكبر عالم كيماوي ، وأكبر مخترع ؛ ولكني عاجز عن إيجاد ظفر لإصبعي بإختراعي . أليس ذلك دليلاً على عجز الإنسان مهما أوتى من العلم ؟ أليس هذا هو الفرق بين قدرتنا وقدرة الله » ؟ ... ألا ترى معي أن هذا الجواب من الرجل المادي الآلي فيه جوانب من حركة الروح ؟ ! ... ورحم الله أحمد شوقي حين قال :

أديسون . ماذا ترى في الكهربـاء ؟ أنت في الأرض .فمن ذا في السماء ؟
إن تكـن تحكم في أزرارهـا إنه في يـده زر القضـاء ؟

ومن يدري . لعل بعض أجزاء الشرق اليوم أكثر مادية من الغرب . ولعل بعض أجزاء الغرب أكثر روحانية . ولقد أنشئت كراسي في جامعات الغرب لعلم الأرواح مثلاً . ولم يظهر مثلها في جامعات الشرق .. ومن يدري فقد يكون الغرب أحس بإسرافه في المادية . وضغطت عليه الأشواق إلى الروحانية . فالتفت إليها . طامعاً فيها متطلباً لها . ولعل الشرق أيضاً قد عاف رقدته الطويلة . التي أوهموه خلالها بأنها روحية . فوثب يبحث عن وعاء مادي سليم لتلك الروحانية . ولعل هذا بشير للالتقاء على هدى السماء ! ...

أيتها الكتيبة المؤمنة . إن مسرى آمالك وأهدافك لا يحده شرق ولا غرب . فأنت كالنور يسري في كل مكان ليبدد الظلام . وينشر السلام ، فإلى الأمام ...

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

دقات الساعة

السؤال : ما العبرة التي يستطيع الإنسان أن يأخذها وهو يسمع دقات الساعة ؟ .

الجواب :

ما أكثر الأشياء التي نراها في هذه الحياة . ونظنها تافهة أو قليلة التأثير ، مع أننا لو دققنا النظر فيها لخرجنا بالحكمة وعميق التفكير .

هذه دقات الساعة مثلاً ... إننا نسمع هذه الدقات من الساعات الكبيرة . وهي ترسل رنينها متردداً متجاوباً في اليمين والشمال . فلا نفهم عادة من هذه الدقات إلا أنها تنبيه على مضي وقت وإقبال وقت ، وقد نمد أيدينا إلى ساعات جيوبنا أو أيدينا ، فنتطلع إليها ، ونقرنها على الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط . أو الموضوعة أمام الأنظار ، ونتبين من هذه المقارنة الفرق أو الاتفاق بين ساعاتنا وتلك الساعة الكبيرة . ثم ننصرف عجلين إلى ما يشغلنا من أمور هذه الحياة ، دون أن نفكر في أكثر من هذا . ودون أن نحاول إستخلاص عظة أو عظات من دقات الساعة . مع أننا لو أحسنا التدبر والتفكر في هذه الدقات التي ترتفع كل ساعة من النهار أو الليل . لظهرت لنا عبر وعظات ، فيها تذكرة وبلاغ لقوم يعقلون : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

* * *

تذكرنا دقات الساعة مثلاً بالماضي ، لأنها تعلن إنقضاء وقت ، وهذا الوقت المنقضي قد أصبح في ذمة الله والتاريخ ، وقد مضى بما له وما عليه ، وبخيره وشره ، ولا ندري ما الله صانع فيه ، ومن هنا يجب علينا أن نقف لندرس ونستعرض ونتدبر ، فإن كان الذي مضى خيراً حمدنا الله عليه . وطلبنا المزيد منه ، وإن كان شراً — لا قدّر الله — ندمنا عليه . وصدقنا في العزم على عدم الرجوع إليه . والواقع أن الساعات تمر سريعة متتابعة . وأكثرنا لا يشعر بها ، ولا يحسن استغلالها ، حتى صرنا مغبونين في أوقاتنا وأعمارنا ،

كما أشار إلى ذلك رسولُ الإسلام في بعض توجيهاته . والإنسان قد يستطيل الأيام ، ويغتر بالأمن والفراغ والصحة ، ويظن أنه سيبقى طويلاً ، ولذلك يستطيع أن يعمل كثيراً . ولكن هذا الظن السيء يقود صاحبَه إلى شر المعاطب . فإن عجلة الزمان تظل في سيرها السريع الموصول . حتى يفاجأَ المرء أخيراً بالخاتمة الدنيوية التي تسلمه إلى حساب الله القوي القادر ..

وهل العمر إلا ساعة تتبعها ساعة ؟ . ولأمرٍ ما سمّى الحكيم العليم يومَ القيامة بالساعة ، وأشار في كثير من آيات القرآن المجيد إلى أن « الساعة » تأتي بغتة . وأن الحياة الدنيا قصيرة مهما طال أمدها . فهو سبحانه يقول : « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين » . ويقول : « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون » . ويقول : « أفأمنوا أن تأتيهم غاشيةٌ من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » . ويقول : « ولله غيب السموات والأرض. وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب . إن الله على كل شيء قدير » . ويقول : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون » . ويقول : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار . بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » .

◦ ◦ ◦

ودقات الساعة تذكرنا بالوقت الحاضر ، لأنها تعلن ابتداء وقت ، والمؤمن ابن وقته . ولك الساعة التي أنت فيها . والوقت كالسيف . إن لم تقطعه قطعك، ولليوم عمل إذا أخرته إلى الغد لم تضمن بقاءك إلى هذا الغد ؛ وإن بقيت فأنت لا تضمن القيام بواجبين في وقت واحد .

وإذا فيجب على العاقل اللبيب حينما يسمع دقات الساعة أن يقول لنفسه : هذا وقت جديد يقبل . فماذا أعددت له ؟ وهذه الفرصة إذا لم أُحسن

اغتنامها إنقلبت غصة ؛ وبهذا التذكر يحارب الإنسان في نفسه عواملَ الكسل والخمود ، ويوقظ فيها دوافعَ الحركة والعمل . وخيرُ الناس من أخذ من يومه لغده كما يوجهنا رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام .

ودقات الساعة تذكرنا بالمستقبل . لأنها تعلن إقبال وقت طويل أو قصير بعد انتهائها ، فماذا أعددنا لهذا المستقبل ؟ . وماذا نفذنا من مقتضى ذلك الأثر الإسلامي البليغ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً . واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ؟ » . وماذا هيأنا لذلك الغد المبهم المحجب من حصون الإيمان والثقة ، وحسن الظن بالله الرحمن الرحيم الذي له ملك السموات والأرض ؟ ..

* * *

حقاً ، ما أبلغ العظات والتذكرات التي تعظنا بها الساعة ، وتذكرنا بها دقات الساعة !!

لقد قال الشاعر الحكيم :

دقاتُ قلب المرء قائلة لــــه : إن الحياة دقائق وثوانــــي

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثانــــي

ودقات الساعة الكبيرة أعلى من دقات القلب وأوسع رنيناً . وهي لذلك أشد في أذن الإنسان وعقله تأثيراً . فليذكر كل عاقل حينما يسمع دقات الساعة أنها وداع للماضي ، وإستقبال للحاضر ، وإستعداد للمستقبل ؛ ولا خير إلا فيمن يحمد ماضيه ، ويحسن العمل في حاضره ، ويجيد الإستعداد لمستقبله : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القضاء والقدر

السؤال : **يقال إن من عيوب المسلمين إيمانهم بالقضاء والقدر ، فما رأيكم في ذلك ؟ .**

الجواب :

أكاد أقرر أن سوء فهم الكثيرين من المسلمين لمسألة القضاء والقدر كان سبباً في تعويقهم عن بلوغ مراتب يريد الإسلام لهم أن يبلغوها . ومرت بالمسلمين أوقات مظلمة ، كانت عقولهم خلالها تخدّر في الأوساط العامة بما يقدّم إليهم على أيدي المحرفين للإسلام أو المتاجرين به . لكي يقطع المسلمون آمالهم من الدنيا . ويحصروا مطامحهم في الدار الآخرة . مع أن الإسلام دين دنيا وآخرة . فهو يدعو إلى تعمير الدنيا . وهو يجعل الدنيا القوية العامرة قنطرة الآخرة . ولا يعبر الإنسان جسراً أو نهراً إلا على قنطرة وثق من ثباتها وإستقرارها .

والحديث عن مشكلة القضاء والقدر أمر قديم مأثور منذ أبعد العصور ، ويخيّل إليّ أن أعراضاً لهذا الداء قد إنتقلت إلى وسطنا الإسلامي من الوسط المسيحي . ويلاحظ أن أكثر ما يدور الحديث عن القضاء والقدر ، يكون أبّان العجز عن تحقيق مطلب . أو الفشل في بلوغ مأرب . أو الوقوع في أزمة . أو التعرض لمحنة أو لمشكلة يعجز الإنسان عن حلها أما في أوقات الإنتاج والنجاح ومواصلة السير والعمل مع التوفيق فيه والنيل منه فلا متسع لهذا الحديث ، لأن العمل يشغل صاحبه عن استهلاك وقته في فارغ الجدل . ولأن النجاح يجر إلى نجاح مثله كما يقولون ، ولذلك لا تثار مشكلة القضاء والقدر إلا حين يتبطل أهلوها ، أو يتعطلوا . أو يراد لهم أن يبعدوا عن مجالات الحياة الدائبة والعمل المثمر .

وتستعمل في هذا الباب ثلاثة ألفاظ هي : التواكل . والتوكل . والإتكال. فالتوكل كما يعرفه العلماء هو الثقة بما عند الله . واليأس مما في أيدي الناس ،

والتواكل هو أن يضع كل فرد حمله على كتف سواه ، والإتكال – في الإستعمال العرفي – يفيد معنى الإعتماد على الغير ، والتخلي عن النهوض بالتبعات .

ولأن الصراط المستقيم الذي يحقق معنى التوكل يقع على حافتيه إعوجاج الإتكال بمعناه العرفي ، وإنحراف التواكل ، نجد أن الأمر يختلط كثيراً على عامة الناس ، فيخرجون عن صراط التوكل إلى منحنيات التواكل والإتكال ، ولو استقاموا على طريقة التوكل وصراطه لوثقوا بربهم ، وبذلوا غاية جهدهم ، وآمنوا بأن من ورائهم رباً يهديهم ، ويعينهم ، ويحصي عليهم .

وخلاصة مسألة القضاء والقدر أنها تصوير لإحاطة علم الله ، وشمول قدرته ، ودقة تقديره ، وسمو حكمته ، فهو الذي يعلم كل شيء ، حتى دبيب النملة السوداء ، في الليلة الظلماء ، في باطن الصخرة الصماء : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » . ولكن هؤلاء المتاجرين الذين أشرت إليهم أخذوا يعللون مظاهرَ الضعف والخطأ والتحلل بالتعبير المأثور : « وضع العباد فيما أراد » . وقد وضع الله العبادَ حقاً فيما أراده لهم ، فوهبهم عقولاً وحواس ، وطاقات وكسباً ، وتمييزاً بين الخير والشر ، وما دام في الإنسان هذه الهبات المحسوسة ، ويقدر على استعمالها ، فهو مسئول بمقتضى العقل مع نصوص الشرع عن نتيجة إستخدامها : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

وخير ما يصور حقيقةَ التوكل هو قول الرسول : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً (جائعة) وتروح بطاناً (ممتلئة) » . والطير لا تتواكل ، بل تطير وتبحث وتجمع ، وهي مسخّرة بقدرة الله ، ولذلك أفهم أن التوكل الحق على الله هو إندفاع مؤمن قوي ، وإقبال حازم عاقل ، وعمل بصير رشيد ، وتقلب في مجالات الخير والبر ، وإرتفاع في مدارج السمو والعلو ، مع الإيمان الجازم بأننا لسنا وحدنا ، بل من

ورائنا عناية الله ، ولسنا نسعى بجهدنا وحده ، بل من بعده ومن فوقنا يد الله ..
وعلى الله قصد السبيل . والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حول الشفاعة

السؤال : **ما معنى الشفاعة ؟ وكيف تكون ؟ وهل تتفق مع مسئولية الانسان عن عمله ؟ .**

الجواب :

الشفاعة كلمة مأخوذة من مادة شفع . وهي تدل على المقارنة بين شيئين ، ولذلك كانت كلمة الشّفْع مقابلةً لكلمة الوتر بمعنى الواحد ، وهي تستعمل في دفع الشر ، أو في جلب الخير ، أو زيادة الأجر ، وفي بعض الأحيان تستعمل بمعنى العداوة . فشفع فلان لي بمعنى عاونني على دفع شر أو جلب خير . وفلان يشفع لي بالعداوة أي يعين على معاداتي . وعلماء المسلمين متفقون على أن الشفاعة لا تجوز للكافر . لأن الله تعالى يقول : « إن الله لا يغفر أن يُشرك به . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وهم متفقون أيضاً على أن الشفاعة لا تكون إلا باذن من الله العليم الحكيم ، وبرضا منه ، ولمن يختاره لهذه الشفاعة . ومتفقون أيضاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة يوم القيامة ، وإن اختلفوا في تصوير كيفية هذه الشفاعة . كما اختلفوا فيمن يستحق هذه الشفاعة . ويُجمع المسلمون في أدعيتهم على قولهم : « اللهم اجعلنا من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم » .

ثم يفترق العلماء بعد ذلك . فطائفة منهم تقول : إن الشفاعة تكون للمستحقين للثواب لرفع درجاتهم ، وليست لأهل الكبائر أو المآثم . وهذه الشفاعة تكون بمعنى رجاء زيادة الدرجة ورفع المكانة عند الله . للذين يستحقون هذا التكريم من الله تعالى . وفريق يقول : إن الشفاعة تكون لمن يرتكب الكبيرة

من أهل التوحيد ومن أهل القبلة ، لأن هؤلاء يدخلون في عداد المؤمنين ، الذين قد يستحقون أن يغفر الله لهم . ويتجاوز عن سيئاتهم . وهناك بعض العلماء يذهب إلى إنكار الشفاعة . لأنها تتعارض مع قاعدة العمل والجزاء عليه ، ولأنهم يقولون : إن الشفاعة تتعارض مع مقتضى العدل المطلق . وهذا التغيير لا يتناسب مع عدل الله أعدل العادلين . ويجيء هذا القول من قياس الشفاعة عند الله بالشفاعة التي تجري بين الناس . والمفهوم أن الذي يثبت الشفاعة بوضوح هو طائفة من الأحاديث النبوية التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضها وجيز في عبارته ، وبعضها مبسوط في العبارة . ومن بين هذه الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ، والحديث الآخر : « ادخرت دعوتي فجعلتها شفاعة لأمتي يوم القيامة » أو ما معناه ذلك . وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنه قد ذكر الشفاعة في عدة آيات ، لعلها تبلغ خمساً وعشرين آية . وعندما ينظر الإنسان في هذه الآيات يجدها تنقسم إلى ثلاثة أنواع : قسم منها يذكر الشفاعة بمعنى وجودها وثبوتها دون أن تكون مشروطة أو ممتنعة ، كقوله تعالى : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها . ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها » . وبعض المفسرين يفسر الشفاعة هنا على أنها المعاونة في باب الخير أو في باب الشر ، فمن عاون إنساناً على عمل الخير كان له نصيب من أجر هذا العمل الطيب ، ومن عاون إنساناً على عمل شر كان عليه حمل من وزر هذا العمل السيء .

هذا هو النوع الأول من الآيات التي ذكرت الشفاعة ، قد ذكرتها على أنها موجودة ، وعلى أنها غير مشروطة .

القسم الثاني : آيات وردت في القرآن الكريم وذكرت الشفاعة ، ولكنها ذكرتها مشروطة بشرط الإذن من الله ، والإرتضاء من الله كقوله تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » . وقوله « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن » . إلخ .

القسم الثالث : من الآيات المتعلقة بذكر الشفاعة آيات تنفي الشفاعة ،

ونلاحظ أن هذه الآيات التي تنفي الشفاعة تتعلق في أغلبها بالكافرين ، أو بما يظنونه أهلاً للشفاعة كالأصنام أو المعبودات التي إتخذوها من دون الله سبحانه وتعالى ، كقوله تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » ، وقوله : « ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع » . وهذا النوع هو أكثر الآيات التي وردت في القرآن الكريم بخصوص الشفاعة » .

هذا هو شأن الشفاعة من ناحية معناها اللغوي . ومعناها الشرعي . ومن ناحية ذكر السنة الشريفة لها . وذكر القرآن الكريم لها .

* * *

ثم ننظر إلى عوام المسلمين فنجد أنهم في الواقع يسيئون فهم هذه الشفاعة ، ويظنون أن الباب فيها مفتوح على مصراعيه . فيتكلون على هذه الشفاعة . فيأتون من الأعمال السيئة أو من المنكرات والآثام ما يأتون . متكلين على أن هناك شفاعة . وعلى أن أمة محمد بخير . وعلى أن الله غفور رحيم . دون أن يلاحظوا الإعتبارات الأخرى التي يجب أن تحاط بها المغفرة . أو أن تُقرن بها هذه الشفاعة .. والرأي فيما يخيل إليّ هو أن الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى تكون لقوم قد قاربوا النجاة ، ولكن خطوات لهم تعثرت عند هذه المرحلة أو تلك ، فهم بحاجة إلى الرحمة والرأفة . أو هم أشبه بالتلاميذ الذين يحتاجون إلى بعض درجات الجبر والرأفة في الإمتحان . فيتقدم من هو أهل للشفاعة كالنبي صلى الله عليه وسلم — أو غيره من المقربين في بعض الآراء — ليسأل الله داعياً ، وراجياً أن يتجاوز بفضله ورحمته عن خطيئة هؤلاء . ليلحقهم بالصالحين المرضي عنهم من عباده . ويدخلهم في جنته . وأفهم كذلك أن الشفاعة نوع من التكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . والإظهار لفضله . والتقدير لجهوده التي بذلها في سبيل أمته ، فهو يأتي في مناسبة مشهودة كالموقف الأكبر . الذي فيه تكريم للفائزين . وعقاب للمسيئين . فيرجو اللهَ سبحانه وتعالى ، وهو نبيه وحبيبه ورسوله . لكي يعفو ويتجاوز بفضله عن طائفة من أبناء أمته الذين يستحقون مثل هذا التجاوز وهذه الرحمة . ويقرب هذا التجاوز وهذه الرحمة . إذا شبهناها — للتقريب — بأعمال الدنيا . مما يحدث

في المناسبات القومية العامة . التي يأتي رئيس الدولة فيها فيفرج عن بعض المسجونين الذين ثبتت صلاحيتهم خلال مدة سجنهم ، ولله المثل الأعلى في ذلك . ثم إن هذا لا يمنعنا من أن نقول إن الأساس في الآخرة إنما يعود إلى العمل . وإلى الإستقامة على الصراط . لأن الله سبحانه وتعالى يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإسلام والأديان السماوية

السؤال : **ما موقف الإسلام من الأديان السماوية ؟ .**

الجواب :

نحن المسلمين نؤمن بأن الأديان السماوية كلها على أصلها من عند الله . ويجب على أبنائها أن يتلاقوا جميعاً على كلمة سواء ، ولكن العصبية الدينية كان لها دخل كبير خلال عصور التاريخ في توسعة حدة الخلاف بين أبناء هذه الأديان ، والإسلام بحكم أنه قد جاء أخيراً ومكملاً قد قرر أن من أصول الإسلام الإيمان والتصديق بالأديان السماوية كلها وبالرسل جميعها . وذلك بخلاف الأديان الأخرى ، فإنها لم يعترف أبناؤها بالإسلام ولم يتقبلوه ، فبينما يعترف المسلمون بموسى نبياً ورسولاً ، وبعيسى نبياً ورسولاً ، لا يعترف أبناء اليهودية والنصرانية بمحمد نبياً ورسولاً .

وقد استغل بعض الحكام وأصحاب النية السيئة هذه الخلافات خلال عصور التاريخ ، فأججوا نيران عداوات دينية واسعة ، ولكن هذه العصبية العتيقة قد أخذت تخف وتقترب من الإعتدال ، بحكم الدراسات الدينية الواسعة

والمخلصة ، والإسلام صريح في الحكم على نسخ الكتب المنسوبة إلى الله ، فأنها قد نالها التحريف والتبديل ، والحذف والزيادة ، وهذا شيء طبيعي . لأن تطاول الزمن . مع كثرة الإختلاق والإفتراء ، ومع الرغبة في إستغلال الدين لأكل الدنيا ، يؤدي إلى ذلك ، والأناجيل بأيدي أصحابها هي بإقرارها نفسها ليست كتباً سماوية ، بل هي تلخيص لحياة السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ولجانب من أقواله ، ولكن نص القرآن متواتر ، لم ينله تحريف أو تغيير . وهذه إحدى خصائصه التي إعترف بها أبناؤه وأعداؤه .

وكلما بعدت نسخة الإنجيل عن التحيز إقتربت من منطوق القرآن ومفهومه . كما جاء في إنجيل برنابا .

وأحب أن أقول : إن النواحي الأخلاقية في الأديان السماوية الثلاثة التي يدين بها العالم اليوم في أغلبيته تتقارب إن لم تتوافق ، ومن واجب المخلصين من أبناء هذه الأديان الثلاثة أن يتخذوا من توافق هذه النواحي مفتاحاً للتلاقي على الكلمة السواء ، التي نرجو إذا صدقوا النية وأخلصوها وصلوا إلى دين الله الحق القويم الدائم ، الذي نزل على محمد . ونطق به التنزيل قاصداً جميع شرائعه : « إن الدين عند الله الإسلام » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

ما هي السعادة ؟ ! ..

السؤال : **اختلف الناس في تحديد السعادة ، فما رأيكم فيها ؟ .**

الجواب :

السعادة أجمل أمل في الحياة يداعب خيال كل إنسان ، وقد فتش الناس عن السعادة في كل زمان وكل مكان ، ومنهم من وجدها من غير شك ؛

وإن كانت هؤلاء السعداء قلةً في أغلب الأحوال ، ومنهم من قتله سوء الظن وغلبه الهم . فقضى حياته كلها وهو يحسب أنه شقي محروم ، مع أن السعادة كانت بين يديه ، وفي مواطىء قدميه ، وأمام عينيه . ولكنه كان من الغافلين ، وقد دار خلاف كبير ونقاش عنيف حول السعادة ، وتباينَ الناس في تقديرها وتعريفها تبايناً ظاهراً ، حتى قال الشاعر المعاصر يصف ذلك الإختلاف :

قلتُ : السعادة في المنى . فرددتني	وزعمتَ أن المرء آفتــه المــنى
ورأيتُ في ظل الغنى تمثالهـــــا	ورأيتَ أن البؤس في ظل الغنى
مالي أقول بأنهــا قد تُقتـــنى	فتقول أنت بأنهــا لا تقتـــنى
وأقول : إن خُلقت فقد خلقت لنا	فتقول : إن خُلقت فلم تخلق لنا
وأقول : إني مؤمن بوجودهــا	فتقول : ما أحراك أن لا تؤمنا
وأقول : سرٌّ سوف يعلَن في غد	فتقول : لا سرٌّ هناك ولا هنا !
يا صحبي ، هـذا حوار باطــل	لا أنت أدركت الصواب ،ولا أنا !

* * *

ويستطيع الإنسان إذا تحرر من الهوى الجامح والخيال الكاذب والوهم المسرف ، وعلم أن الحياة ليست خيراً صرفاً ، وإنما هي مزيج من الخير والشر ، والحركة والسكون ، والراحة والتعب ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، وبضدها تتميز الأشياء : يستطيع الإنسان إذا عرف هذا أن يعرف طريقَ السعادة ، وأن يسعى إليها . ومن الممكن أن يبلغها . ويتمتع بها . وخاصة إذا أدرك بوضوح أنه لا يوجد في الدنيا كائن خاص متميز يسمى « السعادة » . فلا الدور ولا القصور ولا المال ، ولا غير ذلك من أعراض الحياة ، بممثل للسعادة في ذاتها وصميم حقيقتها ، ولكن الإنسان يستطيع أن يعرِّف السعادة بأنها « عدم الشقاء » ، فاذا أصيب الإنسان بمرض عضال . وأحس بشديد وطأته وثقل نزلته . وأخذ يتلمس أسباب العلاج ووسائل الشفاء ، ثم نشط من عقال المرض . واسترد صحته وعافيته . ذاق لوناً من ألوان الراحة بعد التعب . والسعادة بعد الشقاء . وإذا نزلت بالإنسان ضائقة

أقلقت خاطره وقلبت كيانه . ثم أخذ يجاهدها ويغالبها حتى تغلب عليها وقهرها ، واسترد مكانته الطبيعية الهادئة التي كان فيها . فذلك أيضاً لون من ألوان السعادة ، وإذا كان أمام الإنسان هدف من الأهداف . يسعى إليه . ويحاول بلوغه ، لأنه سيجد عنده تحقيقَ أمنيته وتصديق رجائه . ثم بذل من وقته وماله وأعصابه وعرقه وفكره ما بذل ، وسهر الليل الطويل . وأفنى في العمل النهارَ الثقيل . ثم بلغ ذلك الهدف ، أحس براحة وطمأنينة . وبهجة تشيع في جسمه وروحه . فذلك أيضاً نوع من أنواع السعادة . وهكذا كلما تجنب الإنسان نازلةً من النوازل . أو تغلب على صعوبة من الصعوبات . أو قهر أزمة من الأزمات ، أو هزم بادرة من بوادر الشقاء . تحقق له جانب من السعادة !! ..

وإعتقادي أن السعادة أيضاً تتحقق بوضوح وجلاء في « أداء الواجب » . فإن لأداء الواجب نشوةً حسية . ولذة روحية لا يدركها إلا من اعتنق في الحياة مبدأً وجاهد من أجله . أو آمن بواجبٍ من الواجبات . وأفلح في أدائه على الوجه المرضي ...

ولقد يعرضك أداءُ الواجبات لمتاعب حسية ومادية كثيرة . ولكنك تستهين بها . وأحياناً تستلذها . لأن هدوء نفسك . وطمأنينة قلبك . وإستقرار روحك وسمو عاطفتك . حينما تنهض بما اعتقدت أنه الواجب . ينسيك كل هذه المتاعب . وينقلك إلى رياض السعادة الغناء . فحاول أن تتخلص في حكمة من همومك . وأن تؤدي بصبر واجبك . تكن من السعداء !! ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ما الحياة ؟

السؤال : ما هي الحياة ؟ وما فلسفتها ؟ .

الجواب :

هذه الحياة التي نحياها ، ونضطرب في أرجائها الواسعة ، ونسعى في مناكبها الفسيحة ، ويأتي إليها منا مَنْ يأتي ، ويرحل عنها من يرحل ... ما هي ، وما فلسفتها ؟ ... وما شأنها معنا ؟ وما هي رسالتنا نحن فيها ؟ .. هذا سؤال مردد من قديم الآماد ، وسيبقى مردداً باقياً إلى خالد الآباد ، وسيجيب عنه الناس بألوان من الجواب ، قد تكون خطأً ، وقد تكون صواباً ، لن يجرؤ واحد على الجزم اليقيني بأن هذا الجواب مثلاً أو ذلك هو عين الصواب ، فما نحن في الكون العريض الوسيع إلا أسماك صغيرة ، قد تنال بعض الخير في المحيط الكبير ، ولكنها لا تبلغ القاع أو الساحل ، إلا إذا هداها مبدع الكون وخالقُ الحياة ! ..

لقد أراد الفيلسوف المعروف « شوبنهاور » أن يلخص فلسفة الحياة في كلمة فقال : « إن الحياة إرادة » .. قال ذلك فأصاب ، ولكنه لم يبلغ ... ثم أراد الفيلسوف الألماني « نيتشه » مثل ذلك فقال : « الحياة هي القوة » ... فأرضى قوماً وخالف آخرين .. ثم أراد الفيلسوف الإسلامي أبو حامد الغزالي أن يلخص فلسفة الحياة فكان أوضح منهما ، وأسبق إلى تصوير الحياة ، في معنى أعم وأشمل وأقرب إلى القبول ، فقال : « الحياة محبة وعبادة » ! ..

الحياة محبة ، والمحبة تقتضي الإرادة ، وتقتضي أشياء أخرى فوقها ، من التداني والتآلف والتعاون والتناصر والإتحاد ؛ والحياة عبادة ، والعبادة تنبني على القوة ؛ القوة المادية التي تجعل المرء صالحاً للسعي الكريم في الأرض ، والعمل الصالح من أجل الفرد والمجموع ؛ وذلك في نظر البصراء من صميم العبادة ، والقوة الروحية والمعنوية التي تهيىء للمرء أن يدرك ما في الكون من نعم ومتع وآيات ؛ فيدرك بذلك جمال المبدع وجلال الخالق فيعبده ويقدسه ! ..

إذن يجب لكي نكون أحياء في نظر حجة الإسلام الغزالي . من أن نتعاطف ونتدانى ، ونتحاب، ونتآلف ، وأن نتجه قادرين إلى رحاب من وهبنا هذه القوة ، فنجله ونشكره ونعبده ! ..

ثم قد تسألني : وما رأيك أنت في الحياة ، ورسالتها مع الناس ، ورسالتنا نحن فيها ؟ .. فأقول لك : الحياة هي أن تحس أنك من الأحياء ! ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

افلاس الرجولية

السؤال : **ما كلمة الإسلام في الذين يقدمون على جريمة الانتحار ؟ .**

الجواب :

« الرجولية » كلمة تدل على توافر جملة صفات ، يصير بها الإنسان رجلاً ، ويستحق عندها أن يذكر في صف الرجال أصحاب المكانة والمنزلة ، وقد عنى الإسلام العناية كلها بتحقيق هذه الرجولية في الإنسان . عن طريق تعليمه الصبر والحلم والثبات والحكمة . ولذلك رأينا الصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يهزأون بالخطوب . ولا تهزأ الخطوب بهم ، ويثبتون في الأهوال ثبات الجبال . فلا تذهلهم نازلة . ولا تخرجهم عن رشادهم كارثة . بل يحسنون التصرف والإحتيال ، في مواقف البأس والهول والصيال .

ولقد كان من هتافهم في الأزمات أن يقولوا : « الغمرات ثم ينجلينا » . أي تُقبل الشدائد ، فنلقاها بالصبر الجميل والعزم الحديد . فلا تلبث فينا طويلاً . بل تنجلي وتزول !

ولكن يظهر أن الكثيرين من المنتسبين إلى هذه الحياة قد بدأوا يفقدون هذه الرجولية ، ويتنكرون لتلك المبادىء ، حتى صار من إنحراف الحكم أن يدخلوا في زمرة هؤلاء الأماجد الحكماء من السابقين ، ومن دلائل ذلك ما صار من شأن الإنتحار بين هؤلاء الأخلاف المتأخرين .

لقد كثرت في الأيام الأخيرة حوادثُ الإنتحار والإعتداء على الذات كثرةً رهيبة منكرة ، تنذر بالويل والثبور ، وتنبىء بالنكبات والشرور ؛ ولقد هال السمعَ والبصر والفؤاد ذلك التهالك الفظيع على التخلص من الحياة ، في مواقف لا ينال المرء بها كرامة ، ولا يرجو عليها مثوبة .

وليس لذلك الإجرام البليغ من تفسير إلا أنه إفلاس في الرجولية ، وخيبة شنيعة في إثبات الذات ومواجهة الحياة ومباراة الأحياء ، ولو أنك استعرضت الأسباب التي ينتحر من أجلها هؤلاء ، لاستبد بك العجب ، فهي أسباب عارضة تافهة ، يمكن الطبُ لها ، والتصرف فيها بقليل الصبر ومحدود الذكاء ، فهذا زوج يشعل النار في نفسه ، لأن زوجته غضبت منه ، وتركت له طفلين ، ورجل ينتحر لأنه اختلف مع زوجته على نفقات العيد ، وشاب يقتل نفسه رمياً بالرصاص لأنه لا يحب الإشتغال بالفلاحة ، وشاب يغرق نفسه لأن زميلاً له أسمعه كلمة نابية ، وثري يقتل نفسه لأن المرض قد طال عليه ، ورجل يحرق نفسَه بالنفط لأنه أحب امرأة أحبت سواه ، وطالب ينتحر لأنه رسب في الإمتحان ، فأزاد أن يوفر على أسرته نفقات تعليمه ؛ إلى آخر ما هناك من هذه الأسباب السخيفة التافهة ، التي لا يُعذر فيها المرء ، ولا يستساغ منه عندها حجة ، إذا افترضنا أن هناك حجة يمكن أن يتعلل بها الخائب اليائس المطرود من رحمة الله .

ومن أعجب العجب أن يهب الله للمرء عقلاً ، ويهيء أمامه وسيلة ، ويفتق له حيلة ، وييسر له السبيل ، ثم يُغفل المرء هذا كله ، ويرتضي القنوط الأثيم شرعة ومنهاجاً ، مع أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ،

فيزهق زوحه بيده ، ثم يلقي التبعةَ على الأقدار ، وهي مما جنت يده بريئة
ومن قبل قال شوقي في جريمة الإنتحار :

قال ناس : صرعةٌ من قدر وقديماً ظلم النـاسُ القـدرْ
ويقول الطب : بل من جنـة ورأيت العنقَ في الناس نـدر

• • •

والإسلام الحنيف يشدد النكير على جريمة الإنتحار . ويتوعد عليها بأشد العذاب ، وبالخلود في أليم العقاب . لأن الإنسان بنيان الرحمن . ملعون من هدم بنيانه ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » . ويقول : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « كان ممن كان قبلكم رجل به جرح ، فجزع فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده . فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : « بادرني عبدي بنفسه . حرَّمت عليه الجنة » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها (يضرب بها) في بطنه في نار جهنم ، خالداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه (يشربه) في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردٍ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » .

بل حكم الرسول عليه الصلاة والسلام على المنتحر بأنه من أهل النار ، ولو جاهد في الميدان باسم الإسلام فأتقن الجهاد . روت كتب الحديث والسيرة أن رجلاً اسمه « قزمان » كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن ادعى الإسلام ، واشترك مع المسلمين في غزوة أحد ، وكان الرجل كلما ادعى الإسلام وذكروا ذلك للنبي قال : « إنه من أهل النار » فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالا شديداً ، حتى قتل وحده ثمانيةً أو سبعة من المشركين ، وكان في القتال ذا بأس وإقدام . وأصابته جراح في تلك الغزوة ، حتى حملوه

من المعركة ، فجعل ناس يقولون للرسول صلوات الله وسلامه عليه : يا رسول الله ، هذا الذي قلت آنفاً إنه من أهل النار قد قاتل قتالاً شديداً ، فقال الرسول : « إلى النار » ! . حتى كاد بعض المسلمين أن يرتاب ....

ولكن جاء فصل الخطاب بعد قليل ، فقد جعل رجال من المسلمين يقولون لقزمان وهو جريح : « والله لقد أبليتَ اليوم يا قزمان فأبشر » . فقال قزمان : « بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي . ولولا ذلك لما قاتلت » .

وكانت جراحة قزمان شديدة ، فلما جاء الليل لم يصبر على الجراح ، فأخذ طرفَ سيفه فاعتمد عليه ، ومال فوقه فقتل نفسه ، وبلغ الخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « الله أكبر ، أشهد أني عبدالله ورسوله » . ثم أمر النبي بلالاً أن ينادي في الناس ويقول : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله تعالى ليؤيد هذا الدينَ بالرجل الفاجر » .

وأخرج أبو داود من حديث جابر بن سمرة قال : أخبر النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه فقال النبي : لا أصلي عليه ! ! .

وإنما كان ذلك التشديد لأن المنتحر فوق يأسه وقنوطه ، أراد أن يشارك ربه في ملكه الخاص به ، الذي لا يتصرف فيه سواه ، وذلك الملك هو نفس الإنسان التي عرفنا من حديث الرسول أنها بنيان الرحمن :

قاتلُ النفس ولو كانت لــه ... أسخطَ الله ولم يرض البشرْ
ساحة العيش إلى الله الــذي ... جعل الوِرْد بـاذن والصَّدَر
لا تموت النفس إلا باسمــه ... قام بالموت عليها وقهــر
إنما يسمح بالروع الفــتى ... ساعة الروع إذا القوم اشتجر
فهناك الأجر والفخــر معــاً ... من يعشْ يُحمد ، ومن مات أُجر

* * *

أفما آن لهؤلاء الفارين من ميدان الحياة ، فرارَ المنهزمين الجبناء أن يرعووا ، فيذكروا حقيقة اساسية ، هي انهم لا يملكون انفسهم ، ولا يسيطرون على ذواتهم ، وإنما هي ودائع وأمانات ، يحاسَبون على صيانتها ورعايتها . ويعاقَبون على إتلافها وإهدارها .

أفما آن لهم أن يلقوا الحياةَ لقاءَ المجاهدين الصابرين ، فيلقاهم الموت في ساحات الشرف والكرامة ، لا في مباءات الصغار والهوان ؟ ! .

نَشَأَ الخير رويداً .. قتلكم — في الصبا النفسَ ضلالٌ وخُسُرْ
فيم تجنون على آبائكم — ألمَ الثكل شديداً في الكبر
وتعقون بلاداً لم تزل — بين إشفاق عليكم وحذر
ليس يدري أحد منكم بما — كان يعطي لو تأنى وانتظر

كما أنه من واجب المربين والمرشدين أن يخصوا هذه الجريمة بعناية خاصة في مكافحتها ، فيحذروا منها ، ويجتثوا من الصدور أصولها وجذورها . ويجنبوا الوطن هذا الشيطانَ الخبيث اللعين ، الذي يفجع البلاد والعباد في حيوات أناس كان من الممكن أن يطول النفع منهم للبلاد والعباد ..

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

تميع الشباب

السؤال : **دأب بعض الشباب أخيرا على إطالة شعورهم وسوالفهم ، وتغيير نوعيات ملابسهم ، وتبديل كلامهم . أيدخل ذلك في عداد التغيير العام للمجتمع الإنساني ، ومجاراة تطور العصر ، أم أن ذلك راجع إلى ضعف خلقي ونقص في التربية الدينية ؟**

الجواب :

فزع أهل التربية والأخلاق . من تلك الظاهرة الخطيرة التي أخذت تسري

بين الشباب سريان الوباء . وهي ظاهرة التمرد على كريم العادات والتقاليد ، وسليم العرف الإجتماعي . والجنوح إلى التميع والتحلل . مما يسمونه «الخنفسة» أو غير ذلك من الأسماء ، والشباب هم معقد الأمل وموطن الرجاء .

ولو أن الأمر إقتصر عند هؤلاء الجانحين من الشباب على إطالة الشعر . لكان الخطب سهلاً يسيراً ، ولكنهم يأتون طائفة من الأعمال تجتمع فتسيء إلى صورتهم وسلوكهم وأخلاقهم . فهم يطيلون الشعر أولاً « يسرحونه » كما يفعل النساء ، ثم يرتدون القمصان الملونة المشجرة الصارخة الألوان المألوفة عند المتزينات المتبرجات من النساء ، ثم يلبسون سراويل (بنطلونات) ضيقة تلاصق أفخاذهم وسيقانهم بصورة مجسمة لأعضاء الجسم وأطرافه ، لافتة للأنظار . ثم يعلقون في رقابهم وأيديهم وأصابعهم سلاسل ذهبية أو أسورة أو خواتم أو ما أشبه ذلك من أدوات الزينة التي ألفنا إقتصارها على النساء .

ثم يتعمدون التحدث بأصوات ناعمة متكسرة ، كأنها أصوات فتيات أو نساء ، ثم يتثنون في المشية ويتخلعون فيها كأنهم سكارى . أو كأنهم بنات يعرضن جمالهن وفتنتهن ، ثم يضمون إلى ذلك كبرى السيئات وهي نزعة التميع النفسي والتحلل الخلقي . حتى صار من العسير في كثير من الأحيان أن تفرق بين الفتاة والفتى ، بين هؤلاء الذين فقدوا فتوتهم وأضاعوا رجولتهم ، وظهروا بهذه المظاهر التي تؤلم كل غيور على الشباب وعلى الأخلاق .

ليس هذا تطوراً ، اللهم إلا إن كان تطوراً إلى الأسفل وإلى الحضيض . وليس هذا تقدماً ، لأن التقدم لا يكون في التمرد على الآداب والأخلاق والعادات الكريمة والتقاليد السليمة ، وإنما يكون التقدم في العلم والمعرفة والإبتكار والبناء والتعمير .

وينبغي أن نتذكر أن هذه « الخنفسة » تدل على ضياع وقلق وإضطراب عند أصحابها ، وهي تستلزم علاجاً وتوجيهاً ، والعلاج لا يكون بقسوة النقد أو شدة الذم ، فهؤلاء الشباب هم أولادنا وأكبادنا ، ومن الخير أن نكسب صداقتهم لا عداوتهم ، وأن نحسن التودد إليهم . لنبين لهم أخطاءهم ، ولقد

أدركت بكثرة التجربة أننا حين نتودد إلى الشباب ، ونحترم شخصيته ، ونحاوره فيما فعل أو يفعل ، نجد إستجابة وتعاوناً .

من واجبنا أن نفهم هؤلاء الشباب بالحوار الهادىء المتزن أن أعمالهم هذه ناشئة عن تقليد أعمى للشباب في الغرب ، وعن متابعة غير لائقة للغير ، وأن هذه الخنفسة تدل على ضعف أخلاقي ، وعلى تميع في الشخصية ، لأن الإنسان يجب أن تكون له شخصية مستقلة وثبات أخلاقي ، فلا يفعل الشيء إلا إذا اقتنع بعقله وقلبه أنه لازم له ومفيد .

وكذلك أعتقد أن هذه « الخنفسة » قد نشأت بسبب نقصان التربية الدينية والتوجيه الأخلاقي منذ البداية ، وبسبب إنعدام القدوة الصالحة أمام الشباب ، وبسبب الفجوة الواسعة التي تفصل الشباب عن الشيوخ ، فتجعل الجميع كمعسكرين يتحاربان والواجب أن يكون هناك معسكر واحد ، هو معسكر الأمة المهتدية بهدى الرحمن ونور القرآن .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

مظاهر الإنحراف عن الإسلام

السؤال : **ما الرأي في هذا الانحراف الظاهر عن طريق الإسلام ، سواء في الملبس ، أو أداء الواجبات الأخرى ؟ .**

الجواب :

لا شك أن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام قد إنحرفوا عن طريق الدين وتعاليم الأخلاق وتقاليد التعفف والتصون ، فأصبحت نسبة هائلة من النساء لا يرتبطن بما يدعو إليه الإسلام من حشمة ووقار ، وأصبح كثير من النساء يظهرن التفنن العجيب المؤسف في التبرج وكشف ما حرم الله تعالى كشفه

من أجسامهن ومفاتنهن ، مع أن القرآن الكريم يقول في سورة النور : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

ويقول القرآن الكريم أيضاً في سورة الأحزاب : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » .

ولقد إنصرف الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام — رجالاً ونساءً — عن أداء الفرائض والعبادات ، فإن نسبة ضئيلة منهم هم الذين يحافظون على أداء الصلوات ، فإذا إنتقلنا إلى الصوم وجدنا عدداً كبيراً من المسلمين لا يصومون في رمضان ، وبعضهم يجاهر بالإفطار دون خوف أو حياء ، وأما فريضة الزكاة فتكاد تكون معطلة ، والحج يقوم بأدائه — في الغالب — أولئك الذين يحسون قصر بقائهم على قيد الحياة .

وهناك كثير من الشبان المسلمين يتركون مظاهر الرجولة ويتشبهون بالنساء في الملابس والأصوات والحركات والهيئات ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال .

وانتشر بين المسلمين كثير من الرذائل والآثام ، وضاعت كثير من الفضائل ومكارم الأخلاق .

وعلاج هذا يتلخص في أمور :

١ — العودة إلى الدين عقيدة وعبادة وعملاً وسلوكاً .

٢ — تعاون الحكام والعلماء والشعوب على إحياء القيم الدينية والإعتزاز بها.

٣ — توجيه أكبر الجهود إلى العناية بالشباب لأنهم معقد الأمل والرجاء .

٤ — العناية بالتربية الدينية القويمة منذ بداية الطريق ، وفي جميع مراحل

التوجيه والتعليم . والله الهادي إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سوء الإستغلال لمكبرات الصوت

السؤال : **نلاحظ أن كثيراً من الناس يسيئون استغلال مكبرات الصوت إلى حد الإقلاق والإزعاج . ويلاحظ أن كثيراً من المؤذنين يسيئون استخدام هذه المكبرات في الأذان ، وبخاصة أذان الفجر ، ويطيلون في التلحين والتنغيم وإنشاد القصائد وترديد الدعوات والصلوات ، ويشرعون في هذا قبل موعد الفجر بوقت طويل ، فما رأي الدين في هذا كله ؟ .**

الجواب :

« مكبرات الصوت » سلاح ذو حدين : يُستخدم حيث تكون الحاجة داعية إليه ، فيفيد وينفع ، إذ يعاون الخطيب ، أو المحاضر ، أو المتحدث ، على إبلاغ صوته إلى العدد الغفير ، أو الجمع الكبير من الناس ، وفي ذلك بث العلم والمعرفة ، ونشر للثقافة والتوجيه .

ويساء إستغلاله وإستخدامه ، فإذا هو مصدر أذى ومبعث إقلاق ، وإذا هو يصبح ألعوبة يستخدمها الناس للتظاهر والتنافس والتصارع فيما بينهم على المظاهر الزائلة والصور الخداعة .

وفي بعض الأحيان يحدث هذا الإستغلال السيء لمكبرات الصوت في مواطن لا يناسبها تظاهر ولا تنافس أبداً ، كمواطن المآتم والعزاء ، فترى صاحب المأتم يحرص على أن يجعل صوت المكبر على أعلى صبغة من طبقات الصوت الجهير المرتفع ، حتى يتجاوز حد الإسماع إلى حد الإيجاع ، وينتقل

من مقام توصيل الصوت إلى مقام إفساد هذا الصوت ، وجعله مصدر إقلاق وإزعاج .

ويكون الموقف أشد إثارة للأسف والألم حين نرى مأتمين متجاورين يتنافس أصحابهما على أن يكون مكبر الصوت في كل منهما . أعلى من الآخر ، ولو كان على حساب هيبة القرآن وجلال مقامه ، وحتّى لو كان هذا غير مناسب تماماً لموطن العزاء .

ويزداد الأمر سوءاً حين تجتمع بضعة مآتم قد تكون أربعة في بعض الأحيان ، في حي واحد ، أو ميدان واحد ، وكل من هذه المآتم قد وجّه أبواقه هنا وهناك ؛ وتنبعث الأصوات من كل الأبواق ، فلا يفهم السامع شيئاً ، ولا يكون هناك مجال للراحة أو الهدوء .

نحن نؤمن بأنه يجب أن يرتل القرآن ، وأن تذاع آياته ، وأن تنشر كلماته على الناس في كل مكان ، ونؤمن بأن خير كلام يُسمع هو كلام رب العالمين ، لأن الله جل جلاله يقول : « ورتل القرآن ترتيلاً » . ويقول : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . ويقول : « وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن » . ويقول : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » أي فصلناه لتتلوه على الناس بتأن وتؤدة . ولو استطعنا أن نفهم كل إنسان في الدنيا صوت القرآن لكان ذلك علينا واجباً .

ولكن إبلاغ القرآن الكريم ينبغي أن يكون بالأسلوب الحكيم المؤثر الجذاب .

ثم يأتي حديث الأذان .

إن الأذان معناه الإعلام ، والمقصود منه هو إعلام الناس بدخول أوقات الصلاة ، ليقوموا بأدائها والمحافظة عليها ، لأن القرآن الكريم : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » . ويقول : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

وهناك حديث نبوي يقول : « ليؤذن لكم خياركم ، وليؤمكم قراؤكم » .

والأذان سنة مؤكدة ، ووقته عند دخول موعد الصلاة مباشرة ، وينبغي أن يكون بصوت حلو عذب جذاب . يثير في السامعين الإستجابة له والترحيب به ، ولذلك يحسن إختيار صاحبَ الصوت الجميل للأذان ، ولا يحسن أن يكون صوته منفراً أو مزعجاً . والقرآن الكريم يقول : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » .

وقد ذكر العلماء أن من بدع الأذان رفع الصوت بالصلاة والسلام بعد الأذان ، كما جرت العادة عند كثير من الناس ، فهذه بدعة مخالفة لسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وإن كانت الصلاة على الرسول من أفضل العبادات . ولكن ينبغي أن توضع في مواضعها . ولقد سئل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عن هذا الموضوع . فأجاب بأن ما يذكر بعد الأذان أو قبله كله من المستحدثات المبتدعة . ابتدعت للتلحين لا لشيء آخر ، ولا يقول أحد بجواز هذا التلحين . ولا عبرة بقول من قال إن شيئاً من ذلك بدعة حسنة . لأن كل بدعة في العبادات على هذا النحو فهي سيئة ، ومن ادعى أن ذلك ليس فيه تلحين ، فهو كاذب .

وجاء في « خطط المقريزي » أن ترديد الصلاة والسلام بعد الأذان ظهر في مصر ليلة الجمعة ، وقد أحدثه صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسي . بعد سنة ستين وسبعمائة . وفي شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة في عهد الملك « الصالح المنصور أمير حاج » ، سمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، في ليلة جمعة ، وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه . فقال لهم : أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان .

فقالوا : نعم .

فبات وأصبح متواجداً يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في منامه ، وأمره أن يذهب إلى المحتسب ، ويبلغه عنه أن يأمر

المؤذنين بالسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام في كل أذان .

فمضى إلى محتسب القاهرة نجم الدين محمد الطنبري ، وكان سيء السيرة ، وقال له : رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا في كل أذان : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ... إلخ ، كما يفعلون في ليلة الجمعة .

فأعجب الرجل بهذا الكلام ، وجهل أن الرسول لا يأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته ، وقد نهى الله تعالى عن الزيادة في الدين فقال : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . وقال النبي : « إياكم ومحدثات الأمور » .

ومن هذا نفهم أن كيفية الصلاة والسلام عقب الأذان التي جرت بها عادة غالب المؤذنين ، من رفع الصوت بها والتمطيط والتغني ، بدعة مذمومة ، لأنها أمر محدث على خلاف الحق والشرع .

بل ذكر العلماء أنه من البدع المذمومة التلحين في كلمات الأذان نفسه ، والتغني فيه بما يؤدي إلى تغيير الحروف والحركات والسكنات ، والنقص والزيادة محافظة على توقيع النغمات ، فهذا لا يحل في الأذان كما لا يحل في قراءة القرآن .

وذكر العلماء أنه من البدع الشنيعة ما يردده المؤذنون من عبارات التسبيح والإستغفار قبل أذان الفجر ، وذكروا أنه قد ترتب على هذه البدع عدة مفاسد ، فيها مخالفة الرسول الذي قال : « لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة » . فإذا كان النبي قد نهى عن التشويش في القراءة ، فمن باب أولى يكون النهي عن التشويش على غيرهم بما يفعلونه مما يشبه الغناء في وقت ، والنواح في وقت ، وندب الأطفال في وقت .

ليتنا نتأدب بآداب الإسلام في قراءة القرآن ، وفي ترديد الأذان : « ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حكم قراءة الفنجان

السؤال : **ما رأي الدين فيما يفعله كثير من الناس من التجائهم إلى الذين يقراون لهم « الفنجان » لمعرفة الحظ والنصيب ؟ .**

الجواب :

من الأوهام السخيفة الشائعة في مجتمعنا أن الكثيرين يعتقدون في « قراءة الفنجان » ، فبعد أن تشرب المرأة أو الرجل فنجان القهوة ، ويبقى في قعره رواسب من البن ، يقلبون الفنجان على وجهه في طبقه ، ويتركونه قليلاً من الوقت ، حتى تسيل هذه الرواسب على جدار الفنجان وتتشعب ، ثم يتناوله بعض المحتالين ليقرأ فيه « البخت » عن الحاضر والمستقبل والماضي . من خلال التعاريج التي تكون قد صنعتها هذه الرواسب في جوانب الفنجان . ويردد أمثال العبارات التالية :

« أمامك سكة سفر » ! ... « هذا زائر عزيز عليك سيزورك بعد قليل » ! . « هذا رزق كبير وخير كثير » ! .. إلى آخر هذه العبارات المبهمة العامة التي يتقنها أصحابها ، ويريدون بها الضحك على الذقون ! ! ..

وأحياناً تلجأ بعض النساء الفارغات أو الشغالات الماكرات ، إلى الضحك على ذقون النساء ، وأحياناً على ذقون الرجال . فيقرأن لهؤلاء الفنجان . ويختلقن لخباراً سارة متوقعة ، مع شيء من التعميم والإبهام ، ويفرح أصحاب الفناجين بهذه الأخبار ، لضآلة العقول وتفاهة التفكير وضعف الشخصيات ... وحسب القارئات للفناجين أن يفزن بالهدية و « الحلاوة » .

وأحياناً تبدأ قراءة « الفنجان » على أنها تسلية أو تلهية ، ولكنها تصبح عادة بمرور الأيام ، ثم تصبح عقيدة ، ثم يضيع معها العقل والتفكير .

إن القرآن الكريم يقول في سورة آل عمران : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » .

ويقول في سورة الأنعام : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب » .

ويقول في سورة هود : « ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون » .

ويقول في سورة النحل : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون » .

يا هؤلاء اللاهون .. كفى عبثاً . لقد جدت بكم الأيام فجدوا ، والأمم من حولكم قد شغلها العمل والإجتهاد ، فلا تركنوا إلى الأوهام والأباطيل . وعلى الله قصد السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النذر للأولياء

السؤال : ما رأي الدين في النذور التي يقدمها بعض الناس للموتى من الأولياء والصالحين ، ويجعلون هذه النذور بأسماء هؤلاء الأولياء ، رغبة في تحقيق أمل أو الوصول إلى رجاء ، كنجاح أو شفاء أو كسب قضية ، أو غير ذلك ؟ . وما رأي الدين فيما يفعله كثير من الناس من تقديم النقود إلى الأضرحة والقباب ؟

الجواب :

النذر هو أن يوجب الإنسان على نفسه شيئاً متبرعاً به من عبادة أو صدقة أو نحو ذلك ، ويكون ذلك غالباً معلقاً على حصول شيء يحبه الناذر ، أو عدم وقوع شيء يهابه ولا يريده .

وبعض الفقهاء يكره « النذر » أصلاً ، بعلة أنه يشبه عمل البخلاء ، وكان

الناذر يشترط على الله ألاّ يفعل المنذور به إلا في مقابل الحصول على شيء يريده كالنجاح في امتحان ، أو الشفاء من مرض ، أو كسب قضية ، أو إنتصار على خصم ، وهكذا . لأن الناذر في العادة يقول : إن نجحت أو شفيت أو كسبتّ أو إنتصرت تصدقت بكذا من المال ، أو صمت كذا من الأيام ، أو صليت كذا من الركعات ... الخ .

ولذلك جاء في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة : « لا يأتي ابنَ آدم النذرُ بشيء لم أكن قدرته ، ولكن يلقيه النذر إلى القدر ، وقد قدرته ، أستخرج به من البخيل ، فيؤتيني عليه ما لم يؤتني عليه من قبل » . ومعنى هذا بإيجاز — كما جاء في كتابي أدب الأحاديث القدسية — هو أن الله تبارك وتعالى يخبرنا أن ابن آدم إذا نذر شيئاً ، كأن يقول : إذا نلت كذا تبرعت بكذا من المال ، فإن هذا النذر لا يرد قضاء الله سبحانه وتعالى ، بل إن الله جل جلاله يدفع العبد بذلك إلى أن يُخرج من يده ما بخل به من قبل .

والنذر لا يكون إلا لله عز شأنه ، لأنه الملك القادر ، الرازق الباسط المهيمن المسيطر ، المعز المذل ، المعطي المانع ، ولا يجوز أن يجعل المسلم نذره لولي أو صالح أو شيخ أو لأي إنسان .

ولقد جاء في كتاب « أدب الأحاديث القدسية » أن الأمام الرافعي قال في كتابه « شرح المنهاج » : « وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ ، أو على إسم من حلّها من الأولياء ، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين ، فإن قصد الناذر بذلك — وهو الغالب أو الواقع من قصد العامة — تعظيمَ البقعة أو المشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دُفن بها ، أو نُسبت إليه ، أو بُنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل وغير منعقد ، فإن معتقدهم أن هذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يُدفع بها البلاء ، وتُستجلب بها النعماء ، ويُستشفى بالنذر لها من الأدواء ، حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لمّا قيل لهم إنه إستند إليها عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السُّرُج والشموع والزيت ، ويقولون : القبر الفلاني ، أو المكان الفلاني ، يقبل

النذر . يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض ، أو قدوم غائب . أو سلامة مال . وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً .

والنذر للمخلوق لا يجوز ، لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون إلا للخالق سبحانه ، والقرآن الكريم يقول : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وكذلك تقديم النقود إلى الأضرحة والقباب المعروفة الآن عمل لا يجوز شرعاً ، لأن هذه الأموال يأخذها في الغالب من لا يستحقها ، وحبذا لو نظمت عملية التبرع في هذا المجال ، لينفق من هذه الأموال على إصلاح المساجد المحتاجة إلى إصلاح ، أو تعطى لمستحقيها فعلاً ، مع إخلاص تقديمها لوجه الله عز وجل دون سواه ، والله ولي التوفيق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أدعياء الولاية

السؤال : ما رأي الدين فيمن يدّعون الولاية ، وينقطعون عن السعي والكسب بدعوى التوكل ، ويمدون أيديهم إلى الناس يسألونهم المال والطعام ؟ .

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة يونس : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله . ذلك هو الفوز العظيم » .

وقد ذكر أئمة التفسير أن أولياء الله هم الذين يتولون ربهم ويخصونه

بإخلاص العبادة له . والتوكل عليه . فلا يتخذون من دونه ولياً ولا شريكاً ولا نصيراً . وقد ذكر القرآن صفتهم . فقال إنهم الذين جمعوا بين الإيمان الصحيح والتقوى الدائمة . والإيمان الصادق يستلزم العمل الصالح . ولذلك لا يكاد القرآن يذكر « الذين آمنوا » حتى يذكر قوله : « وعملوا الصالحات » . وقد تكرر هذا في كتاب الله المجيد مرات ومرات .

والتقوى الصحيحة تستلزم الإبتعاد عن التبطل والقعود عن السعي . لأن القرآن يقول : « فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » . ويقول : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » . ويقول : « وقل اعملوا » . ويقول عمر رضوان الله عليه : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » .

والقوة شعار المسلم ، وليس من القوة في شيء أن يجنح الإنسان إلى القعود والكسل ، ويتعلل بإدعاء الولاية أو العبادة . فقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم شخصاً تفرغ للعبادة . وحوله أقارب له يقومون بأمور طعامه وشرابه . فقال الرسول عنهم : « كلهم أعبد منه » . ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير . أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز . فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا . ولكن قل قدر الله . وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » ! .

وهؤلاء الأدعياء الذين تتوافر فيهم قوة البدن وقوة اليد وقوة التفكير . ثم يعطلون كل هذا . ويتواكلون هذا التواكل الرخيص . ويستغلون جهل العامة من الناس ، ويتعرضون لسؤالهم والإستجداء منهم في مختلف الأماكن . عند المساجد والأضرحة وغيرها ، ليسوا على شيء من الإهتداء بهدى الإسلام . والذين يعاونونهم على الإستمرار في هذه البطالة يتحملون جزءاً كبيراً من التبعة ، لأنهم يشجعون على إثم ومنكر .

وكلما كثر عدد هؤلاء الأعداء المحترفين للشحاذة المستغلين لطيبة العامة .

كان هذا دليلاً على التأخر الإجتماعي والضعف الثقافي ، وكان هذا مسبة في الشعب أو الأمة التي ترضى بهذا أو تسكت عليه . وكلما ارتقت الأمة وتثقفت وتبصرت وقفت في وجه هؤلاء تحملهم على أن يعملوا ما دامت أسباب العمل قد توافرت لديهم ، أو على الأقل أن يتجنبوا التسول والشحاذة والإستجداء من الناس .

وهذا هو سهل بن عبدالله التستري الصوفي يقول : « من طعن على الإكتساب فقد طعن على السنة » . وذلك لأن الإكتساب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو القائل : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه » .

ويقول عبد الله بن المبارك : « لا خير فيمن لا يذوق ذل المكاسب » .

ويقول إبراهيم بن أدهم : « عليك بعمل الأبطال ، والكسب الحلال والنفقة على العيال » .

ويقول سري السقطي : « أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة : لا تسأل أحداً شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً » . وهذا يستلزم العمل ، والإعتماد على الله . ثم على النفس وجهدها في تحصيل مطالب الحياة .

آن الآوان لهؤلاء الأدعياء أن يختفوا من مجتمع المسلمين ، وآن للمسلمين أن يقولوا لكل محترف إدعاء الولاية والإستجداء : إن ولي الله الحق هو من جعل المغزل مسبحة له ، وجعل الفأس عكازه ، وجعل العمل لإغناء النفس عن غيرها أول درجة يخطوها نحو تحقيق الولاية .

والله تبارك وتعالى اعلم .

• • •

« حظك اليوم »

السؤال : **ما رأي الدين فيما ينشر في الصحف والمجلات تحت عنوان « حظك اليوم » « أو البخت » أو غير ذلك ؟**

الجواب :

من البدع التي يراد بها تضليل الناس في عقائدهم . والضحك عليهم . والسخرية بعقولهم تلك الأخبار والتنبؤات الكاذبة التي تقال عن المستقبل على أساس أنها مستمدة من حساب النجوم والبروج ونحو ذلك .

ولا ريب أن إصرار بعض الصحف على نشر هذا لإيهام الناس بأنه حق وإخبار عن المستقبل والحظ و « البخت » فيه نوع من الإستخفاف بالقراء ، وفيه تضليل لهم . وصرف لعقولهم عن فهم السنن الكونية والأوامر الإلهية التي جاء بها الدين .

إن الله تبارك وتعالى قد اختص ذاته بعلم الغيب والمستقبل ، فقال جل جلاله في سورة الأنعام : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » .

ويقول عز من قائل في سورة آل عمران : « قل اللهم مالك الملك . تؤتي الملك من تشاء . وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء . بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت . وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب » .

ويقول سبحانه في سورة لقمان : « إن الله عنده علم الساعة . وينزّل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير » .

ويقول النبي صلوات الله وسلامه عليه : « من أتى عرّافاً فسأله عن شيء .

فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » وهذا نوع من التهديد والوعيد الإلهي ، والعراف هو من يضرب الرمل ، أو يستنبيء الودع ، أو يتحدث عن « البخت » ، أو يستخرج « الطالع » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من صدّق كاهناً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد » . والكاهن هو الذي يدعي علم الغيب ، أو القدرة على الإخبار بالأمور المستقبلة ، أو الأطلاع على الأسرار ، أو كشف ما في النفوس والضمائر ، لأن الذي يعلم هذه الأمور علماً حقيقياً مطابقاً للواقع إنما هو الله سبحانه .

وتحريم هذا الإدعاء لا يتنافى مع جواز التعلم لحقائق النجوم والأفلاك ، ولذلك يقول بعض الأئمة : إن المنهى عنه في الدين هو ما يدعيه المتنبئون من معرفة الحوادث المستقبلة ، كنزول المطر وهبوب الريح ، وتغير الأحوال ، وسقوط فلان ، ونجاح فلان ، زاعمين أنهم يعلمون ذلك بسير الكواكب وظهورها في بعض الأحيان. وهذا علم استأثر الله به ، وأما ما يدرك عن طريق المشاهدة من علم النجوم الذي نعرف به الزوال وجهة القبلة ، وكم مضى من الليل والنهار ، وكم بقي » فذلك غير منهى عنه شرعاً .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

مراقبة الخالق (١)

السؤال : ما معنى مراقبة الإنسان لربه ؟ .

الجواب :

الله جل وعلا هو القائم على كل نفس بما كسبت ، والرقيب على كل

(١) انظر أيضاً الجزء الأول من كتابي « أخلاق القرآن » فصل « المراقبة ، الصفحات ٨ — ١٥ .

جارحة بما اجترحت ، والمطلع على ضمائر القلوب بما هجست . وهو الذي لا يعزُب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض ، ولا أكبر من ذلك ولا أصغر « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ . وهو المحاسب على القليل والكثير ، والفتيل والقطمير ، وهو الذي يجمع بين الثواب والعذاب ، وبين المغفرة والعقاب . « نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم » . وهو المتفضل بالغفران والإحسان ، إذا رجع إليه المرء وتاب . وصدق في إستغفاره وأناب : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » .

هذا شأن الله مع عباده فيما يتعلق بأعمالهم وأقوالهم ، وحركاتهم وسكناتهم ، إنه واسع الرحمة . واسع المغفرة . ولكنه بجوار ذلك لا يغفل ولا يجهل . وإذا أمهل فهو لا يُهْمِل ، وهو يُملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يُفْلته . وهو يحصى على المرء كلّ كبيرة وصغيرة يأتيها في حيته : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » . وحينئذ يجب على المرء أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره ، وأن يراقب ربه في السر والعلانية ، وفي الخلاء والملأ . وأن يصل أسبابه بأسباب مولاه ، حتى يحفظه ويرعاه ، وحتى يكون يده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وعينه التي يبصر بها ، وأذنه التي يسمع بها .

ويجب على المرء خلال هذه المراقبة أن يحسن أدبه مع الله ، وأن يخشى كلّ الخشية يوم لقائه ، يوم تُهتك الأستار وتكشف السرائر ، ويبرز الخلق جميعهم للواحد القهار : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ويومئذ تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً . وتزول الموازين كلها إلا ميزان الحق سبحانه ، ويا له من ميزان إلهي قدسي دقيق ، لا خلل فيه ولا إضطراب ، ولا خداع فيه ولا تغرير : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فلا تظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها .

وكفى بنا حاسبين » . ويا له من يوم شديد عصيب ، تتقطع فيه الأسباب ، وتنعدم الأنساب ، وتنمحق الأحساب ولا تبقى إلا شرعة المراجعة والحساب ، يتلوها الثواب أو العقاب : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد » .

ولذلك كان العقل كل العقل ، والحكمة عين الحكمة ، أن يدين المرء نفسَه إذا همت بخطأ ، وأن يصدها إذا اقتربت من حمأ ، وأن يؤدبها إذا اقترفت إثماً ، وأن يُطَهِّرها بمحاسبته ومراقبته طوعاً وإختياراً ، بدل أن يرغم على تطهيرها بالنار والعذاب قهراً وقسراً ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « الكيِّس من دان نفسَه وعمل لما بعد الموت » .

وهذا هو صوت الشعر الحكيم يذكِّرنا بأن الله معنا أينما كنا ، وأنه مطلع علينا حيثما ذهبنا ، لا تصده عن ذلك الإطلاع حجب ولا أستار ، ولا جبال ولا أنهار ، ولا إستخفاء ولا إسرار :

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقل : خلوت ، ولكن قل : عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأن غداً للناظرين قريب ؟

وأحكم من ذلك وأقوم قول الحق سبحانه : « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رءوسهم ، لا يرتد إليهم طرفهم ، وأفئدتهم هواء » .

ولقد قال حميد الطويل لسليمان بن علي : عظني . فقال : لئن كنتَ إذا عصيتَ الله ظننتَ أنه يراك ، لقد اجترأت على أمر عظيم ، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت ! ..

ألا أيها المستطرف الذنبَ جاهدا هو الله لا تخفي عليه السرائرُ
فإن كنتَ لم تعرفه حين عصيتَه فإن الذي لا يعرف اللهَ كافر

وإن كنتَ عن علم ومعرفة بـــه عصيتَ فأنت المستهين المجاهر
فأية حاليك اعتقـــدت فإنــــــه عليم بما تُطوَى عليه الضمائـــر

وحاشا للمسلم الذي استضاء قلبه بنور الإيمان وشعاع اليقين أن يستخف بجلال ربه ، وعظمة خالقه ، وحرمة بارئه ، فيرتكب الإثمَ مستحضراً إطلاعَ الله عليه ونظره إليه ...

وحاشا للمسلم الذي عرف الاسلام ودخـــل فيه عن علم ، ان يلم بخاطره ساعة من الساعات ، أو لمحة من اللمحات ، أنه قادر بحيلة أو وسيلة على أن يكون بمنجاة من إطلاع الله ومراقبته .

وما دام هذا مفهوماً ومسلّماً فإنه من موجبات الخزي والخجل ، وملزمات العقاب والتأديب ، أن يجرؤ العبد على المعصية ، أو يستبيح لنفسه انتهاك الحرمات .. وكيف وهو مأخوذ بتلابيبه ، قبل أن يُقْدم وحين يقدم وبعد أن يقدم ؟ ! : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً . وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ ! .

وصدق العلي الكبير إذ يقول : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » . وإذ يقول : « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير » . وإذ يقول : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . وتلك الأمثال نضربها للناس ، لعلهم يتفكرون » ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

شهر رجب

السؤال : أريد أن أعرف شيئا عن شهر رجب ، وما معنى هذا الاسم ؟ وما خصائص هذا الشهر ؟

الجواب :

شهر رجب هو أحد الشهور العربية الإسلامية الهجرية القمرية ، وكلمة « رجب » من مادة الترجيب بمعنى التعظيم ، ولعل السر في هذه التسمية هو ما كانوا يخصون به هذا الشهر من تعظيم وتوقير .

ويسمى رجب « رجب الحرام » ، وذلك لأنه أحد الشهور الأربعة الحرام ، أي التي يحرم فيها القتال ، وذلك أمر كان متعارفاً ومشهوراً منذ عهد بعيد ، وقد ذكر القرآن الكريم الأشهر الحرم في قوله تبارك وتعالى في سورة التوبة : « إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق اسموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

وهذه الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :« ألا إن الزمان قد إستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان » .

ويسمى شهر رجب « رجب الفرد » وذلك لأنه منفرد عن الشهور الثلاثة الباقية من الأشهز الحرم الأربعة ، لأن ذا القعدة وذو الحجة والمحرم تأتي تباعاً وتمر متوالية بعضها وراء بعض ، ولكن رجب يأتي بعد ذلك بخمسة شهور ، هي صفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادي الأولى وجمادي الآخرة .

ويسمى شهر رجب « رجب مضر » . وقد جاء في بعض الأحاديث : « رجب مضر الذي بين جمادي وشعبان » وإنما أضيف الشهر إلى مضر ، لأن

قبيلة مضر كانت تعظم هذا الشهر وتصون حرمته ، فكأنها اختصت بهذا الشهر .

وفي شهر رجب كانت معجزة الإسراء والمعراج ، وهي المعجزة الكبرى التي اختص الله بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام ، وقد أشار القرآن إلى الإسراء في قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . كما أشار إلى المعراج في قوله تعالى في سورة النجم » :

« ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى . عند سورة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشي السدرة ما يغشي ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ومعجزة الإسراء فيها تكريم للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتثبيت لقلبه ، وفيها إطلاع له على ملكوت السموات والأرض ، وفيها تسلية عظيمة للرسول ، بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة في « عام الحزن » ، وبعد ذهابه إلى الطائف ، وإعتداء أهلها عليه .

كما أن معجزة الإسراء تذكرنا بفلسطين المغتصبة ، وبيت المقدس (القدس) والمسجد الأقصى المحترق ، وتذكرنا بواجبنا نحو إستخلاص الأرض وتحرير البلاد والعباد من الرجس والطغيان ، وتذكرنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا في المدينة ، والمسجد الأقصى في بيت المقدس » .

ومن الواجب على كل مسلم حين يستعيد ذكريات شهر رجب أن يبذل وسعه في سبيل الصيانة لمقدسات الإسلام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإسلام والتعصب

السؤال : **هل يجب علينا التعصب في الدين في جميع الأحوال أي في الحالات العادية وفي الحالات الاضطرارية ؟ .**

الجواب :

إن الإسلام دين إلهي سمح كريم . يعادي التعصب كله . فهو ضد التعصب للجنس أو اللون أو الدم أو الإقليم . وقد قرر القرآن الكريم وحدة النوع الإنساني كله ، وعودته في الأصل إلى أب واحد وام واحدة ، فقال في مفتتح سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء » .

وأشار القرآن المجيد في سورة الحجرات إلى المساواة بين أفراد هذا النوع الإنساني وشعوبه ، وأن أساس التفضيل بين الناس هو التقوى والإستقامة ، فقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

وأكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المعنى حين قال : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » .

وأمر الله تبارك وتعالى بالعدل مع الناس كلهم ، وعدم الميل لقرابة أو صداقة أو هوى ، وطالب كتاب الله بالتزام العدل مع الغرباء والأعداء . فقال القرآن في سورة النساء : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

والحديث الشريف يبين لنا انالأساس في تكوين شخصية الرجل هو أعماله ، فمن كان عمله سيئاً ، أو سعيه مذموماً . فلن يرفع قدره شرف النسب أو

الإفتخار بالآباء ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبُه » .

وكذلك يقول القرآن في سورة النجم . « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لأهل بيته : « يا آل محمد . لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالأنساب ، اعملوا فإني لا اغنى عنكم من الله شيئاً » .

ونهى الرسول عن العصبية والتعصب . فقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية » .

وهذا كله لا يتنافى مع إعتزاز الإنسان بدينه . وغيرته على إسلامه . لأن القرآن يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

والله تبارك وتعالى أعلم

• • •

الإسلام والديانات الأخرى

السؤال : **ما موقف الاسلام من الديانات الأخرى ؟**

الجواب :

قرر الإسلام أولاً حرية العقيدة والدين . فقال القرآن الكريم في سورة البقرة : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى » . وقال أيضاً « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وقد أمر الإسلام أتباعه أن يؤمنوا بكل الأديان الإلهية السابقة كما جاءت من عند الله تبارك وتعالى ، وأن يؤمنوا بجميع الأنبياء والرسل المبعوثين من عنده ، فقال القرآن في سورة البقرة : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه

والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

وأمر الإسلام بحسن معاملة الذين يعيشون في مجتمعه من أهل الأديان الأخرى كالمسيحيين واليهود . واعتبرهم أهل ذمة ، أي لهم عهد الله وميثاقه أن لا يصيبهم هضم ولا ظلم ولا إعتداء . ما داموا لا يخونون ولا يعتدون ، ودعا الإسلام إلى حسن الحوار والكلام معهم . فقال القرآن الكريم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » ومن توجيه القرآن في مجال الحديث معهم أن نقول لهم ذلك التعبير المنصف : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » .

ووضع الإسلام في معاملة من يعيشون في مجتمعه من أهل الأديان الأخرى تلك القاعدة العادلة الراشدة : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو على فراش الموت « أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً ، وأن يوفي لهم بعهدهم . وأن يقاتل من ورائهم (أي يدافع عنهم) وألاّ يكلفهم فوق طاقتهم » .

ولقد روى أن عمر رأى رجلاً ضريراً يستجدي الناس وهو من أهل الكتاب فسأله : ما الذي ألجأك إلى ما أرى ؟ فقال : الجزية والحاجة والسن . فأخذه عمر إلى بيته وأعطاه . ثم أرسل به إلى خازن بيت المال ، وقال له : انظر هذا وضرباءه فأعطوهم . فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم . إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم الفقراء المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ثم وضع عنه الجزية . ولعل مما يزكي هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا على أهل الأديان كلها » .

ومن حسن العلاقة بين الإسلام وغيره من الأديان الإلهية أن الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج غير المسلمة من أهل الكتاب . فيجوز للمسلم أن يتزوج من المسيحية أو اليهودية . وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة صفية بنت حي وهي من أسرة يهودية . وكذلك تزوج السيدة مارية القبطية وهي من أسرة قبطية .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام في النهي عن الإساءة في المعاملة إلى أهل الذمة : « من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » أي غلبته وحق عليه العقاب من الله عز وجل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

العلوم الإسلامية

السؤال : **ما هو المقصود بما يسمى « العلوم الإسلامية » ؟ وماذا تتناول ؟ .**

الجواب :

يراد بالعلوم الإسلامية مجموعة العلوم العربية التي نشأت وإتسعت بسبب نزول القرآن الكريم . وظهور الإسلام العظيم ، وتدور حول شريعته ، وتبحث في أموره ومسائله وأحكامه . وفي طليعة هذه المجموعة ما يسمى « علوم القرآن » وهي ما يتصل بتفسير القرآن ، وإيضاح وجوه إعجازه . وضبط كل ما يتعلق به .

ومن هذه العلوم الإسلامية « علم التفسير » وهو العلم الذي يبين آيات القرآن الكريم . ويستنبط من كتاب الله تبارك وتعالى الأحكام والعظات والعبر ، وهو قسمان : تفسير بالمنقول . وهو يعتمد على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . وأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . وتفسير بالمعقول . وهو التفسير الذي يعتمد على العقل والتأويل بالرأي والإجتهاد .

ومن هذه العلوم الإسلامية « علم الحديث » وهو العلم الذي يتعلق بشرح أقوال النبي عليه الصلاة والسلام وأعماله وأحواله . وإستخراج الأحكام الدينية منها . لأن الحديث — أو السنة النبوية — تعد المصدر الثاني — بعد القرآن — من مصادر التشريع الإسلامي .

ومن هذه العلوم الإسلامية « علم الفقه » . ويقصد منه العلم بالأحكام الشرعية المأخوذة من أدلتها التفصيلية ، ويشمل أعمال المسلم المكلف ، وعبادته ، وحكم هذه الأعمال والعبادات والمعاملات . والدليل على هذه الأحكام .

ومن هذه العلوم الإسلامية « علم أصول الفقه » . وهو علم يبين القواعد التي يتوصل بها العلماء إلى إستنباط الأحكام الفقهية ، ومن هذا نفهم أن علم أصول الفقه يخدم علم الفقه السابق ، لأنه ينير أمام الفقيه الطريق لإستخلاص الأحكام الفقهية ، من جهة ترتيب الأدلة ، وطرق إستخراج الأحكام ، والمنهاج السليم في القياس .

ومن هذه العلوم الإسلامية « علم البلاغة » بما فيه من المعاني والبيان البديع ، لأنه يعين على فهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

ومن هذه العلوم علمَ « السيرة النبوية » التي ترينا صور التطبيق النبوي للعبادات والمعاملات حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الداعي الأول إلى صراط الله المستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكم الأسرة

السؤال : **يوجد ساحر يتسبب بسحره في ضرر العباد ، ويتبع في ذلك طرقا خاصة ، وأريد أن أعرف حكم الدين في السحر ، وفي هذا الرجل الساحر ؟ .**

الجواب :

السحر في الأصل هو التمويه والخداع بالحيل والتخاييل ، بأن يفعل الساحر أشياء يخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي عليه ، كمن يتطلع إلى السراب

في الصحراء فيخيل إليه أنه ماء ، وينخدع بذلك ويتأثر به . وبعض السحر يكون بخفة اليد والشعوذة . وبعضه تستخدم فيه أدوية وأدخنة . وبعضه يستخدم فيه الإيحاء والإستهواء .

والقرآن الكريم يشير إلى ما كان من أمر موسى عليه السلام . أمام سحرة فرعون فيقول في سورة طه : « قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس في نفسه خيفةً موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيدُ ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » .

وكذلك أشار القرآن الحكيم إلى خطورة السحر وضرره ، وفي ذلك تنفير منه ، فقال في سورة البقرة : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان . وما كفر سليمان . ولكن الشياطين كفروا . يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون ما يضرهُم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق . ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

ولقد حذر الأئمة والفقهاء من السحرة حتى قال الإمام مالك إن الإنسان إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً فإنه يُقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ؛ ويحرم على الإنسان أن يقوم بعمل شيء من السحر . وخصوصاً إذا كان فيه إضرار بالغير .

ولا يجوز أيضاً تعلّمُ السحر إذا كان المراد من وراء ذلك التعلم هو إستخدامه لذلك الإضرار ، أو للتفريق بين الناس ، أو لإيهامهم بالضعف أو العجز أو الخوف أو ما شابه ذلك .

ولكن العلماء قالوا إذا كان القصد من تعلم أساليب السحر والسحرة انما

هو العمل على إفساد غايات السحرة ، وتحذير الناس من خطر السحر ، ومقاومة الذين يستبيحونه أو يعملون به ، فإنه يجوز في هذه الحالة ان يتعلم الإنسان السحر .

ويقول الأستاذ الإمام محمد عبده : « وردت الأوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلماً ، ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على أنه مما يجب الإيمان بثبوته أو وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون في كل ملة ، بل الذي ورد في الصحيح هو أن تعلم السحر كفر ، فقد طلب منا أن لا ننظر بالمرة فيما يُعرف عند الناس بالسحر ويسمّى بأسمه [1] » .

من هذا البيان يتضح أن الشخص المسئول عنه ، الذي يتسبب بسحره في ضرر العباد ، ليس على طريق الإسلام ، وإذا استباح عمل السحر بعد العلم بتحريمه يكون خارجاً على الملة الغراء ، ويجب على ولاة الأمر أن يزجروا أمثال هؤلاء الساعين بالفتن ، المقطعين للأواصر المفرقين بين الناس ؛ وأن يمنعوهم عن ذلك بأمر الدين وسلطة الولاية .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الناصح والمنصوح

السؤال : **يقول بعض الناس : إننا لا نستجيب لنصيحة إلا إذا كان صاحبها يعمل بها ويلتزمها . فما رأيك في ذلك ؟**

الجواب :

إن أثر الكلمة الطيبة في النفس الطيبة عميق وواسع ، ولا شك أن هذا الأثر يزداد عمقاً وسعة إذا صدرت الكلمة الطيبة عن نفس طيبة ، لأن القدوة

(١) كتاب تفسير جزء عم ، ص ١٣٩ طبعة دار الشعب بالقاهرة .

خير من الكلام ، ولأن صدور النصيحة عمن يعمل بها ويحرص عليها يكون أنفع وأوقع ، ومن هنا طال التحذير من النهي عن شيء مع الإتيان به ، وحسبنا قول الحق تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

ومن هنا قالوا – كما يروي صاحب العقد الفريد – : « ما أحسن التاج ، وهو على رأس السلطان أحسن ، وما أحسن الدر ، وهو على نحر الفتاة أحسن ، وما أحسن الموعظة ، وهي من الفاضل التقى أحسن » . وكان ابن السماك يعرّض بهذه الناحية من طرف خفي يفهمه الأذكياء ويجهله الاغبياء ، فكان يقول إذا انتهى من كلامه : « ألسنٌ تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف » .

ولكن هل معنى ذلك أن يمتنع المنصوح عن قبول النصيحة ، حتّى تأتيه ممن يلتزمها ويعمل بها ؟ . وإذا كان الناصح المخالف لنصحه قد ضلّ السبيل ، بأن نهى عن خلق وأتى بمثله ، فهل للمحتاج إلى النصيحة أن يعرض صفحاً ، ويغلق أذنيه عن الكلمة الطيبة ، لأنها انبعثت من نفس غير طيبة ؟

كلا ، ليس للمحتاج إلى النصيحة أن يفعل ذلك ، فإن الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها من أي وعاء خرجت ، ولا يضير المرءَ أن يسمع النصيحة من فم مجنون ، فيعمل بها فينتفع ، ويظل للمجنون جنونه . وقديماً قال زياد : « أيها الناس ، لا يمنعكم سوءُ ما تعلمون عنا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا » وهذا قول بلغ الغايةَ في النفاسة والسداد ، لأنه يفصل بين ناحيتين من تمام العقل أن نحسن الفصل بينهما ، وقديماً قال الشاعر :

اعمل بقولي ، وإن قصرتُ في عملي ينفعك قولي ، ولا يضررك تقصيري

وهذا أبو نواس الشاعر العابث الماجن ، الذي تضج النفوس الصالحة من سيرته ، إذا استعرضتها بتفاصيلها وحواشيها ، والذي تشمئز الضمائر النقية إذا توالت أمامها مواقف حياته وتاريخه ، ما بين صحيح ومصنوع .. هل هناك ما يمنع من أن نطيل التمعن والتفكر في قوله الحكيم البليغ :

خلِّ جنبيك لرام وامضِ عنه بسلام
مُتْ بداء الصمت خير لك من داء الكلام
رُبَّ لفظ ساق آجا لَ فئام وفئام
إنما السالم من ألجـ ـمَ فاه بلجام !!

وهل هناك ما يمنع من أن نأخذ العبرة كل العبرة ، والعظة كل العظة ، والنصيحة كل النصيحة ، من أبي نواس أيضاً في قوله :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمتُ سرحَ اللحظ حيث أساموا
وبلغتُ ما بلغ أمرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثام !

ولقد خرج عبدالله بن المبارك إلى الشام مرابطاً ، ولما نظر ساحة المرابطين وتعبدهم قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، على أعمار أفنيناها ، وأيام وليال قد قطعناها في علم الشعر ، وتركنا هنا أبوابَ الجنة مفتحة » . وبينما هو يمشي وصحبه معه إذ بسكران قد رفع صوتَه يغني :

أذلني الهوى ، وأنا الذليل وليس إلى الذي أهوى سبيل

فأخرج ورقة وكتب البيت ، فقالوا له : أتكتب بيتَ شعر سمعتَه من سكران ؟ . فقال : « أما سمعتم المثل : رب جوهرة في مزبلة » . فلنسمع الكلمةَ الطيبة من أي لسان خرجت ، فإن خرجت من لسان طيب فيها ونعمت ، وإلا فلا يضير مستمعَ الكلمة الطيبة أن يكون قائلُها غير طيب ، وبذلك نحذر داءَ التقاعس عن العمل بالنصيحة الطيبة ، بحجة أن قائلها لا يعمل بها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

أحذر من القِرِلّيّ

السؤال : **قرأت في بعض الكتب هذه العبارة : « أحذر من القِرِلّى » ، ولم أعرف حقيقة القرلى ، فهل يمكن أن أعرف ما هو القرلى ؟ ولماذا قيل هذا المثل ؟**

الجواب :

ذكرت كتب اللغة أن القِرِلّي – بكسر القاف والراء وتشديد اللام المفتوحة – طائر من طيور الماء ذو حذر وحزم ، لا يُرى إلا فرقا (أي خائفاً) ، أو مرفرفاً على وجه الماء على جانب ، يهوى بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعاً ، ويرفع الأخرى في الهواء حذراً ، يصيد السمك ، سريع الغوص ، حديد الإختطاف .

يقال إنه إذا أبصر سمكة في قعر البحر إنقض عليها كالسهم ، وإن رأى في السماء طيراً جارحاً مرَّ في الأرض . ومن هنا جاء المثل : « أحزم من قرلي – أو أحذر – إن رأى خيرا تدلّى ، وإن رأى شراً تولّى » . أنظر القاموس وتاج العروس .

وذكر الآلوسي في تفسيره « روح المعاني » ، كما ذكر الميداني في كتابه « مجمع الأمثال » أن هذا التعبير من أسجاع ابنة الخُس ، ونص التعبير : « كن حذراً كالقرلي ، إن رأى خيراً تدلى ، وإن رأى شراً تولى » . وابنة الخس هي هند بن الخُس بن حابس – رجل من إياد – وهي مشهورة بالفصاحة .

وقال ابن بري : يروي : « كن بصَيراً كالقرلي » .

وفي « مجمع الأمثال » : « أحذر من قرلي » . وفي رواية : أحزم من قرلي » . وذلك لأنه شديد الحزم والحذر ، يطير في الهواء ، وينظر بإحدى عينيه إلى الأرض .

وفي « تاج العروس » يقال : « أخطف من قرلي » .

وقد ضرب العرب المثل في الحذر بأكثر من شيء ، فقالوا : « أحذر من غراب » ، وقالوا : « أحذر من ذئب » . وقالوا : « أحذر من ظليم » والظليم ذكر النعام .

وضربوا المثل في الحزم بأكثر من شيء ، فقالوا : « أحزم من فرخ العُقاب » . وقالوا : « أحزم من حرباء » وقالوا : « أحزم من سنان » .

ويقال إن إسم « القرلي » ليس عربياً في الأصل ، ولذلك قال عنه الأزهري : ما أراه عربياً .

ويقال في سبب تسمية الطائر المشار إليه باسم « القرِلّي » أنه كان يوجد شخص يسمى بهذا الاسم ، وكان مولى لحمير ، لا يسمع بأحد أخذ شيئاً إلا جاء إليه وداخله ، ولا يتخلف عن طعام أحد ، وإذا سمع بخصومة في طريق لم يمر عليها ، فضُرب المثل ، ويقال : إن هذا الطائر شبهوه به .

ولقد أنشد ابن بري في بعض الناس :

يا من جفاني وملاً ... نسيتَ أهلا وسلا
ومات مرحب لما ... رأيتَ ماليَ قلاً
إني أظنك تحكي ... بما فَعلتَ القرِلّي

والقرلي أيضاً نوع من الحبوب يؤكل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ليلة النصف من شعبان

السؤال : **ما حكم الدين فيما يفعله الناس ليلة النصف من شعبان ، كالدعاء والصلاة الخاصة ؟ وهل لليلة النصف من شعبان فضل خاص ؟**

الجواب :

اعتاد كثير من الناس أن يتعبدوا في ليلة النصف من شعبان بامور يظنون

أنها مشروعة لأزمة ، مع أن هذه الأمور لم تثبت شرعاً ، كاجتماعهم في المساجد عند الغروب أو بعده على هيئة خاصة ، وقراءتهم سورة يس بكيفية خاصة ، وصلاتهم مئة ركعة يقرأون في كل ركعة منها سورة « الإخلاص » عشر مرات ، وكثرديدهم الدعاء الذي يقولون فيما يقولون فيه : « اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مقتّرا عليّ في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وإقتار رزقي » .

وهذا كلام لا يستقيم معناه ، لأن أم الكتاب – وهي اللوح المحفوظ ، أو علم الله سبحانه – لا تقبل المحو أو التغيير . وهم يقولون أيضاً في هذا الدعاء إن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم ، وهذا غير مسلّم ، لأن الصحيح أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن المجيد .

وهم يفعلون هذه الأمور بحرص ومبالغة ، وبعضهم يعتمد أنها مما فرضه الله وأوجبه ، وبعضهم قد يظل طيلة العام غافلاً أو لاهياً ، فإذا ما أقبلت هذه الليلة حسب أنها كافية لكي يردد فيها كلمات ودعوات ، ويصلي فيها ركعات ، وبذلك ينتزع من سجل الأشقياء ، ويقيد في سجل السعداء ، مع أن القرآن الحكيم يقول : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزأه الجزاء الأوفى » :

وليلة النصف من شعبان لها فضلها ، وقد ورد بشأنها حديث يقول : « إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » . أي يتجلى الله بفضله على خلقهم ، ويغفر لهم إذا تابوا إليه واستغفروه ، وأما أهل الشرك وأصحاب القلوب الخبيثة المنطوية على الحقد والشحناء فلا يغفر الله لهم ما داموا على شركهم وحقدهم .

وخير ما يفعله المسلم ليلة النصف من شعبان أن يهتدي بالسنة ، فقد قال الحديث : « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » . وقيام ليلها يكون بقراءة القرآن وذكر الله والإستغفار والتهجد بصلاة التطوع

قدر ما يستطيع الإنسان ؛ والدرجة الخفيفة لهذا القيام هي أن يصلي المغرب والعشاء في جماعة ، وأن يأتي بسنتهما ، ويقول أي مقدار من الذكر والإستغفار.

ولقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يكثر من الصيام في شعبان ، لأنه ورد أن شهر شعبان ترفع فيه الأعمال ، فأحب النبي أن يُرفع عمله وهو صائم ، ولقد أطال السجود في هذه الليلة ، وناجى ربه بقوله : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وكذلك رُوى عن أنس أنه قال : « كان المسلمون إذا دخل شعبان إنكبوا على المصاحف فقرأوها ، وأخرجوا زكاة أموالهم . تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان » . وكأنهم كانوا يعكفون على القرآن بهذه الصورة الخاصة إستعداداً لمزيد من الإهتداء به في شهر نزوله وهو شهر رمضان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

لا صحة لدعاء نصف شعبان

السؤال : **نريد بيانا مفصلا شافيا عن ليلة النصف من شعبان ، وعن دعائها المشهور .**

الجواب :

ما أجمل الحق وأقواه ، وما أقبح الباطل وأوهاه ! ...

إن الإسلام الحنيف يربطنا بالحق في كل خطاه ، ويباعد بيننا وبين الباطل في كل مجال . إن القرآن المجيد يخبرنا بأن الله هو الحق : « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال » . وبأن الله هو مصدر الحق : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين » . وأن الرسول جاء بالحق : « هو الذي أرسل

رسوله بالهدى ودين الحق » . وأن الله يؤيد الحق : « ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون » ويحذر من الإبتعاد عن الحق : « ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » ويعد الوعد الحق بإنتصار الحق : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » ، « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » .

من أجل هذا كله يجب أن نطلب الحق ، وأن نستمسك به ، وأن نحرص عليه ، وأن ندعو إليه .

ولقد جاء الإسلام واضح الدلالة على مبادئه وتعاليمه ، فحد الحدود ، وأبان الحلال ، وأبان الحرام ، وتكفل بهذه الإبانة كتاب الله الذي يهدي للتي هي أقوم ، وسنة رسوله الرائدة إلى الرشاد والصواب ، ولم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه تبارك وتعالى إلا بعد أن أدى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، وترك الناس على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ونزل قول الحق جل جلاله : « اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ولكن الناس مع كر الأيام والأعوام أضافوا إلى تعاليم الدين ما ليس منها ، ونسبوا إليه ما لم يشرعه الله . ومن واجب دعاة الحق أن يقوموا بالتذكير ، لينفوا عن شريعة الله تحريف الضالين ، وتأويل الغالين ، وتزيد المبتدعين ، حتى يظل للدين جلاله وبهاؤه ، ولشرعة الحق بيانها وسلطانها .

ومما أضافه الناس إلى الدين — وليس منه — ما تعوده كثير منهم في الإحتفال بليلة النصف من شعبان ، فقد دأبوا مثلاً منذ عهد بعيد على الإجتماع في تلك الليلة داخل المسجد ، مرددين دعاءً يفتتحونه بقولهم فيه : « اللهم يا ذا المن ، ولا يمن عليه ، يا ذا الجلال والإكرام ... » إلخ . وهذا الدعاء لم يثبت من طريق شرعي مقبول ، ولا أصل له في الدين ، وهو من إختراع بعض الأفراد ، والإجتماع عليه بدعة لم ينص عليها كتاب ولا سنة ، ولم يفعلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ولا صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

وإلى جوار ترديد هذا الدعاء نجدهم يأتون أعمالاً ويقولون أقوالا ، لم يعتمدوا فيها على نص صحيح أو خبر ثابت ، وقد ذكر المحققون من العلماء أن أغلب ما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان أخبار ضعيفة ، أو متقطعة ، بل قال الإمام أبو بكر بن العربي إنه ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوّل عليه ، لا في فضلها ، ولا في نسخ الآجال فيها ، وقد أورد ذلك بكتابه المعروف « الأحكام » ، كما قال الإمام أبو شامة إنه ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه ! .

ولقد روى التاريخ أن العامة من أهل الشام هم الذين سبقوا إلى الإحتفال بليلة النصف من شعبان ، وأنكر عليهم ذلك إمامهم وفقيههم الأوزاعي رضي الله عنه ، وذكر لهم أن اجتماعهم باسم الدين على هذا الإحتفال أمر مبتدع مكروه ، وكذلك أنكر أكثر أهل الحجاز على أهل الشام .

ومن البدع التي يأتيها الناس في الإحتفال بليلة النصف من شعبان ، ولم تثبت في الدين ، ما يسمونه « الصلاة الألفية » ، وهي أن يصلي الواحد منهم ليلة النصف مائة ركعة ، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة ، سورة : « قل هو الله أحد » عشر مرات ، وهي صلاة مبتدعة لا أصل لها في الإسلام ، ولم يفعلها أحد من الصحابة ولا مَنْ بعدهم ، وقال عنها الإمام الجزري إنها لا تصح ، وإن سندها موضوع باطل .

وقال الإمام النووي في كتابه « المجموع » إن هذه الصلاة بدعة منكرة ، ولا ينبغي أن يغتر الناس بورودها في كتاب « قوت القلوب » أو كتاب « إحياء علوم الدين » ولا بالحديث الذي يذكرونه عنها ، لأن كل ذلك باطل . ولقد ألّف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتاباً في إبطال هذه الصلاة ، و « صلاة الرغائب » التي يصليها الناس ليلة أول جمعة من شهر رجب .

ولقد ذكر لنا الإمام الطرطوشي أن « صلاة الألفية » حدثت أول مرة في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة ، وذلك أن رجلاً من مدينة نابلس

يعرف بابن أبي الحمراء ، نزل في القدس . وكان حسن التلاوة . فقام يصلي هذه الصلاة في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان . فقام خلفه رجل ، ثم إنضم إليهما ثالث ورابع . فلما كان العام التالي صلى الرجل هذه الصلاة ومعه خلق كثير . وبذلك إنتشرت بين الناس ، وظنوا أنها صلاة شرعها الله جل وعلا .

وممن ذكروا أن « الصلاة الألفية » في ليلة نصف شعبان صلاة موضوعة ، ولم يثبت فيها خبر ولا أثر . الأئمة أبو الخطاب ، وأبو حاتم ، وابن الجوزي .

وهناك صلاة أخرى تعودها كثير من الناس في ليلة النصف من شعبان . وهي مما لا أصل له في الدين . وليس لها مستند صحيح من السنة الصحيحة . وهذه الصلاة هي ست ركعات . يصليها الواحد منهم كل ركعتين بتسليمة ، ويقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة ، وسورة « قل هو الله أحد » ست مرات ، وعقب التسليم من كل ركعتين يتلو سورة « يس » ، ويدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف من شعبان ، وهو الذي عرفنا سابقاً أنه لا صحة له ، ويسأل الله البركة في العمر ، ثم في المرة الثانية يدعو بالبركة في الرزق ، ثم يدعو في المرة الثالثة بحسن الخاتمة .

ولا ريب في أن سورة « يس » سورة جليلة من سور الذكر الحكيم ، وفيها من العبر والعظات ما فيها . وتلاوتها أمر مطلوب محبوب ، شأنها في ذلك شأن بقية السور القرآنية الجليلة ، ولكن التزام قراءتها فى ليلة النصف من شعبان بالصورة المعروفة أمر غير مشروع .

ومن العادات التي تعودها كثير من الناس في كثير من بلاد الإسلام إيقاد النيران وإشعال المشاعل في ليلة النصف من شعبان ، وهذا أمر لم يرد به خبر ولا أثر ، ولقد ذكر الإمام أبو شامة في كتابه : « الباعث على إنكار البدع والحوادث » أن من البدع إيقاد النيران والمشاعل في ليلة النصف من شعبان ، وكذلك إستنكر هذا الإمام النووي في كتابه « المجموع » .

ويذكر بعض العلماء أن بدعة إيقاد النيران في ليلة النصف من شعبان قد

حدثت أول ما حدثت في عهد البرامكة أصحاب الأصل الفارسي . حيث أدخلوا في دين الإسلام ما يموهون به على الطغام . وهو جعلهم الإيقاد في شعبان كأنه من سنن الإيمان وهو شبيه بعبادة النيران ! .

ومن المعتقدات المرتبطة بليلة النصف من شعبان ، ولا صحة لها في الدين ، ولم يقم عليها دليل قاطع مبين ، أن كثيراً من الناس يعتقدون أن ليلة النصف هي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، والتي أشار إليها القرآن المجيد في مطلع سورة « الدخان » حيث قال : « حم ، والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم » .

وهذا الإعتقاد غير صحيح ، لأن الآيات السابقة ذكرت أن كتاب الله عز وجل ، وهو القرآن الكريم ، قد نزل في هذه الليلة المباركة . وقد صرح القرآن المجيد في سورة البقرة بأن الله قد أنزل كتابه في شهر رمضان ، فذلك حيث يقول سبحانه : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . فدل ذلك على أن الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن — أي بدأ نزوله — هي من شهر رمضان ، وليست من شهر شعبان .

كما عاد التنزيل المجيد فصرح بأن نزول القرآن الكريم قد بدأ في « ليلة القدر » وهي على المشهور ليلة السابع والعشرين من رمضان ، فذلك حيث يقول : « إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر » .

• • •

ومن معتقدات العامة في ليلة النصف من شعبان أنها الليلة التي يمحو الله فيها ما يشاء ويثبت ، وأنها الليلة التي يقدر الله فيها الأرزاق والأعمار وغيرهما ، ويسجل فيها الشقاء أو السعادة ، ويستشهدون على ذلك بقول الله تبارك وتعالى في سورة الرعد : « لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم

الكتاب » . وإذا كان هذا النص الكريم قد تعددت فيه أفهام المفسرين فإن التفسير المقبول المعقول الملائم هو :

لكل أجل كتاب ، أي لكل وقت من الأوقات حكم تقتضيه حاجة المرسل إليهم النبي وتستدعيهم مصالحهم ، ولكل كتاب نزل من عند الله سبحانه مدة محددة ومقدار معين عند الله ، ولذلك يمحو الله ما يشاء من الأحكام والشرائع ، أي ينسخه ، ويثبت بدله ما فيه المصلحة والخير للعباد ، وهم في ذلك كالمرضى الذين يعالجهم الطبيب بأدوية مختلفة على حسب إختلاف أحوالهم التي تتغير بتغير الأوقات والأحوال ، وعند الله أم الكتاب ، أي أصل القضاء والعلم الذي لا تغيير فيه ولا تبديل ، فالمحو والإثبات إنما هو في الأحكام الشرعية الفرعية كما يقتضيه سياق الآيات ، لأنها تمضي في بيانها هكذا :

« وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق . ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » .

ونحن لا نستطيع أن ننكر قبل هذا ولا بعده أن ليلة النصف من شعبان يستحب إحياها بالطاعة كالذكر والتهجد والدعاء والاستغفار على الوجه المشروع بلا إرتكاب أمر محذور ، كغيرها من بقية الليالي ، لأن قيام الليل مستحب في جميع ليالي العام . وليلة النصف من شعبان قد وردت بعض الأخبار التي تفيد أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يحييها ويصلي فيها ويدعو ربه أثناءها .

وحق لرسول الله عليه الصلاة والسلام أن يدعو ويكثر من الدعاء لربه تبارك وتعالى ، في ليلة النصف وفي غيرها من الليالي ، لأنه القائل : « الدعاء هو العبادة » وفي حديث آخر قال : « الدعاء هو العبادة » أي أصلها وعمادها ، لأن الدعاء رجاء من العبد يوجهه إلى المعبود سبحانه ، ولولا إيمان العابد بالمعبود

ما رجاه ، ومن هنا كان الدعاء الصادق أساساً للإيمان واليقين .

وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو ربه ويكثر من دعائه لأن ربه عز وجل قد قال: « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » وقال: « فادعوه مخلصين له الدين » وقال : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » إلى غير ذلك من كرائم الآيات .

وأكاد أفهم معنى الدعاء في الدين على أنه الرجاء اللساني الناشيء عن الشعور القلبي بالحاجة إلى عناية الله وعونه فيما يطلبه الإنسان . وصدق توجهه إلى ربه فيما يرتجيه ، ولا يتوقف ذلك على التلفظ به ، فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب ، ولكن تحريك اللسان بالدعاء يكون ترجماناً ومعواناً .

وأكاد أفهم أن الحكمة من الدعاء في الإسلام هي ربط قلب المسلم بالله جل جلاله ، بعد إنصرافه عنه لشاغل أو معوق ، وقطع معاني الإستعانة والإعتماد عن غير الله سبحانه ، وقرن الدعاء بالإنصراف عما لا يناسب معاني الدعاء من إثم أو إنحراف ، والإقبال على الأخذ بالأسباب التي تجعل الداعي جديراً باستجابة الله له .

وإذا كان هناك دعاء إضطراري ، وهو ما يكون عند الشدائد وتقطع الأسباب ، فإن فائدته حينئذ أنه يزيل اليأس والقنوط ، ويفتح أبواب الأمل والرجاء ، وفي هذا دليل أي دليل للإنسان على أن الله تعالى هو الملجأ الأخير ، فينبغي للإنسان أن يعبده ويمجده . وإذا كان هناك دعاء إختياري ، وهو ما يردده الإنسان في الأحوال العادية ، فإن فائدته هي زيادة الإيمان وتوثيقه ، مع تذكير الإنسان نفسه بفضل الله ونعمه ، وواجب الإنسان نحو هذا الخالق الرازق العظيم .

وإستجابة الخالق جل جلاله للدعاء معناها شرعاً قضاء الله لعبده ما هو خير له ، فإما أن يعجل له تحقيق الدعوة ، وإما أن يدخر تحقيقها إلى المستقبل ، وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها ، ولكن الإسلام يشترط في الدعاء ألا

يدعو الإنسان بأمر محال ، وألا يدعو بمعصية أو إثم ، وألا يدعو بما يضر الغير ، وأن يكون متحلياً بالطاعة حين يدعو ، وألا يتعجل في طلب التحقيق ، فإن الله جل جلاله لا يعجل لعجلة أحد ، وكل شيء عنده بمقدار وميقات .

وكم تمنيت وما زلت أتمنى أن تتحقق فينا « إيجابية الدعاء » ، ومنذ عهد بعيد قلت في بعض ما كتبت هذه السطور : « إن الآفاق من الناس يقتصرون على ترديد الأدعية الميتة بموت أصحابها ، في حلقات الذكر ، أو في خلوات التصوف ، أو عند الأضرحة ومثاوي الأولياء ، ويعتقد هؤلاء أن كل المطلوب منهم هو تحريك ألسنتهم وشفاههم بتلك الدعوات ، فيفعلون ذلك ، ثم ينتظرون في كسل وجمود ، فإذا لم يتحقق لهم ما أرادوا غضبوا وثاروا ، أو عصفت بصدورهم الشكوك والأوهام ، وبذلك تضيع أوقات وجهود ، كما تزهق روح الإستجابة العملية التي أرادها الإسلام من الداعي حين يردد دعاءه ، فإن الداعي الواعي المؤمن إذا تمعن في معاني الكلمات التي يدعو بها ، ثارت هذه المعاني في نفسه ، وذكّرته بما يجب أن يكون عليه من خير وفضل ، وجد وعمل ، وما يجب أن ينأى عنه من شر وعجز ، وجمود وكسل ، فيندفع بحسه ونفسه في مسالك هذه الإستجابة وأسبابها ، فيكون أهلاً لإعانة الله له ، وتحقيق الأقدار لما أراده في دعائه » .

والمسلمون يتقدمون كثيراً في الناحيتين الحسية والمعنوية إذا أحسنوا فهم المقصود من الدعاء ، وإذا أحسنوا الإنتفاع بفترات هذا الدعاء ، فجعلوا هذه الفترات كالوخزات التي تحيي ما همد أو ركد من طاقات النفس وحوافزها ، أو كالجلوات التي تنفض عن الحس والنفس ما لحق بها من وني وتعب ، فإذا الدعوات حوافز روحية تدفع بالإنسان أثناء التدبر العميق لمعاني ما يدعو به — إلى الأسباب الموصلة لتحقيق هذه المعاني التي يديرها بعقله ، ويخطرها بقلبه ، ويرددها بلسانه .

وكأني أفهم أن الله تبارك وتعالى يشير إلى هذا المعنى في قوله عز من قائل : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » . فإن الله تعالى يذكّر عباده في مقام الدعاء

ومقام التحقيق لهذا الدعاء – بالإستجابة منهم ، وهي إقبال عملي على مواطن الرضى الإلهي ومواقع الطاعة المقبولة ، وبالإيمان والإيمان تصديق ويقين تصحبهما عزم وهمة وتصميم . وبالرشد والرشاد يفيد الصواب في العمل ، والموافقة للحق ، والمصاحبة لما يجب .

وإنه لتعجبني كلمة عمر العميقة الدلالة التي يقول فيها : « أنا لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل همَّ الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه » . وهو يقصد رجاء التوفيق للدعاء الصادر عن القلب النقي والنفس المؤمنة واللسان الطاهر .

ولقد روى الرواة أنهم سألوا الصوفي المشهور إبراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ .

فأجاب : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته . وعرفتم القرآن ولم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها . وعرفتم الجنة ولم تطلبوها ، وعرفتم النار ولم تهربوا منها . وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت ولم تستعدوا له ودفنتم الأموات ولم تعتبروا بهم ، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم ! ...

والله تبارك وتعالى يعطي عباده درساً بليغاً في سورة الفاتحة التي يتلونها في كل ركعة من ركعات الصلوات . إذ يعلمهم أن يقولوا فيها : « إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم » فالدعاء هنا لم يأت إلا بعد الإيمان : « إياك نعبد » وبعد العمل وطلب عون الله فيه : « وإياك نستعين » . ويزكي هذا ويقويه ما في الآية الأخرى : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » .

نحن في حاجة إلى « إيجابية الدعاء » حتى يكون الدعاء مقروناً بالعمل . والرجاء مصاحباً للسعي . والإستغفار مرافقاً للبعد عن السيئات والإقتراب من الحسنات . وإلا صدق علينا ما قالته رابعة العدوية : « إستغفارنا يحتاج

إلى إستغفار » . وعمر الفاروق هو القائل : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويرفع يديه نحو السماء ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » .

نحن في حاجة إلى أن نردد الدعوات الإيجابية العملية الحاثة على الحركة ، وبذل الجهد ، وإصلاح العيب ، وتصويب الخطأ ، والإستكثار من الخير ، والمقاومة للشر ، وحسن الإستخدام للطاقات والهبات .

نحن في حاجة إلى أن نردد في وعي ويقظة وإستجابة أمثال هذه الدعوات التي وردت في السنة النبوية المطهرة :

« اللهم إنفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علماً » .

« اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، وأسألك العزيمة في الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك لساناً صادقاً ، وقلباً سليماً » .

« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، وغلبة الدَّيْن وقهر الرجال » .

« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع ، ومن دعاء لا يُسمع ، أعوذ بك من هذه الأربع » .

« اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة » .

« اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى » .

« اللهم يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك » ... إلخ .

* * *

ويبقى في النفس خاطر يتصل بنصف شعبان ... لماذا نجعل إحتفالنا به دائماً مقصوراً على ترديد دعوات عرفنا أنها لم تثبت بيقين ؟ ولماذا نحصر إحتفالنا في هذا النطاق الضيق ؟ ولماذا لا « نطوِّر » إحتفالنا في هذه المناسبة بما يوائم ما

ينبغي أن نكون عليه من وفاء لتراثنا الإسلامي ، وصدق إعتبار بذكرى سلفنا الصالح ، وبراعة استلهام من تاريخنا الباهر ؟ .

إن الدعاء لله يستطيع المسلم أن يردده في كل مكان وفي كل زمان ، ولا يحتاج هذا الدعاء إلى إجتماع أو إقتصار على صيغة معينة ، ولعل المسلم يكون في دعائه أكثر خشوعاً وتأثراً إذا ناجى ربه على إنفراد ، بعيداً عن ضجيج الناس وصخب الحياة .

لماذا لا نتذكر في نصف شعبان أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الحرام كان في نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة ؟ . لماذا لا نتذكر في شعبان أو في وسطه أن غزوة بدر الثالثة كانت في شهر شعبان ؟ لماذا لا نتذكر في شعبان أو في وسط شعبان أن غزوة بني المصطلق كانت في شعبان من السنة الخامسة ؟

لماذا لا نحتفل في نصف شعبان — مثلاً — بذكرى فقيه مصر العظيم ، وشيخ الديار المصرية الإمام الليث بن سعد الفهمي الذي توفي يوم الجمعة نصف شعبان سنة ١٧٥ هـ ، وكان إماماً ثقة حجة واسع العلم ، قال فيه الإمام الشافعي : « الليث أفقه من مالك » . وقال فيه يحيى بن بكير : « الليث أفقه من مالك ، ولكن الحظوة لمالك » . وكان نائب مصر وقاضيها على عهد الليث يخضعان لأوامره ، وقد عرض عليه الخليفة المنصور أن يتولى إمارة مصر فأبى ؟ ! ... أفما آن أن ننصف هذا الإمام الذي ضيعه قومه كل هذا الزمان ؟ .

ولماذا لا نحتفل في نصف شعبان — مثلاً — بذكرى الإمام العظيم ، عالم المشرق ، صاحب التصانيف : أبو يعقوب إسحاق بن راهويه النيسابوري ، الذي توفي في نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وقال عنه الإمام أحمد : « لا أعلم بالعراق له نظيراً » . وقال عنه محمد بن أسلم : « ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق » ، وكان إسحاق يحفظ سبعين ألف حديث ؟!

ولماذا لا نحتفل في نصف شعبان — مثلاً — بذكر الإمام الجليل شيخ بلاد المغرب الإسلامي الفقيه أبي محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ،

الذي انتهت إليه رياسة مذهب مالك في المغرب ، وقد توفي في نصف شعبان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة .

ويقول عنه القاضي عياض : حاز رياسة الدين والدنيا ، ورحلوا إليه من الأقطار ، ونجب أصحابه (صاروا نجباء) ، وكثر الآخذون عنه ... وهو الذي لخص المذهب المالكي ، وملأ العالم الإسلامي بتصانيفه ومؤلفاته ، ومن بينها كتاب « الرسالة » وهي من المصادر الرئيسية في فقه المالكية ، وقد وضع عليها العلماء كثيراً من الشروح والحواشي .

وما ذكرته عن ذكريات نصف شعبان جزء من كل ، فهناك في طوايا تاريخنا من الذكريات المرتبطة بشعبان ونصف شعبان كثير وكثير .

ألا إنها دعوة إلى « تطوير الإحتفال بنصف شعبان » ، لا على أساس الإفتعال أو التغيير ، بل على أساس من حسن الإنتفاع بتراثنا وتاريخنا ، وظني أنها دعوة لن تضيع ، لأنها تتردد في أكرم واد : كنانة الله في أرضه ، وعلى الله قصد السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

هل للقاتل توبة ؟

السؤال : **هل يدخل القاتل الجنة ؟ وهل يقبل الله تعالى توبة القاتل ؟**

الجواب :

القتل جريمة شنيعة فظيعة ، حذّر الله منها أشدّ التحذير ، وتوعد عليها بالعذاب الشديد والعقاب الأليم ، فقال تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الإنسان بنيان الله ملعون من هدم

بنيانه » . ويقول الإمام ابن حزم في كتابه « المحلى » : « لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين : أحدهما تعمد ترك الصلاة الفرض حتى يخرج وقتها ، والثاني قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق » . وجاء في كتاب « القصاص في الإسلام » ما يلي :

« القرآن الكريم يعد القتل جريمة كبرى ، ويتوعد فاعله بأشد الوان العذاب والعقاب ، فيقول : « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » ويقول عن ابني آدم : « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » . ويقول في صفات عباد الرحمن : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً » . ويقول : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : « قاتل العمد لا توبة له » وروى أن سفيان قال : « كان أهل العلم إذا سئلوا عن القاتل المتعمد ، قالوا : لا توبة له » . ولكن رُوي عن ابن عباس أيضاً أنه كان إذا جاء إليه رجل لم يقترف جريمة القتل ، وهو ينويها ، وسأله هل للقاتل توبة أجابه : لا توبة له ، تخويفاً وتحذيراً . وإذا جاءه من اقترف جريمة القتل وسأله نادماً خائفاً : هل للقاتل توبة ؟ . أجابه : لك توبة ، تيسيرا وتخفيفاً .

ورُوي أن سائلاً جاء إلى عبدالله بن عباس وسأله : هل للقاتل توبة ؟ . فقال : لا توبة له . وسأله آخر فقال : له توبة . فسئل ابن عباس عن ذلك ، فقال : أما الأول فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته ، وأما الثاني فجاء مستكينا قد قتل ، فلم أقنطه .

وجاء في كتابي « القصاص في الإسلام » [1] أيضاً هذا النص : « جاء في

(١) انظر كتابي « القصاص في الإسلام » صفحة ١٥٤ طبعة دار الكتاب العربي بمصر ، سنة ١٩٥٤ م .

كتاب الميزان للشعراني : اتفق الأئمة الأربعة على أن القاتل لا يخلّد في النار لو دخل ، وأن توبته من القتل صحيحة ، خلافاً لابن عباس وزيد بن ثابت والضحاك ، فقالوا : لا تقبل توبته أبداً . فالأول مخفف تبعاً لظواهر الحديث ، والثاني مشدّد تبعاً لظاهر القرآن » .

والذي يظهر أن القاتل يدخل النار ، ويعذّب فيها زمناً طويلاً ممتداً ، يوازي جريمته الشنعاء التي إرتكبها ، ثم يتوب الله عليه بمشيئته ، بعد إستيفاء عذابه كله ، ويدخله الجنة إن كان من أهل الإيمان والتوحيد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

ماذا نمنع من الفيلم ؟ وماذا نترك ؟

السؤال : ماذا نمنع من الفيلم عندنا ؟ وماذا نترك ؟

الجواب :

أكتب هذا المقال إستجابة لطلب كريم ، فيه رجاء متكرر ، وآمل أن يكون الحافز على ذلك ، أو الدافع إليه ، داخلاً في نطاق التعاون على الخير ، والرغبة في النهوض بالفيلم العربي الذي نتمناه ونرتجيه .

وعندي أن السينما سلاح ذو حدين ، أحدهما قتال بتار ، والآخر فيه صلاح وإصلاح ، والعبرة بالنية التي تسيطر على المشتغل في هذا الحقل الخطير . ومنذ أوائل الخمسينيات وأنا أدعو إلى صدق التعاون بين المشتغل بالفن والمشتغل بالدعوة الدينية ، وأكرر قولي : « إذا تدين رجل الفن وتفنن رجل الدين التقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة القويمة والفن السليم » .

وفي سنة ١٩٥٩ قلت في كتابي « وسائل تقديم المسلمين » هذه العبارة

على أنها أحد المقترحات للنهوض بالمجتمع الإسلامي : « العناية بحسن الربط بين الدين والفن ، لأن الإسلام قد جاء لتنظيم الدين والدنيا ؛ والفن ذو صلة وثيقة بجانب الدنيا ، كما أنه ذو صلة بجانب الدين ؛ فأما صلته بالدنيا فتتمثل في أن الفن يعمل لتجميل هذه الحياة ، وإظهار مفاتنها ومحاسنها ومباهجها ، حتى يسعد بها أهلوها ، وحتى يقبل عليها أبناؤها إقبال الراغبين فيها المحبين لها . بعد أن عرفوا ما غاب عنهم قبل ذلك من وجوه الحسن والجمال فيها .

وأما صلة الفن بالدين فنعرفها ونفهمها إذا تذكرنا جيداً أن الطبيعة — وهي منبع الفن الأصيل — هي كتاب الله المنظور ، كما أن القرآن الكريم هو كتابه المتروء أو المسموع ؛ وصاحب الفن حين يأخذ أصول فنه ومواده من كتاب الله المنظور ، يكون قد ربط بين فنه وحمى ربه .

ولذلك نعتقد أن الفنان الأصيل الصحيح يكون قوي الإيمان ، وثيق الإعتقاد ، عميق الإتصال بالله ؛ وتتجلى آثار إيمانه ويقينه وإتصاله بخالقه في أعماله الفنية المختلفة .

ولقد دعوت منذ سنوات — أي قبل سنة ١٩٥٩ — وما زلت أدعو إلى تأكيد الصلة الطاهرة المستقيمة بين الدين والفن ، لا لنخدم الدين فقط ، ولا لنخدم الفن فقط ، بل لنخدمهما معاً ، فنخدم الدين حين نستخدم وسائل الفن وطرائقه في نشر التعاليم الدينية والدعوات الروحية والمبادىء الأخلاقية والإتجاهات السامية ؛ ونخدم الفن بأن نرتفع به إلى المستوى السامق الذي يتعالى عن الأخلاط والأوشاب ، وعن الإنحراف وسوء الإستغلال ، والذي يجعل الفن — حقاً وصدقاً — تعبيراً سليماً قوياً عن الحياة الكريمة ، وتصويراً مضبوطاً لمحاسن الطبيعة الصافية ، ثم تظلل هذا الفن المطهر بظلال الدين الهادي ، فيكون ذلك تكريماً للفن أي تكريم » .

* * *

والسؤال المطلوب مني الإجابة عليه هو : ماذا نمنع من الفيلم ؟ وماذا نترك ؟ .

ولو أنهم وكلوا إليّ صياغة السؤال لأمكنني أن أقول : ماذا بقي من « الأشياء » لم يدخلوه الفيلم ؟ وماذا هناك من « الأشياء » لم يتركوه ؟ .

ومع ذلك أجيب على ما سألوا :

يجب أن نمنع من الفيلم – أول ما نمنع – مناظر الخلاعة والتبرج والإثارة الجنسية ، والإتجار بجسد المرأة عن طريق إستعراض داخلياتها ، والدعوة المباشرة أو غير المباشرة إلى الإستخفاف بالعقائد الدينية والمبادىء الأخلاقية والعادات الأصيلة السليمة ، والشخصيات الإسلامية التي تحمل رسالة الدين .

ولست أدري : لماذا لا نعبر عن الحب بين الرجل والمرأة إلا بالقُبلة والضمة وما وراءهما ؟ . مع أن غيرنا قد يعبر عن أعمق معاني العاطفة بأدق الإشارات أو ألطف الرموز ، ولا زلت أذكر أنني شاهدت فيلماً هندياً عاطفياً ، إسمه « ليلى مجنون » ، وهو عن قصة قيس وليلى المشهورة في الأدب العربي ، فلم أر فيه أي مشهد جنسي جارح أو صارخ ، ولم أشهد فيه قبلة ولا ضمة ، ومع ذلك كان فيلماً رائعاً وممتعاً .

• • •

ولا شك أننا فشلنا في إنتاج الفيلم الديني ، وتكفي مقارنة سريعة بين الأفلام الدينية الواردة من الخارج والأفلام الإسلامية – أو التي سميناها إسلامية – التي أخرجناها في بلادنا ، لتشعرنا هذه المقارنة السريعة بأن القوم هناك سبقوا ، وتسلقوا ، وحلّقوا ، ونحن هنا ما زلنا نحبو ، ونرجو .

إن الفيلم الوارد علينا من هناك غني بموضوعه وتمثيله وإخراجه وتصويره ومناظره وألوانه ، وهو مخدوم خدمة واسعة بما أنفقوا عليه من مال ووقت وجهد ، والفيلم الديني هنا يمشي على طريقة « سلق البيض » ، فهو فقير كل الفقر في هذه الأشياء ، وكأننا ما زلنا في « الصنعة » صبية تحت الإختبار والتمرين ، عند معلمين مدربين محنكين ، إلا في القليل النادر .

ولقد كتبت وخطبت أكثر من مرة أحذر من الإنزلاق إلى المخاطرة

بعرض الشخصيات الدينية التي لها مكانتها أو مهابتها ، لأن ذلك العرض — وخاصة مع مستوانا الفقير المتواضع — لا يتفق وجلال هذه الشخصيات من جهة ، ولأننا لا نملك الطاقة التي ترفعنا إلى مستواهم من جهة ثانية ، وواقع حياتنا على طرف النقيض من واقع هؤلاء العظماء في سيرهم وتاريخهم ، ومن العسير — فيما أرى — أن نفصل فصلاً كلياً — في ذهن الجمهور — بين واقع الممثل أو الممثلة وبين الدور التاريخي البطولي الديني الأخلاقي الذي يتعرض للقيام به على هذا المستوى الرفيع .

وينبغي لنا أن نتصارح بأننا حاولنا عن طريق الفيلم أن نقدم شخصيات بطولية من أعلامنا في تاريخنا القريب . الذي يبعد عن حاضرنا قرناً أو قرنين ، وأكاد أقول إننا لم نوفق في ذلك التقديم التوفيق المرضي إلا نادراً .

وإذا كان هذا هو واقعنا فيمن قربوا منا ، أو كانوا على مدى غير بعيد من تصورنا ، فكيف نسمح لأنفسنا أن نتحدث عن تقديم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وتقديم الصحابة وآل البيت النبوي الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين .

إن هذا يذكرني بقول القائل الحكيم القديم :

هي الشمس مسكنها في السماء	فعزّ الفؤاد عزاءً جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود	ولن تستطيع إليك النزولا

والأثر الإسلامي البليغ يقول . « رحم الله امرأً عرف قدر نفسه » ! . فلنتدرج أولاً ، ولنصبر ثانياً ، ولنتقن ثالثاً ، ولنثبت رابعاً أننا أهل للإرتقاء والصعود ، وبيننا وبين القمة أجيال .

وأستطيع أن أذكر أسماء عشرات من عظمائنا وأبطالنا الذين شغلوا صفحات تاريخنا الطويل العريض ، بعد عهد النبوة والخلفاء الراشدين والصحابة . ومن الممكن للفيلم العربي أن يصول ويجول بين هذه الشخصيات ، ليدرب في حيواتهم عضلاته ، وإذا أعطى الدليل السليم على صلاحيته لتصويرهم

تصويراً أميناً متقناً محكماً ، استطعنا بعد ذلك أن نتلاقى لنتحاور حول إمكانية التقدم في هذا المجال .

• • •

والفيلم عندنا أصبحت قصته — في الغالب — معروفة مألوفة ، معادة مكرورة ، يعرفها صبية المدارس منذ بدايتها ، ويخبرونك عن نهايتها قبل مجيئها بوقت طويل ، لأنها — في الغالب — قصة تلف وتدور حول الجنس ، وتلت وتعجن في عوامل الإثارة ، وتعيد وتكرر في مواقف التعبير عن الجسد ، والخيانة الزوجية ، والتفسخ الأخلاقي ، والتباهي بكثرة القبلات وطول مدتها في الفيلم ، والتباهي بما وراء القبلات من سوآت وعورات .

وليت مجيباً منصفاً صادقاً يجيبني في صراحة ووضوح :

لماذا نحرص في أغلب الأفلام على إختلاق مناسبة غير مناسبة لرقصة أو رقصتين من « النوع إياه » ؟ .

ولماذا « نحشر » في أغلب الأفلام — بلا موجب — أغنية أو أغنيتين ؟ .
ولماذا نكيف أفلامنا حسب « الخامات » الموجودة عندنا ، ولا نكيف « الخامات » حسب موضوع الفيلم الأصيل ؟ .

ولماذا نحتال في أغلب الأفلام لإدخال « زفة العروسة » و « كوشة العروسين » ؟ .

ولماذا نوهم الناس أن مجتمعنا هو مجتمع « بار في كل بيت » ، و « كأس خمر أمام كل متضايق » ، و « رقصة خليعة مختلقة في كل مناسبة وكل غير مناسبة » ؟ ! ..

يا أولاد الحلال ، أهذا حلال ؟ .

ولماذا لا ننظر إلى المرأة — في أفلامنا غالباً — إلا من زاوية أنها جسد يباع ويشرى ، أو شهوة يطلبها طالبوها فيدركونها ، أو رمز للرذيلة والإثم ؟؟ .

لماذا خفضنا مكانة المرأة إلى هذا الحد ؟ . ولماذا لا تثور المرأة العربية هنا لكرامتها ومكانتها ؟ .

ولماذا نجعل المقياس في صلاحية المرأة للسينما هو فتنة وجهها ، ورشاقة قوامها ، وما اتصل بأنوثتها ؟ .. لقد قلت وما زلت أقول : « إن المرأة تستطيع أن ترغم المجتمع على إحترامها إذا ظهرت فيه كإنسانة لا كأنثى » . ولقد قلت كذلك وما زلت أقول : « إن للدمامة جمالاً يستطيع أن يدركه الأخيار من الناس » . وأتمنى لو أن الممثلة السينمائية إنتزعت إعجاب الناس بها — لا من طريق أنوثتها — بل من خلال فنها وفيض روحها وروعة أدائها .

والوسط المسرحي والسينمائي يعرف سيدة متواضعة في جمال حسها ، ولكنها تمتاز بقوة نفسها ، وروعة تعبيرها ، وبراعة تمثيلها ، ومن خلف شكلها العادي يتضوأ جمال آخر له بهاء وسناء ، وله في نفس المتذوقين للفن الأصيل وقع جميل .

• • •

وبعض العاملين في حقل الفيلم عندنا يحتال فيعلن عن الفيلم أنه « للكبار فقط » ، وكأنه يريد أن يقول عنه على سبيل الدعاية : « فليحرص الصغار على رؤيته مع الكبار أو قبل الكبار » . وعندي أنه من الضعف الفني أن يكون الفيلم صالحاً لطائفة دون طائفة ، وأقوى الأفلام هو ما كان صالحاً للجميع ، اليوم وغداً وعلى مدى الأيام .

ولذلك ينبغي أن نقلل ما استطعنا من « أفلام المناسبات » و « الأفلام الموسمية » التي تصلح لموسم ثم تنطوي ، و « الأفلام الفردية » التي يحتكر فيها شخص ما كل شيء ، ويبقى الذين حوله كالخدم في بيته ، فهم كالظلال له من حوله ، أو كالنمال بالنسبة إليه ! ...

وفي رأيي أنه ينبغي لنا أن نمنع من الفيلم ، عندنا هذا المفهوم الخاطيء أو القاصر للحب ، وهو مفهوم الجنس ، وينبغي أن ندخل في أفلامنا أنواع الحب الأصيلة السامية : حب الله ، حب الأبوة ، حب الأمومة ، حب

الطبيعة ، حب الوطن ، حب القيم ، حب المثل العليا ، حب الرحلة ، حب العلم والإطلاع ، حب الجهاد والمقاومة ، حب البطولة والرجولة ... الخ .

ونريد في أفلامنا مزيداً من الصبغة الإنسانية الصافية ؛ ومزيداً من المادة العلمية المشوقة ، ومزيداً من تصعيد الغرائز وتعلية النزعات ، ومزيداً من تجميل الحياة وتحبيبها إلى الأحياء ، ومزيداً من الإرتفاع بالجمهور بدلاً من النزول به أو النزول إليه ، ومزيداً من نزعة الإصلاح الإجتماعي والتوجيه الأخلاقي غير المباشر .

* * *

والمعروف منذ البداية أن الذي يتحدث هنا أحد علماء الدين ، وأن موضوع الحديث هو الفيلم العربي بعامة ، والفيلم المصري بخاصة ، وأن المطلوب — أولاً وبالذات — تبيان وجهة النظر الديني من خلال رأي المتحدث وتفكيره . ولقد نعلم منذ البداية أن عالم الدين حين يتحدث لا يطلق القول على عواهنه ، بل هو يتحرك داخل نطاق محدود بمبادىء وقيم يخضع لها ويهتدي بهديها ، وكل شيء قد يمكن أن يقال فيه كما يشاء القائل ، اللهم إلا شيئاً يرتبط بالعقيدة أو يتعلق بالدين .

وهذه الآراء التي أسطرها إنما هي « آراء غالبية » ، وليست « أحكاماً شاملة للجميع » ، فبين الغث الكثير ، يختفي قليل من الطيب الكريم ، ولكن العبرة بالأعم الأغلب كما يقول العلماء .

ومعذرة إلى العاملين في حقل الأفلام تأليفاً أو تمثيلاً أو إخراجاً أو توزيعاً ، فما أردت أن أحطم أو أهدم . وإنما الدين النصيحة : « أن أريد إلا الإصطلاح ما أستطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تذبذب بين الإنحراف والإستقامة

السؤال : **أعيش بين أسرة كلها فساد ، وكلما تبت إلى الله ، بقيت مستقيما بضعة أيام ، ثم رجعت إلى المعصية ، وهكذا ، حتى مضى علي بضع سنين ، وأنا أضيق ذرعا بذلك ، مع أني مؤمن بالله ، وإيماني كبير ، ولكن الشيطان يريد أن يحطم حياتي ، فماذا أصنع ؟**

الجواب :

يلوح – مع الأسف – أن صاحب هذه الحالة السيئة إنسان ضعيف الإرادة واهي العزيمة ، يعرف الحق ولا يسلك سبيله ، ويعرف الباطل ويميل إليه ، فهو يخطىء ، ويستمر في الخطأ حيناً من الزمان ، ثم يتوب ، ويستمر على الإستقامة بضعة أيام ، ثم ينقلب على وجهه ، فيعود إلى الإثم والمعصية ، وهكذا دواليك ، وهذا اضطراب معيب وتزلزل مخجل ، لأنه ذبذبة بين الإستقامة والإنحراف ، لا تليق بإنسان مسلم يقول : « إن إيمانه كبير » ! .

هذه الأسرة التي تقرر أنها في فساد من جميع نواحيها : « كلها فساد » ما الذي يرغمك على العيش معها ، والحياة بينها ؟ . لماذا لا تعتزلها وتبعد عنها ؟. واذا كنت لم تستطع ذلك لضرورة قاهرة لا تملك معها اي تصرف ، فلا أقل من أن تنكر عليها ولو بقولك أو قلبك ، ثم تتجنب مشاركتها في آثامها ، وتقف من فسادها موقفاً سلبياً .

نحن لا نستطيع أن ننكر أن الله غفور رحيم ، وأنه يقبل التوبة عن عباده ، وأن من تكرر منه الخطأ ، وتكررت منه التوبة الصادقة ، لا يبعد عن حمى الرضى والقبول ، فالله تبارك وتعالى يقول : « قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » . ويقول : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » .

وجاء في السنة المطهرة ما يفيد التوجيه إلى تكرار الإستغفار والتوبة إذا تكرور الخطأ ، حتى يخزي الشيطان .

ولكن ليس معنى هذا أن الأمر فوضى لا ضابط له ولا نظام ، أو أن نتخذ كلمات الإستغفار والمتاب ألعوبة في ألسنتنا ، فللتوبة الصادقة في الإسلام شروط ، منها الندم على عمل الذنب ، والإقلاع عنه ، والمبادرة إلى الطاعة ، والعزم على عدم العودة إلى الذنب ، ولنتذكر أن الحق جل جلاله قد قال في كتابه المجيد : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » فهو واسع الغفران للتائب المؤمن الذي يعمل العمل الصالح ويهتدي إلى سواء السبيل .

وصاحب هذه المأساة يتحدث عن الشيطان حديث الإنسان الضعيف الذي استسلم للوسواس الخناس ، دون أن يتدبر أمره ، أو يراجع نفسه ، أو يوقظ عزيمته ، مع أن الشيطان عدو مبين ، يريد أن يدمر حياة الإنسان ، وأن يشقيه في الدنيا والآخرة ، والقرآن الحكيم قد صوَّر الشيطانَ صورته البشعة الشنيعة . فقال في سورة البقرة : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ويقول القرآن في سورة النساء : « ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا » . ويقول أيضاً : « ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً . يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وَعْدَ الله حقاً ، ومن أصدق من الله قيلا » .

ويقول في سورة الأعراف : « يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » . ويقول في سورة النور : « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر » . ويقول في سورة الفرقان : « وكان الشيطان للإنسان خذولاً » . ويقول في سورة فاطر : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً . إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . ويقول عن المنافقين في سورة المجادلة : « استحوذ

عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ، الا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » ... إلى غير ذلك من الآيات .

لستُ بهذا أدعو صاحب المشكلة إلى اليأس أو القنوط ، فالقرآن الكريم يقول في سورة يوسف : « ولا تيأسوا من رَوْح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . ويقول في سورة الحجر : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » .

بل أدعوه إلى موقف عزم وتصميم ، وإلى ثبات الإرادة ، والتأبي على وسوسة الشيطان اللعين ، وأن يتذكر قول ربه وخالقه ورازقه في سورة الأعراف : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ؛ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .

وانصح له بما يلي :

١ — أن يبتعد من مواطن الفساد الذي يغريه بقدر الإمكان .

٢ — أن يتخذ له صديقاً أو أصدقاء من أهل الدين وإستقامة السلوك .

٣ — أن يتخذ له رائداً من علماء الإسلام الذين يطمئن إليهم وثيق فيهم .

٤ — أن يحافظ على أداء العبادات ، وفي طليعتها الصلاة .

٥ — أن يواصل قراءة القرآن والتدبر له قدر استطاعته ، ويطالع في كتب التفسير والحديث والسيرة والفقه .

والله الهادي إلى سواء السبيل

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الإسلام يصفّي الــرق

السؤال : ماذا كان موقف الاسلام من الرق والرقيق ؟ .

الجواب :

جاء الإسلام الحنيف ليحقق الحرية في كل مجال ، في الإعتقاد ، وفي الرأي ، وفي الحس ، وفي النفس ، وليعيد الناس كما أنشأهم ربهم أعزةً كراماً ، بلا استعباد ولا إستبداد ، وقد ترجمت عن هذا المعنى كلمةُ عمر الخالدة التي استنكرت المذلة والهوان : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » .

ولقد جاء الإسلام ومن أهدافه الأساسية التي تتبدى في روحه ومبادئه . أن يقضي على استرقاق الاقوياء للضعفاء. ولو راجعنا تاريخ البشرية القديم لوجدنا الرق فاشياً ذائعاً في أرجاء الأرض ، فقد كان موجوداً عند الفراعنة والأشوريين والبابليين والصينيين والفرس والهنود والإغريق والرومان ، وكانت طرق الإسترقاق كثيرة متعددة ، فهم يسترقُّون عن طريق الأسر والحرب ، وعن طريق الخطف والغصب ، ويسترقون مقابل العجز عن الوفاء بالدين ، أو للتكفير عن جريمة ، وكانوا يسترقون عن طريق الشراء حين يضطر الفقراء إلى بيع أولادهم بسبب الحاجة .

وكان الرق منتشراً عند العرب قبل الإسلام ، وكانت معاملة العبد سيئةً فهو يهان ويسام الخسف ، وهو يقوم بالشاق المرهق من الأعمال ، وكان السادة يذيقون الإماءَ ألواناً من المذلة والهوان ، حتى وصل الأمر إلى المتاجرة بأعراضهن ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

وأشرق الإسلام بصباحه الوضيء بعد طول الليل البهيم ، فوجد الرقَّ أمامَه شائعاً ذائعاً ، مسيطراً متحكماً ، لا يمكن القضاء عليه دفعة واحدة ، ولا فيما بين يوم وليلة ، فنظر إليه نظرة الكراهية والبغضاء ، ولم يستسغ القرآن

مثلاً أن يحدث الناس عن وسائل الإسترقاق ، ولا أن يحببهم فيه ، بل كل ما ذكره هو الحديث عن مواطن العتق والحث عليه ، وحينما ذكر الأسرى لم يذكر استرقاقهم ولا الإبقاء على إمتلاكهم بل قال : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » .

ولقد كان هدف الإسلام الأكبر هو أن يقضي على الرق ، وأن يسد عليه منافذه وأبوابه ، فيزول من الحياة بعد حين ، وسلك الإسلام لتحقيق ذلك ثلاثة طرق هي : تضييق مجال الرق ، والحث على حسن معاملة الرقيق ، والتحريض على العتق ، مع تفتيح أبواب التحرير المؤدية إلى تصفية الرق .

أما فيما يتعلق بتضييق مجال الرق ، فقد ألغى الإسلام أسباب الرق التي كانت فاشية ، وقصر جواز الاسترقاق على حالة واحدة ، وهي حالة الأسر في الحرب الدفاعية المشروعة التي يُبيحها الإسلام بأسبابها وشروطها وقواعدها وآدابها ، ولعل الحكمة في إباحة الاسترقاق في هذه الحالة الوحيدة هي المعاملة بالمثل . ولذلك يوكل أمر الأسرى إلى ولي الأمر الشرعي ، فإن رأى المصلحة في العفو عنهم عفا عنهم ، وإن رأى المصلحة في الفداء طالبهم بافتداء أنفسهم . وقد نصت الآية السابقة على هذين الامرين ، ولم تنص على الاسترقاق ، وان كانت المعاملة بالمثل قد ألجأت اليه ، في الوقت نفسه يجب علينا ان نتذكر ان هناك كثيرين من الأسرى مَنّ عليهم المسلمون بلا فداء وبلا مقابل ، فضربوا المثل الاعلى في السماحة وحسن المعاملة .

وأما فيما يتعلق بالرقيق فحسبنا أن نتذكر جانباً من الأحاديث النبوية الكريمة التي جاءت حاثة على نبل التصرف مع الرقيق ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « استوصوا بالأسرى خيراً » . ويقول عن الأسير : « أحسنوا إساره » . ويقول : « اللهَ اللهَ فيما ملكت أيمانكم » . ويقول : « لا يقولن أحدكم : عبدي وأمتي ، فكلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل : غلامي وجاريتي . وفتاي وفتاتي » .

ولقد روي عن الإمام علي انه إشترى ثوبين أحدهما أرقّ من الآخر ، فأعطى الأرقّ لعبده قائلاً له : « أنت أحق مني بأجودهما ، لأنك شاب تميل نفسُك إلى التجمل ، أما أنا فيكفيني هذا » .

وأما فيما يتعلق بالتحريض على العتق وتحرير العبد ، فهناك فيض غامر من أساليب هذا التحريض في الإسلام ، فالقرآن يقول : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ » ، فجعل جواز المرور وسبب التخطي للصعوبة في سبيل الحصول على رضا الله ، هو تحرير عبد من العبيد . وتحدث الرسول عليه الصلاة والسلام عن ثلاثة لهم « أجران » فكان منهم : « رجل كانت له أمَة فأدّبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها ، فله أجران » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « أيما رجل أعتق أمرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار » . وقال : « من ضرب غلاماً له حدا لم يأته ، أو لطمه ، فإن كفارته أن يعتقه » . ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أبا مسعود يضرب عبداً له ، فلامه على ذلك ، فقال أبو مسعود : « هو حر لوجه الله تعالى » . فقال النبي « لو لم تفعل للفحتك النار » .

وقد جعل الإسلام عتق الرقبة كفارة لكثير من الأمور ، فالقتل الخطأ كفارته تحرير رقبة مؤمنة ، والمظاهرة كفارتها قد تكون عتق رقبة ، والحنث في اليمين يمكن التكفير عنه بعتق رقبة وكذلك إفساد الصوم عمداً .

وشرع الإسلام « المكاتبة » وحض عليها ، وهي أن يتفق السيد مع عبده على تحريره مقابل مال يدفعه العبد ، والقرآن المجيد يقول : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً » .

والإسلام يجعل القرابة سبباً للعتق ، فالرسول يقول : « من ملك ذا رحم محرم فهو حر » ، والجارية المملوكة إذا عاشرها زوجها وولدت منه صارت أم ولد له ويكون مصيرها الحرية عقب وفاته ، إذا لم يحررها في حياته .

والعبيد إذا خرجوا فارين من دار الكفر إلى دار الإسلام صاروا أحراراً .

ويسميهم الرسول « عتقاء الله عز وجل » .

وهكذا نرى الإسلام يطرق كل باب ، ويسلك كل سبيل لتصفية الرق وتحرير الأرقاء ، ولو أننا احتكمنا إلى روح الإسلام ومبادئه لما وجدنا اليوم في عالمنا الحاضر من يصلح عليه وصف الرق ، حتى يجوز إسترقاقه بالصورة البشعة الموجودة الآن في دنيا الحرية والمساواة والآخاء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

بين العامية والفصحى

السؤال : ما رأيكم في الدعوة إلى اللغة العامية وإهمال اللغة الفصحى ؟ .

الجواب :

أذكر أن أبا منصور الثعالبي افتتح كتابه « فقه اللغة » بعبارة فيها تمجيد للغة العربية ، وفيها تمجيد للاسلام دين العربية ، وفيها تمجيد للعرب وهم أهل العربية فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم . من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب » .

إلى آخر ما قال في عبارة طويلة على هذا الطراز من تمجيد للغة العربية وتمجيد لقومها العرب ، وربط لهما بمصدر خلودهما وهو الإسلام .

واذا كان اناس ينظرون الى هذه المسألة من زاوية القومية ، فنحن ننظر اليها من الزاويتين معاً . من زاوية العقيدة ومن زاوية القومية . ففيما يتعلق بالعقيدة نرى عجباً . إن هذه العقيدة الإلهية الباقية قد زانت اللغة العربية الفصحى في عدة أمور :

ضمنت لها أولاً معنى القداسة ، وضمنت لها ثانياً معنى البقاء ، وضمنت لها ثالثاً معنى الاستعمال المستمر ، وضمنت لها رابعاً معنى الفَرْضية التعبدية التي فيها مفهوم الواجب الديني .

ضمن الإسلام للغة العربية الفصحى معنى القداسة ، لأنه قد نزل بها كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأصبحت كلمات القرآن المكونة من الحروف العربية شيئاً مقدساً يتعبد به المسلمون ، ويرتله المؤمنون ، ويتقربون به إلى الله رب العالمين .

وضمن الإسلام لهذه اللغة البقاءَ ، لأن الله تبارك وتعالى قد قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وما دام هناك مؤمنون ، وما دام هناك قرآنٌ يتلى ، وما دامت هناك أرض هي الأرض ، وسماء هي السماء ، فإن اللغة العربية باقية خالدة ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، بل وصل الأمر إلى أكثر من هذا ، وهوَ أن الإسلام كما جاء في آثار النبوة قد حدثنا عن بقاء اللغة العربية فيما بعد الحياة الدنيا — فقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينسب إليه أن لسان أهل الجنة عربي ، وذلك في حديثه المشهور الذي قال عنه السيوطي إنه حديث صحيح « أحب العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة عربي » .

وضمن الإسلام للغة العربية أيضاً الإستعمالَ الباقي المستمر ؛ وصنيع الإسلام هنا عجيب ، فقد ضمن لها الإستعمال اليومي . بل الاستعمال اليومي المتكرر ، فالأذان يتردد كل يوم عدة مرات بالعربية الفصحى على أسماع الأمة العربية المؤمنة ، والصلوات تقام باللغة العربية الفصحى ، ويرتل المصلي الفاتحة في كل ركعة من الفرائض ومن النوافل ، وخطب الجمعة تلقى باللغة الفصحى ، وكذلك خطبة العيدين . إلى غير ذلك من دروس الأصلُ فيها أن تلقى في المساجد وفي المحاريب ، وكلها أو يجب أن تكون كلها باللغة الفصحى السهلة المبسطة المناسبة لجمهور المستمعين .

وضمن الإسلام للغة العربية معنى الفرض الديني الواجب ، وهنا نتذكر

أن الإمام الشافعي رضوان الله عليه ذكر في كتابه « الرسالة » أنه يجب ويفرض على كل مسلم أن يتعلم من اللغة العربية القدرَ الذي يصحح به دينه ، وقد تناول هذا بعض الباحثين ، وقال : لعل الامام الشافعي استنبط هذه الفرضية — في تعلم اللغة العربية بقدر ما يطيق الإنسان ويصحح به دينه — من قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فربط صحة الدخول في الصلاة — وهي فرض — بأن يعلم الإنسان ما يقرؤه من كتاب الله ، وهو يقصد علم معاني هذا الكلام . ومن هذا الجانب نعلم أننا مطالَبون شرعاً وديناً وإعتقاداً بأن نحامي دون العربية ، وأن نذود عن كيانها ، وأن نتمسك بها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

والذين ينعقون بالدعوة إلى العامية والمناصرة لها يتولون من مظاهر الحياة ومن التمكن في وسائل النشر والتأليف والكتابة ما يستطيعون به أن يزعموا لأنفسهم أو لغيرهم أن لهم في ميدان الدفاع عن القومية نصيباً كبيراً ، وهذا غير صحيح ، لأن أكبر دليل على أنهم غير أوفياء للقومية العربية ، أنهم يحاولون هدم العامل الأساسي والمقوم الأصلي للعروبة وهو اللغة العربية ، وتاريخ الأمة العربية كان صراعاً بين الحفاظ على أمتنا العربية وبين أعدائها الذين يريدون أن يهدموا مجدها عن طريق هدم لغتها العربية . ففي العهد العثماني وجدنا أن العرب قد شكوا مُرَّ الشكوى من أن الأتراك أرادوا أن يسوّدوا لغتهم التركية ، وأن يهدموا أمامها اللغة العربية ، وكان هذا أحدَ العوامل القوية التي دفعت العرب إلى الثورة والنهوض ضد العثمانيين ، واعتبروا هذه الناحية كرذيلة وقعت فيها الدولة العثمانية لتهدم اللغة العربية .

وكذلك عَمِل الإنجليزُ في عهد الإحتلال على إحلال الإنجليزيةَ محل العربية ، مع أن اللغة هي عماد العروبة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليست العربية لأحدكم بأب أو أم ، وإنما العربية هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » . وهذا يشير إلى أن اللغة العربية هي أساس معنى العروبة في نفس المتحدث بها ، المستمسك بأهدابها . فاذا جئنا نحن وخذلنا العربيةَ

الفصحى نكون قد هزمنا الصفة الأساسية للعربي الذي يغار على قوميته ويعتز بلغته العربية .

ومن ناحية ثانية نرى هؤلاء الذين يناصرون العامية أمكر وأخبث من العثمانيين ومن الإنجليز ، لماذا ؟ . لأن العثمانيين عندما حاربوا اللغة العربية حاربوها بلغة أجنبية عنها وهي اللغة التركية ، فكانت المحاربة بلغة أجنبية سبباً في « رد فعل » من العرب ، وهو أن يحاموا عن لغتهم في صراعها مع لغة أجنبية ، وكذلك الشأن مع اللغة الإنجليزية حينما أريد لها أن تحتل البيئة العربية ، حيث كان العرب يشعرون بأن اللغة الإنجليزية دخيلة عليهم ، فيجب أن يحرصوا على اللغة العربية .

أما الذين يدعون إلى العامية فهم يدهنون سعيهم بالخبث واللؤم ، ويقولون إننا سنتكلم العربية ، ولكن ليست عربية القاموس ، ولا عربية سيبويه ، بل عربية سهلة دارجة هي اللغة العامية . وهم يريدون بذلك أن يقولوا : إننا لن نترك العربية ، وإنما سننطق بلهجة عامية ، وبهذا يضعفون عنصر المقاومة أمام هذه الدعوة الخطيرة .

ومن الواجب أن نتذكر أن القومية العربية تنهدم بهذه اللهجات العامية ، فتصبح الأمة العربية بعد قليل فِرَقاً ومِزَقاً ، ونحن نعرف فروقاً كثيرة بين اللهجات حتى في القطر الواحد أو الدولة الواحدة ، فماذا لو أن كل بلدة توزعتها عدة لهجات ؟ . لا شك أن هذا يكون فيه ضياع للقومية العربية من جهة ، وضياع للعقيدة ولغة القرآن من جهة أخرى .

وإني أعتقد أن هناك معقلاً من معاقل العربية ، من واجبه أن يستمر في الحفاظ على هذه اللغة ، وهو الجامع الأزهر الشريف ، الذي ثبت خلال مقاومته للتيارات الوافدة والمعاني المتحللة واللهجات غير العربية . فيجب عليه – وهذا تاريخه وماضيه – أن يظل دائماً مقاوماً لهذه الآفات الوافدة أو لهذه النزعات الخبيثة ، ولا يمكن أن يرجى الإستقرار لمعنى الحفاظ على اللغةالعربيةالفصيحة . إلا إذا تذكر الأزهر الشريف دائماً المعنى الأساسي الخالد في رسالته ، وهو

أن يقوم دائماً بصيانة القرآن ولغة القرآن ، وإذا كان من الواجب أن تترهب فئة من المسلمين والعرب لخدمة اللغة العربية الفصحى ، فإن أول من يجب عليهم أن يترهبوا هم أبناء الجامع الأزهر الشريف .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حق الفتوى

السؤال : ما هي الشروط التي يجب توافرها فيمن يفتي الناس ؟ . وهل من حق كل من يريد ، أن يتهجم على الإفتاء في الدين ؟ .

الجواب :

أكاد أعتقد أن الذي أثار هذا السؤال هو ما لوحظ من إتساع التهجم على الفتوى ، والأخذ بالرأي في دين الله عز وجل ، دون برهان أو مستند من كتاب أو سنة ... وإذا صح لأي شيء من أشياء الدنيا أن يتسع فيه المجال لتحكيم الرأي أو الهوى ، فإن الشيء الذي يجب أن يتنزه عن هذا التهجم هو دين الله تبارك وتعالى ، لأنه شرعه وإختصاصه ، وهو العلي الكبير .

ولقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخافون التعرضَ للفتوى ، ويحذرون التسرعَ فيها ، لا لضعف بهم ، أو قصور عندهم ، بل هيبةً فيهم من الله ، وإجلالاً لدينه ، وكان كل منهم يود أن يكفيه غيرهُ شأنَ الفتوى ، وقد روى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه رأى مائة وعشرين صحابياً لا يُسأل واحد منهم عن شيء في دين الله إلا ودّ أن أخاه كفاه الإجابة ، لأنهم حين يفتون يحدّثون عن الله ، ويبلّغون حكمه ، بعد أن تلقوه من الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا مجال يحتاج إلى حيطة وتحرز وتخوف .

وقد قال عبدالله بن عباس : « إن من أفتى في كل ما يسألونه عنه لمجنون ».
وقال سحنون بن سعيد : « أجسرُ الناس على الفتيا أقلُّهم علماً » .

وقد لاحظنا في العهود الأخيرة جرأةً عجيبة على الفتوى في الدين . حتى صارت هذه الجرأة كالشهوة المستبدة المسيطرة ، تتحرك أحياناً للتعالم والتظاهر ، وأحياناً للمصلحة والمنفعة . وأحياناً للملق والنفاق .. ورأينا من يتهالكون على الإفتاء يزدادون ويتضخمون ، وفيهم الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، والعلماء والجهلاء .

ورأينا أفانين من العجب في هذا الباب ، فهذه سيدة تقول في مجلة تحمل إسماً إسلامياً : إن المراد بالبيت في قوله تعالى : « وقرن في بيوتكن » ليس البيت المعروف في لغة العرب ، ولكنه المجتمع أو العالم ..... وهناك من أفتى بإباحة الفطر في رمضان ، وهناك من أفتى بقطع الصلة بين الدين والدولة ، وهناك من أفتى بحل بعض أنواع الربا ، إلى آخر ما هناك من فتاوى اعتمدت على الرأي أو الهوى ، دون إستناد إلى نص أو برهان مقبول . وما بنا من تهوين لشأن العقل أو البحث أو النظر ، ولكن الرأي إذا لم يعتمد في أمر الدين على أصول وقواعد ومبادىء كان ضلالاً أي ضلال .

وأمر التحليل والتحريم شأن يجب أن يكون له في نفس المسلم هيبة وإجلال ، لأن هذا الأمر من إختصاص الله وحده ، وقد كان الناس قبل الإسلام يستبيحون لأنفسهم أن يُحلوا الحرام أو يحرّموا الحلال ، فهذه هي « الرهبانية » مثلاً قد حرمت كثيراً من الطيبات وألوان الحلال التي لم يحرمها الله سبحانه ، وفي الجهة المقابلة للرهبانية نجد « المزدكية » الفارسية تتجاراً فتبيح كثيراً من المحرمات والخبائث التي نهى الله عنها ، وخاصة فيما يتعلق بالأعراض والأموال ، ثم جاء الإسلام — ودستوره الأساسي هو القرآن الكريم — فصحح الوضع ، ورد الحق إلى صاحبه وهو الله سبحانه ، وجعل التحليل والتحريم من اختصاص الخالق وحده ، لأنه العليم بعباده ، الخبير بشئونهم وأحوالهم ، المسيطر عليهم .

ونجد أن القرآن الكريم قد كرر الإشارة إلى ذلك في مواطن متعددة . فتارة يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وفي موضع آخر يقول : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » . ويقول : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً ، قل : آلله أذن لكم أم على الله تفترون »؟. ويقول الله تعالى مخاطباً نبياً من أنبيائه ، وآمراً له بأن يلتزم الحكم بالحق الذي جاءه من قبل ربه : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . ويقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » . والإشارة في هذه الآية إلى عدم وجود الحرج عند الحكم تفيد أن بعض الأحكام ربما لا توافق هوى بعض النفوس ، والواجب على المسلم أن يتقبل حكمَ الله برضا نفس وإنشراح صدر ، ويطيع ربه في المنشط والمكره ، لأنه ربه ، وهو أعلم وأحكم . ويقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم » .

وأظن أن هذه الطائفة من الآيات كافية في الدلالة على تحذير الله سبحانه من الإفتراء على الله ، أو القول في الدين بغير علم ، أو الإفتاء بالرأي والهوى . فننتقل بعد ذلك إلى السنة النبوية المطهرة ، لنجد الرسول يقول : « إن الله لا ينزع العلمَ من صدور الرجال إنتزاعاً ، ولكن ينزع العلم بموت العلماء ويبقى رؤوس جهال يُستفتون فيفتون برأيهم ، فيضلون ويُضلون » . ويقول النبي أيضاً : « اتقوا الحديث عليّ ألا ما علمتم ، فمن كذب عليّ متعمداً ليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه (أي بهواه دون دليل أو سند) فليتبوأ مقعده من النار » . وقد قالوا في معنى هذا : هو أن يكون للقائل في الشيء رأي ، وإليه ميله وهواه ، أو فيه مصلحته ومنفعته ، أو له مأرب خاص ، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليحتج على تصحيح غرضه .

ولو لم يكن له هوى أو غاية لكان لا يرى هذا الرأي . ويقول الرسول أيضاً : « يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وإنتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

ثم نجد الخليفة الأول أبا بكر الصديق يقول عن إتباع الرأي أو الهوى في تفسير القرآن : « أي أرضُ تقلني ، وأي سماء تظلني ، إن قلتُ في كتاب الله برأيي » . ويأتي عمر الفاروق فيقول عبارة عميقة الدلالة بليغة المعنى . وكأنها تنطبق على فريق ممن يتجارأون على الفتوى بغير علم في هذا الزمان ، وبغير أن يراجعوا ويتفقهوا ويحفظوا . يقول عمر : « أصبح أهل الرأي أعداء السنن ، أعيتهم أن يعوها ، وتفلتت منهم أن يرووها ، فاستبقوها بالرأي » ، فلما عجز هؤلاء عن الإحاطة بسنة الرسول ، ولم يتمرسوا بأسباب التفقه ، والتثبت والمراجعة ، ولم تتوافر فيهم شروط الإفتاء والقول في الدين بدليل وبرهان ، فتحوا على أنفسهم باب القول بالرأي الظنين والحكم الفطير ، ظانين أن ذلك يرفع قدرهم وينوه بهم ، وهم لا يزدادون مع إتباع الهوى إلا ضلالاً وخبالاً ...

ويقول الإمام مالك : « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا في قولي ، فكل ما وافق الكتابَ والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق الكتابَ والسنة فاتركوه » ونرى المجدد الأول في تاريخ الأمة الإسلامية « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » يكتب إلى الناس قائلاً : إنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول الربيع بن خيثم : « إياكم أن يقول الرجل لشيء إن الله حرَّم هذا أو نهى عنه ، فيقول الله : كذبتَ لم أحرمه ولم أنه عنه ، أو يقول إن الله أحل هذا أو أمر به ، فيقول الله : كذبت لم أحله ولم آمر به » .

وقد أجمعت الأمة على أن الرأي لا مجال له مع وجود نص في القرآن أو في السنة الصحيحة ، وأن الرأي الذي يعارض واحداً منهما رأي باطل ، يأثم به صاحبه ، ولا يصح العمل به ، والسادة الأحناف يرون تقديم العمل بأحاديث الآحاد على القول بالرأي ، والإمام أحمد بن حنبل يقدم على الرأي

الأخذ بالحديث الضعيف إذا لم يثبت أنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ونحن نتذكر الشروط الواجب توافرها في المجتهد ، ومنها أن يكون الإنسان عالماً بالقرآن ، لأنه المصدر الأساسي للتشريع والحكم ، وأن يكون عالماً بالسنن والروايات ، وأن يكون عالماً بلغة العرب وأساليبهم والشعر العربي ، وأن يكون عالماً بأقوال السابقين ومواطن الإجماع ، وأن تكون له قريحة وقادة ، وذهن صالح للإستنباط والاستنتاج .... إلى غير ذلك من الشروط . ومع تذكرنا لهذه الشروط أرى أن الأمة الإسلامية لا تخلو ممن يصلح للإجتهاد ، لأن الخير في أمة محمد إلى أن تقوم الساعة إن شاء الله تعالى . وأعتقد أن هذه الأمة الكبيرة المترامية الأطراف لا تخلو من شخص صالح لمهمة الإجتهاد ، وإن كنت في الوقت نفسه أرى أن مثل هذا المجتهد لن يجتهد فيما فرغ الفقهاء من بحثه وتقعيده وتقرير حكمه ، بل إن الإجتهاد اليوم سيكون في منطقة محددة ، هي منطقة تلك الأوضاع التي جدت على الناس من أمور الحياة ، مما لم يكن موجوداً أو معروفاً على عهد السابقين ، وفي هذه الحالة ستكون مهمة المجتهد أن يدخل الوضع من الأوضاع الجديدة تحت قاعدة شرعية ، تجعله جائزاً أو مباحاً ، أو أن يبين ما فيه من خروج أو معارضة لأصل من الأصول الشرعية ، فيحكم عليه بالمنع والحرمة .

ومهما يكن من أمر فإني أعتقد أن واجب الذين يتعرضون للفتوى ، أو تعرضهم ظروفهم لها ، أن يتذكروا أولاً وقبل كل شيء أنهم يبلغون عن الله ، ويتحدثون في الدين ، ومثل هذا المقام يحتاج إلى العلم ، وإلى الخشية ، وإلى تقوى الله في كل كلمة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أخطار السعاية

السؤال : ما مدى الأخطار التي تنجم في المجتمع من وراء رذيلة السعاية بين الناس ؟ .

الجواب :

كلمات « السعاية » و « النميمة » و « الغيبة » ألفاظ متقاربة المعنى . وهي تدور حول مفهوم الإفساد بين الناس ، سواء أكانوا متماثلين أو متفاوتين ، وسواء أكانوا من سواد الرعية أو كانوا من الرعاة ، أو كان لبعض منهم مكانة ومنزلة . والسعاية فيها معنى الإفساد في الأرض ، والقرآن الكريم قد أشار إلى ذلك حينما تحدث عن الذين يسعون في الأرض فساداً ، والذين يهلكون الحرث والنسل ، كقوله : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ، وقوله في اليهود : « ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين » . ومن الآيات التي تشير إلى معنى السعاية ، قول الله تعالى في زوجة أبي لهب : « وامرأته حمالة الحطب » ، فقد روى في بعض التفاسير أنها كانت تسعى وتنم ، وتفسد بين الناس قدر استطاعتها .

ومن الأحاديث في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتّات » أي نمام . وقوله أيضاً : « لا يدخل الجنة قاطع » قالوا : وما القاطع يا رسول الله ؟ . قال : « القاطع ما بين الناس » . وإن كانت هناك رواية مشهورة تقول إنه قاطع الرحم ، ولكن بعضهم يذكر هذه الرواية ، ويقول إن المراد بالقطع هنا النم والإفساد بين الناس . وإذا كانت السعاية يمكن أن يوصف بها الساعي لدى كل إنسان ، قادر على الإضرار أو غير قادر ، من ناحية المعنى اللغوي ، فإني أكاد أفهم أن العرف قد اشتهر في إطلاق « السعاية » على عمل الشخص الخسيس الذي يريد أن يوقع بشخص لدى آخر يملك

إضراره . سلطاناً كان المسعيُ إليه أو غنياً ، أو قادراً في أي وجه من وجوه السلطة : حتى يوقع به الضرر ، أو يمنعه من حق له . بحيث يترتب على السعي مضرة للمسعى به من المسعى إليه ، بحيث تكون المضرة ناشئة عن السعي الذي قام به ذلك الساعي . فالمعنى اللغوي عام . وهو أن السعاية قد تكون عند السلطان وقد تكون عند غيره . ولكن إشتهر في العرف أن السعاية لون خاص من النميمة ، وهي أن تكون عند شخص يقدر على إلحاق ضرر بمن سُعيَ فيه . فكل سعاية نميمة ، وربما كانت النميمة لا تبلغ حد السعاية ، وان كان كل منهما سوءاً وبلاء .

والواقع أن الصورة التي نجدها في كتبنا الإسلامية للسعاية صورة تكاد تحصر هذا العمل في أسوأ خلق الله وأدنئهم ، ولذلك نجد الحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يقول ، وقد رأى طائفة من هؤلاء الساعين بين الناس : « لا مرحباً بالوجوه التي لا تُرَى إلا في الشر » . وبعض سلفنا الصالح كان يقول : ما ظنكم بقوم يُحمد الصدق من كل طائفة إلا منهم ، فإنه لا يُحمد .

والواقع أن السعاية تدل على ضعف النفس وخستها ، وعدم قدرة صاحبها على مواجهة الحياة ، فهو لم يستطع أن يخاصم مجاهرةً ومعاينة ، فاحتال ليصيد في الماء العكر ، وليكيد في الظلام ، فالتجأ إلى أضعف الطرق ، والسعايةُ في أغلب الأحيان تدل على الحقد الدفين ، وعلى الحسد الرخيص ، ولذلك لا يسعى إلا شخص لئيم خسيس ، في حق رجل يكون أفضلَ منه ، أو هو يعتقد أنه أفضل منه وإن كان غير ذلك في الحقيقة والواقع . وإذا كنا نذم من يسعى مرة ، فيجب أن نذم من يستمع إلى السعاية عشرات المرات . وإذا كان الشخص لضعفه ولؤمه وخسته قد دفعته دوافعُ خسته ولؤمه إلى أن يسعى ، فإن الرجل الكبير ، أو الرجل القادر ، أو الرجل الحاكم ، أو الرجل المتمكن من الشخص المسعى فيه ، إذا استمع لهذه السعاية ، وإستجاب لهواتف الشيطان فيها ، فإنه يكون أشدَّ تبعة ، وأسوأ مصيراً ممن سَعَى إليه ، لأن الساعي سعى وهو في طوفان من ضآلته ولؤم نفسه ، أما الرجل الكبير المتمكن من

جاهه أو مكانته فهو قادر على المراجعة ، وعلى تمحيص الآراء والأقوال التي تُنقل إليه .

ولذلك روى عن خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن رجلاً سعى لديه فقال له عمر : إن شئتَ بحثنا أمرك . فإن كنت كاذباً فأنت ممن قيل فيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » . وإن كنت صادقاً فأنت ممن قيل فيه : همّاز مشاء بنميم » ، وإن شئت عفونا عنك على ألا تعود إلى ذلك ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أرجو العفو ، على ألا أعود إلى ذلك أبداً .

هذه المواقف وأمثالها تدل على أن الأئمة الأعلام من رجال هذه الأمة كانوا يأخذون حذرَهم من أمثال هؤلاء الساعين المجرمين المفرِّقين بين الناس ، المفسدين بين الأحبة ، الباغين للبرآء العيب ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ماذا يكون موقف الرجل الذي يُسْعَى إليه ؟ . إن أئمتنا وفقهاءنا قد تحدثوا عن هذا ، فقالوا إن الرجل الكبير ، أو صاحب السلطان ، أو الذي يستطيع أن يضر المسعيَّ به إليه . يجب عليه عدة أمور : الأمر الأول ، هو نهي من سَعَى إليه عما فعله ، وتحذيره من العودة إلى ذلك ، استجابة لقول الله تبارك وتعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . والتحذير من السعاية نهى عن منكر ، بل هو نهى عن منكر شديد خسيس لا يجوز أن يقترفه مسلم .

الأمر الثاني : ألا يصدق المسعيُّ إليه ما قيل له ، وأن يتذكر أن هذا القول إن كان صدقاً فهو شيء بغيض ، وإن كان كذباً فهو أخس ، وهو أولى الأشياء بالرفض .

الأمر الثالث : أن يبحث عن حقيقة ما قيل ، حتى يكون على بينة من أمره ، إستجابة لقول الله تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » .

والواقع أن السعاية لها مداخل خبيثة ووسائل عديدة ، يسعى بها الرجل الخبيث عند المسعى لديه ، حتى يقرع أماكن الإستمالة والإستجابة لهذه

السعاية . وأذكر من هذا القبيل أن أحد أمراء المؤمنين في العصر العباسي كان يجلس ، وبجواره أحد الأشخاص ، فدخل عليه شاك يشكو شخصاً غائباً بينه وبين هذا المجاور للأمير عداوة ، فجعل الرجل الشاكي يشكو الغائب ، وكلما ذكر شيئاً في أمره قال الرجل المجاور للخليفة « يا سبحان الله ، يا سبحان الله » . ولا يزيد عليها شيئاً ، وكان أحد العلماء حاضراً المجلس ، فخرج يقول لصاحب له : ما علمت أن كلمة (سبحان الله) تحسب في سيئات العبد إلا اليوم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين السعي والتوكل

السؤال : **امرنا الله تعالى بالسعي وبالتوكل ، فكيف توفق بينهما ؟ وما موقف التصوف منهما ؟ .**

الجواب :

عمادنا في فهم ديننا هو كتاب ربنا . وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ونحن نتحدث عن السعي وعن التوكل ، فإذا رجعنا إلى القرآن وجدنا فيه طائفة من الآيات الكريمة تتحدث عن السعي والعمل والأخذ في الأسباب . كقول الله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » . وقوله : « ومن أراد الأخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » . وكقوله : « فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » . وقوله : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ، إلى آخر هذه الطائفة من الآيات الكريمة الدالة على طلب السعي والعمل والأخذ في الأسباب . وإذا ما رجعنا

---

(١) انظر الجزء الثاني من كتابي « أخلاق القرآن » فصل « التوكل » الصفحات ٢١٤ — ٢٢٧ .

إلى القرآن أيضاً وجدنا فيه طائفة تبلغ عشرات من الآيات الكريمة عن التوكل وذكر المتوكلين بالخير : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ويخيل إليّ أن الرجوع إلى هاتين الطائفتين من الآيات كاف لكي يفهم العام والخاص أن القرآن يطلب إلى المسلم أن يكون ساعياً ، وأن يكون متوكلاً ، فإذا إنتقلنا من روضة القرآن الكريم إلى هدى النبي صلى الله عليه وسلم ، وجدناه أيضاً يأمرنا في طائفة من أحاديثه بالسعي والعمل ، ويرشدنا في طائفة أخرى إلى السعي والتوكل ، ففي السعي نجد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **لأن يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يسأل** الناس ، أعطوه أم منعوه » . ونجد البخاري يروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حينما أُلقي في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم عندما تلا قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، فنجد الرسول كذلك يدعونا إلى العمل والسعي ، ويدعونا إلى التوكل والإعتماد على الله .

ولكن ما المراد بالسعي وما المراد بالتوكل ؟ ، معنى السعي واضح في أذهاننا ، وهو إتخاذ الأسباب والوسائل المؤدية إلى الحصول على مراد الإنسان في هذه الحياة ، بشرط أن يكون مما أحله الله وأباحه في هذه الحياة . أما التوكل ، فأكاد أفهم فيه فهماً أرجو أن يكون صواباً . أكاد أفهم أن التوكل معناه الثقة بالوصول إلى مراد الإنسان ، ما دام السبب قوياً ، وما دام الإيمان يعمر قلب الساعي ، وما دامت هذه الثقة موجودةً على تمامها في قلب هذا الساعي ، ومعنى هذا أن الإنسان يأخذ في الأسباب ، فيكون هذا هو الجسم أو الهيكل ، ثم يعمر هذا الجسم أو هذا الهيكل بروحه الذي يوصل إلى الإنتاج ، وهو الإيمان أو الثقة أو حسن اليقين وحسن الظن في الله سبحانه وتعالى . وقد روى لنا الرسول في الحديث القدسي قولَ ربه : « أنا عند ظن عبدي بي » ، فهذه الثقة بالله التي أفهم أنها معنى التوكل ، هي التي تجعل السعي مفيداً ومنتجاً وموصلاً : مفيداً لأن الإنسان عندما يتكل على الله ، ويعتمد

عليه ، ويثق به ، ويرجو منه ، يشعر بأنه قد ربط أسبابه بقوة تعلو على كل قوة في الحياة الدنيا ، وتعلو على كل قوة في هذا الوجود ، فيستمد من هذا الإرتباط قوةً معنوية تشع على القوة الحسية فتزيد فيها ، لأنه يتذكر بأنه مرتبط الأواصر بهذا القوي القادر ، مالك الملك ، قيوم السموات والأرض ، رحمن الدنيا والآخرة ، الذي إذا قال للشيء كن كان .

فإذا وصل الإنسان إلى نتيجة العمل ، وكانت خيراً وفوزاً ونجاحاً ، فإن هذه الثقة بالله ، هي التي تجعله عندما ينتصر ويفوز ويحصل على ما أراد ، يتطامن ويتواضع ، ويتذكر أنه لم يصل إلى هذا النجاح ، أو إلى هذا الفوز ، بحوله وقوته ، بل بحول الله وقوته ، لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولأنه لا بلوغ ولا وصول إلا بالله سبحانه وتعالى .

وإذا كانت النتيجة عكسَ ذلك ، بأن كانت هزيمة وفشلاً .. فإن هذا التوكل أيضاً ، هو الذي يهوّن على الإنسان هذا الإنكسار ، ويجعله يتقبل الفشل بنفس راضية مطمئنة ، واثقة بأن لله حكمة من وراء هذا الفشل ، وبأن الذي كتب عليه الفشل اليوم سيكتب له في محاولاته القادمة النجاح والفوز ، ما دام يتذرع بالأسباب التي يشرعها الله ، وما دام يحاول الإخلاص في تجنب ما يغضب الله .

ومعنى هذا أن الإنسان له عمله وهو في إتخاذه الأسباب لا يقتصر على الوسائل المادية التي يراها في كثير من الأحيان تتخلف ، أو تؤدي إلى عكس المطلوب والمراد .

وتحدثنا السيرة النبوية العطرة أن الرسول استعان في هجرته إلى المدينة برائد أو دليل مشرك ، وهذا أقصى ما يمكن أن يتذرع به الإنسان من وسائل الإستعانة ، وقد جاءت أغلب آيات التوكل في القرآن الكريم مصحوبة بذكر الإيمان : « الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » ، « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » . فكأن هناك رابطة وثيقة بين التوكل والإيمان ،

لان السعي يبدأ أولاً . وهذا السعي لا بد له من يد ترشده وتسدده وتدعمه ، وهذه اليد هي الثقة بالله سبحانه وتعالى . وحسن الظن به والإيمان بأنه واهب القُوَى والقُدَر .

كذلك يخيل إليَّ أن هذا هو السر في آيات كثيرة من آيات التوكل جاءت أيضاً مقرونة بذكر الصبر مثل : « الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » ، وكأن هذه الإشارة الدقيقة من الله سبحانه وتعالى لعباده تعني أن التوكل مصحوب بالمصابرة والمداومة على السعي مع استشعار هذه الثقة بالله سبحانه وتعالى . وما دام هناك سعي معه إيمان وصبر ، وثقة بالبلوغ والوصول إلى الغرض ، فإن هذا غاية ما يمكن أن يصل إليه الإنسان .

وأما ما ذكر عن التصوف والتوكل . فلا نستطيع أن ننكر أن عدداً كبيراً هائلاً ممن نُسبوا إلى التصوف قد أساءوا الحديث عن التوكل ، واستفاض هذا الفهم السيء في كلمات كثيرة ممن استغلوا فرصة ضعف المجتمع الإسلامي ، وتخلفه عن ركب الحياة الجادة ، فأشاعوا هذه الكلمات التي يفهم منها الإنسان أنه في باب التوكل يترك الأسباب والمسببات ولا يعتمد فقط إلا على التوكل .

والواقع ان التصوف الصادق هو الذي يجعل الانسان في مرتبة الإحسان الذي يعبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وهذه المرتبة تجعل الإنسان مؤمناً أبداً بأن كل خطوة وكل فكرة وكل تصرف وكل عمل منه . مشاهَد ومراقَب من الله سبحانه وتعالى . والإنسان وهو صنعة ربه تعالى لا يريد الله منه إلا أن يكون في أحسن أحواله ، وما دام سبحانه مطلعاً عليه في كل لحظة من لحظاته ، فالإنسان يحرص بفضل هذا أن يكون على أحسن حال من العمل ومن الفكر ومن التصرف . فكأن الإحسان سيدفع الإنسان إلى أن يحسن العمل في كل حال ، بجوار هذا الإيمان فهذه الثقة . وعلى هذا المعنى فهم كبار الصوفية والعقلاء البصراء منهم معنى التوكل . فكانوا حين دعوتهم إلى التوكل وتزكيتهم له لا ينسون الحضَّ على العمل وإتخاذ الأسباب . ويفهمون أنها تؤدي إلى

المسببات بتوفيق الله سبحانه وتعالى .

ولذلك نجد رجلاً كالإمام ابن القيم يكتب كتاباً في ثلاثة مجلدات ، هو كتاب (مدارك السالكين) ، حول تفسير قول الله تبارك وتعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » . وفي هذا الكتاب يشير ابن القيم إلى قول الإمام أحمد بن حنبل « إن التوكل عمل القلب » ؛ فليس التوكل عنده كلمة تقال باللسان ، وليس هو حالة سلبية يتواكل فيها الإنسان ولا يعمل ، وإنما هو عمل القلب . وكأن الإمام أحمد بن حنبل عندما يخص القلبَ بعمله ، وهو التوكل ، يوجه النظر إلى أن الحواس والأعضاء والأطراف والقوى المادية الجسمية في الإنسان لها عمل آخر . وهذا يؤيد ما سبقت الإشارة إليه ، وهو أن السعي عمل الحواس والأطراف ، لأن هذا هو العنصر المادي المتحرك الساعي ، وبجوار هذا عمل القلب ، وهو عنصر الإيمان والثقة والإعتماد على الله وحسن الظن والوثيق الرجاء منه .

ويتلخص هذا في قول الله تعالى : « اياك نعبد وإياك نستعين » ، فإياك نعبد ترمز إلى العمل ، وإياك نستعين ترمز إلى التوكل والإعتماد وحسن الظن ، لأن العبادة بمعناها العام المفهوم من روح الإسلام ليست مقصورةً على الأركان الشرعية التي يجب أن نؤديها في طليعة عبادتنا وطليعة تقربنا إلى الله ، إنما العبادة بمعناها العام في الإسلام هي كل عمل صالح يفيد دنيا المسلمين أو دينهم . فمعنى « إياك نعبد » يمثل جانب العمل الصالح الطيب الذي يقرِّب الإنسان من ربه ، عن طريق إصلاحه لشئون دينه ، وإصلاحه لشئون دنياه ، و « إياك نستعين » فيها معنى طلب الإعانة ، وطلب التوفيق ، وطلب الإرشاد ، وطلب الهداية ، وهذه الإستعانة تجعل الساعيَ العامل لا يقصر نظره على هذه الأجهزة المادية ، سواء كانت بشرية أو حديدية أو أرضية ، لأن هذه الأسباب عندما تفسد لسبب ما تجعل الإنسان عند فسادها يشعر بالضيق والقنوط واليأس ، ويخيل إليه أن الوسيلة الوحيدة أمامه قد إنعدمت ، فيركن إلى القنوط وإلى اليأس . أما إذا أحس بأن الوسائل التي أمامه لم توصله إلى أغراضه ، وأتى عنصر الإيمان والثقة ، فإنه يفهم أن هذه المحاولة تتبعها محاولات ، وأن الذي

أفسد عليه هذا ليس فقط مجرد هذه الأسباب التي في يديه ، فهناك من فوق هذه الأسباب القريبة قوة عليا تستطيع أن تعينه إذا احسن الإتجاه إليها ، وتستطيع أن تبعث فيه نور الأمل والرجاء إذا ما عاد إليها ، محاولاً التقرب منها بالوسائل العلمية والعقلية والروحية المشروعة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كيف نقضي على التحلل ؟

السؤال : **زاد التحلل بين الكثيرين فحشا واتساعا ، فما أسباب ذلك ؟ . وما الطريق إلى العلاج ؟ .**

الجواب :

لقد جاء الإسلام العظيم فعلّم أتباعه العفةَ في كل شيء : العفة في الثياب ، حيث أمر بستر العورة للرجال والنساء ، والعفة في النظرة ، حيث أمر بغض البصر ، والعفة في الكلمة ، حيث أمر بأن تكون الكلمة طيبة ، بل جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الكلمةَ الطيبة صدقة . وعلّم الإسلام أتباعَه أيضاً الحياء : الحياء في التصرف ، وفي القول ، وفي النظر . وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الحياء لا يأتي إلا بخير . وأنه شطر الإيمان ، إلى أحاديث كثيرة واردة في هذا الباب . كما علّم الإسلام أتباعَه ألا يذيعوا مفسدة من المفاسد . أو يشهروا برذيلة من الرذائل ، أو يكثروا الحديث عن الإثم أو الذنب ، حتى لا يكون ذلك وسيلة إلى إشاعة المفسدة ، أو الجرأة على الجرائم . وهدى الإسلام يتجه إلى أن نحصر الجريمةَ في أضيق نطاق . وأن نأخذ صاحبها بعقابها دون إشاعة لها بقدر ما نستطيع ، ونكاد نفهم هذا المدى من قول الله تبارك وتعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وهذه الآية جاءت كما نعرف بسبيل الحديث عن موقف كان فيه إفتراء وإثم وإشاعة لمثل هذه الرذائل التي لا يجوز نقلها ، حتى ولو كانت حقيقية ، فضلاً عن كونها مفتراة أو مكذوبة .

وظل المسلمون على ذلك عهداً طويلاً ، حينما كانوا خاضعين لكتاب الله تعالى ، آخذين بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم استبدت بهم الأهواء والشهوات ، ووصلوا إلى درجة من التحلل لا يحسن إطلاق كلمة عليها غير كلمة « الفجور » ، فصار هناك فجور في الكلمة ، ففريق من الناس يستعملون في كتاباتهم الكلمات الفاجرة التي تصف الرذيلة أو تنوه بالإثم ، أو تستحسن الإنحراف والإنحلال ، وهنلك فجور بالصورة ، فهناك مجلات تعني بنشر صور فاضحة ، لا غرض منها ولا نتيجة لها إلا التحريض على التحلل ، والحث على الإثم ، والدفع إلى الرذيلة ، وهناك فجور في الكلمة المنطوقة بعد فجور الكلمة المكتوبة ، وأظن أن المستمع لحوار المتأثرين بهذا الفجور في مجتمعنا يسمع من أوصاف العورات ، وشتائم الآباء والأمهات ، والوصم بقبائح الرذائل والفواحش ، ما يدل فعلاً على أن الفجور قد استشرى على أيدي الذين لم يعرفوا عفة ، ولم يألفوا حياء ، ولم يتأدبوا بأدب الإسلام العظيم المعلم للعفة والحياء والفضيلة .

ونحن نتعرض لموضوع يعتبر آفة الآفات في مظاهر الإنحلال الخلقي ، لأن إشاعة الفاحشة ، وتصوير الإثم بالصورة التي تحرض عليه وتدعو إليه ، هما اللذان يدعوان إلى كثير من المفاسد الخُلقية والإجتماعية ، ومن اليسير علينا أن نتلمس الشواهد من ديننا وفقهنا وتاريخ أمتنا للطريقة اللازمة في معالجة هذا الفجور وهذا الإنحلال .

ويحضرني الآن أن خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت له وقفات في مثل هذا المجال . فعندما اطلع على بعض أشعار للشاعر « نصيب » يذكر فيها صوراً غرامية ، ويشهّر فيها ببعض النساء ، حكم بإعتقاله ونفيه إلى مدينة « دابق » ، وإبقائه فيها لا يخرج منها حيناً من الزمن ، حتى تاب وأحضر مَنْ شهد له بتوبته عند الخليفة الراشد ،

وحينئذ سمح له بمغادرة القرية التي نفاه إليها .

وعلم خامس الراشدين أيضاً أن الشاعر « الأحوص » له أشعار يتحلل فيها ، ويذكر صوراً تثير ، أو تحرص على الإثم أو الفتنة ، فاعتقله ونقله إلى جزيرة تسمى « دهلك » وهي جزيرة في بحر اليمن . ولما جاءه تابعه يستأذنه عند توليته الخلافة أن يدخل عليه الشعراء ، جعل عمر يسأله عن أولئك الشعراء ، فكلما ذكر له شاعراً استشهد له عمر ببعض شعره الذي ذكر فيه لوناً من ألوان التحلل أو الحض على الإثم ، وقال : والله لا ألقاه أبداً . ولا يدخل عليّ فيذكر له التابع اسماً آخر . فيذكر له عمر بعض شعره الذي فيه شيء من هذا النوع المتحلل . ويقول : والله لا ألقاه أبداً ، عليه لعنة الله . أو أبعده الله ... ولم يأذن عمر في النهاية إلا لجرير الذي جاء – لا هاجياً ولا متفحشاً في القول – وإنما جاء طالباً بعض الرفد لأولاده ، بعد أن أصابه الضر . وخرج جرير يقول : لقد خرجت من عند رجل يعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء . ومع ذلك فإني عنه راض ، وأشهد الله أنه رجل صالح ، ونجد تفصيل الحديث عن هذه المواقف في كتابي « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » .

فتاريخنا يدلنا على أن الخلفاء والحكام المسلمين كانوا يرون من واجبهم منع هذه المفاسد الكلامية أو التصويرية ، حتى لا يستشرى الفساد ، وحتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا كما أشار القرآن الكريم .

وقد حاول بعض الناشرين لأدب الجنس المنحل المكشوف ، أن يحتجوا بالقرآن الكريم ، واستعانوا ببعض المتسبين ، إلى العلم ، فقالوا إن القرآن قد تحدث عن مثل هذه الأمور الجنسية ، وذكروا نصوصاً من القرآن الكريم ، ومما ذكروه قول الله تعالى في سورة يوسف : « وغلقت الأبواب وقالت هيت لك

ولقد ورد هذا في القرآن الكريم حقيقة ، ولكنه وَرَدَ كتوطئة أو تمهيد

للكر عليه بما يمحقه ويسحقه ، ويوطد دعائمَ الفضيلة والإيمان والتقوى ،
فالآية تقول : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت
هيت لك ، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون » .

فأبان القرآن الكريم هنا أن الفوز كان للفضيلة ، وأن الهزيمة كانت
للرذيلة ، وما كاد القرآن يقص ما كان من أمر المنحرفين ، حتى محق باطلهم
وضلالهم بنور الأبرار المهتدين المستقيمين ؟ .

وايضاً يقول القرآن الكريم : « ولقد همت به وهم بها » .

ولا يكتفي القرآن بهذا ، وإلا لكانت صورة تحريضية ؛ بل يقول عقب
ذلك مباشرة : « لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
إنه من عبادنا المخلصين » .

فيوسف قد سارع إلى العاصم الذي يعصمه مما تهم به النفس ، أو يدعو
إليه الوسواس الخناس ، فكأن القرآن الكريم قد لمح إلى الرذيلة أو المعصية ،
ثم أعقبها مباشرة بما يجب أن يكون عليه المؤمن أو الفرد في المجتمع المسلم ، من
الحصانة والعفة والأمانة والاستمساك بمكارم الأخلاق .

وهناك فروق كثيرة واضحة وظاهرة بين أسلوب القرآن الكريم العف
النبيل ، والأسلوب القذر المنحط الذي يلجأ إليه بعض الكتاب في تصوير
النواحي الجنسية ، ومما يتصل بهذا الأسلوب أننا نجد القرآن يتحدث عن أمور
الجنس بأرق عبارة ، وأدق إشارة ، وألطف كناية ، فهو يقول مثلاً :
«او لامستم النساء » . ويقول : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد » ،
ويقول : « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » . وبعض المتتبعين لدقائق التعبير
القرآني يقولون : إن من أدب القرآن فيما يتعلق بصيانة الحرمات أنه لم يصرح
باسم امرأة ، بل يقول : امرأة نوح ، امرأة لوط ... إلخ . ما عدا مريم ،

فإنه قد صرح باسمها لكي يثبت أن عيسى بن مريم ، هو ولد مريم ، وأنه عبدالله ورسوله ، وأنه ليس بابن الله ، وليس بإله ، كما يزعم الزاعمون في شأن عيسى ، فلا يمكن أبداً أن نقرن القرآن الكريم في جلاله وكماله وجماله بهذا الغثاء الوبيل الذي يصدر عن بعض هذه الأقلام المئوفة ، ومن الخطأ الكبير أن يتجارأ متجارىء فيجمع بين القرآن الكريم وبين هذا الكلام في مجال مقارنة أو مجال استشهاد .

كذلك نجد القرآن الكريم يشير إلى محاربة هذا اللون من الأدب المنحل ، ومن الكتابة التي تدل فعلاً على قلة الأدب ، وليست تدل على الأدب ، ففي سورة لقمان نجد قول الله تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها ، كأن في أذنيه وقراً ، فبشره بعذاب أليم » .

لقد قال كثير من المفسرين إن هذه الآية تشير إلى بعض الكفار ، وهو النضر بن الحارث ، الذي كان يسافر إلى بلاد غير مسلمة ، ويستورد منها قصصاً تقص أخباراً قديمة وأنباء مبتذلة ، وقد يكون بعضها صحيحاً واكثرها عليلاً أو مفترى ، ثم يأتي ليقص هذه القصص على العرب محاولاً بذلك صرفهم عن ذكر الله تعالى ، وهو القرآن الكريم ، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونحن الآن مبتلون بهذه البلوى ، إننا مبتلون بصرف الأنظار عن الأدب الإسلامي ، وعن الهدى القرآني ، وعن السنة النبوية ، وعن القراءة الكريمة فيما يفيد وينفع ، وبلّينا بأنواع دخيلة ومعيبة من الكتب والمجلات ، والصحف والنشرات ، والقصص والمسرحيات والأفلام ، وغير ذلك ، بحيث صارت المادة الإسلامية الدسمة التي يجب أن توضع في عقول الناشئة وفي قلوبهم وأذهانهم ، مضيعة غريبة مجهولة ، وقد نتساءل عن نسخ المصحف التي يجب أن توضع في أيدي الشباب فلا نجدها ، بينما نجد يد الشاب تتناول أسبوعياً مجموعة من القصص الرخيصة الرقيعة ، ومجموعة من المجلات المنحلة التي

تفجُر في صورتها وعبارتها وفي قصتها ، فلا شك أن هذا صَرْف عن دين الله، وعن كتاب الله ، وعن سنة رسول الله ، وعن الأدب العربي الإسلامي القيِّم الذي يجب أن نعنى به كأمة عربية مؤمنة ، تريد أن تبنى لها قومية عربية مؤمنـــة .

كان الأدب العربي السليم القويم في عصر الأمويين والخيار من العباسيين أدبَ جدٍّ وبطولة وحماسة ، وحتى في العصور الضعيفة ، كان كثير من الأدب العربي مليئاً بالحديث عن الشجاعة والتضحية والجرأة والإقدام والدفاع عن الحرمات والأوطان ، وليس مملوء بهذه الصور الفاحشة التي يتجه إليها مثل هؤلاء المتحللين من الكُتّاب .

إن شبابنا ليسوا في حاجة إلى حديث عن الجسد والجنس والشهوة ، بعد أن أصبحت الأبواب مفتحة على سعتها أمام الشهوات والنزوات ، بحكم مادية العصر . وبحكم التبرج الصارخ والتحلل الذائع ، وإنما يحتاج شبابنا إلى التربية الدينية ، والتوعية الروحية ، والأخذ بمنهج الرجولة . ومسلك البطولة ، ووسائل التماسك الخلقي والصفاء النفسي .

وإنها لجريمة في حق الوطن والمجتمع والشباب أن نضع بين أيديهم زاداً مئوفاً أو طعاماً خبيثاً ، يتمثل في قصة داعرة ، أو قصيدة عابثة ، أو صورة ماجنة ، أو خبرنتن الرائحة ، فليتق الله في الشباب أولئك الذين يتحدثون إليهم ، أو يملكون وسيلة من وسائل التوجيه . ولتتنبه الأمة إلى واجبها نحو المفسدين من أبنائها لتقيمهم على سواء الطريق .

والأمر لا يكفي فيه أن نقول : إن الحسبة موجودة فمن أراد أن يحتسب لوجه الله تعالى فليرفع بلاغاً للنيابة ، أو فليطالب بهذا أو ذاك من الحقوق المادية أو المعنوية ، والأمر لا يكفي فيه أن تعقد ندوة أو ندوات . أو أن يكتب من أجله مقال أو مقالات من المتخصصين في الشئون الدينية . بل أعتقد أن هذا أولاً وقبل كل شيء واجب الدولة ، فهي التي يجب عليها أن تضرب على أيدي هؤلاء العابثين أما أن نترك هؤلاء يهاجمون دين الله تعالى ، وآداب الأمة،

ومعتقداتها وأخلاقها ، وفضائلها، ثم تسكت الدولة المقتدرة على منع هذا ، ويقال للأفراد تقدموا إن أردتم . واحتسبوا إن شئتم . فهذا لا يحقق الإصلاح المنشود .

والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإسلام والرحمة

السؤال : **أريد أن أتبين مكانة فضيلة « الرحمة » في نظر الإسلام ، وما معنى قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « ومـــا أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[1] ؟ .**

الجواب :

يفسر العلماء الرحمة بأنها رقة في القلب تقتضي عطفَ الإنسان على المرحوم، وقد تطلق على الرقة المجردة ، كما يرق الإنسان لشخص يراه مستحقاً للرحمة ، ولا يستطيع أن يقدم إليه إحساناً ما . هذا في شأن الخلق . والرحمة فيما يتعلق بالخالق هي — كما يعرِّفونها — الإحسان المجرَّد عن رقة القلب ، لأن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث . ويقول أهل اللغة : إن هناك رمزاً وإشارة في اشتقاق كلمة « الرحمة » من الرحم ، وكأن خلق « الرحمة » في لغة القرآن يذكِّر الإنسان بأنه إذا كانت القرابة اللحمية والنسبية تقتضي معانيَ التعاطف أو الرقة ، فإن بين كل انسان، وغيره من بني البشر لحمة إنسانية توجب عليه أو ينبغي له معها أن يرحم غيره .

وهنا يمكن أن نعرض بالنقد للذين يقولون : إن الرحمة خلق ضعف ،

(١) ينظر كتابي « أخلاق القرآن » الجزء الأول ، صفحة ١٢٢ — ١٢٩ . فصل « الرحمة » .

فهم يقولون : إن الذي يرحم غيره يخشى أن يمر عليه يوماً من الأيام موقفٌ يحتاج فيه إلى رحمة غيره ، فهو أمام هذا الضعف المنتظر يقدّم لوناً من الرحمة وهو قادر نوعاً ما ، حتى إذا ما تعرض للضعف وجد من يرحمه .

وهذا التفسير خاطىء ، لأنه قام على فهم ضال لمعنى الرحمة ، فالرحمة التي يقرها العقل ، ويرتضيها هديُ الإسلام هي الرحمة القائمة على القدرة ، أما رحمة العاجز لمحتاج الرحمة فإنها لا تقدم ولا تؤخر ، إنما يرحم الإنسان لأنه في موطن القوة ، ثم لأنه يرى أن حق المشاركة يستدعي أن يفيض جزءاً من قوته على من يحتاج إلى هذا الجزء ممن يتعرض لموقف الضعف .

ومن الأمور التي ينبغي أن نشير إليها أن كثيراً من الناس يصفون بعض الأديان بأنه دين الرحمة . والدين الإسلامي هو أجدر الأديان بأن يوصف بأنه دين الرحمة ، وهي رحمة قوية أو قوة راحمة . ونحن عندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أنه قد أورد مادة « الرحمة » مئات المرات ما بين كلمة : رحمة ، ورحيم ، ورحمن ، ورحماء ، وما اشتُقَّ من هذه المادة . وكلمة « رحمة » نفسها وردت أكثر من ثمانين مرة في القرآن الكريم . وعندما نستعرض المواقف التي تعرض فيها القرآن الكريم للرحمة نجد أن الله تبارك وتعالى قد وصف نفسَه بالرحمة ، وفي أول آية نتلوها من المصحف الشريف نقرأ قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » في مطلع سورة الفاتحة . والرحمن الرحيم إسمان مشتقان من الرحمة ، وإن كان العلماء قد فرقوا بين الرحمن والرحيم : فقالوا : إن « الرحمن » هو الذي وسعت رحمتُه كل شيء . ولذلك هي تشمل في الدنيا المؤمنين والكافرين ، أما (الرحيم) فصفة تختص بالمؤمنين ، ولذلك يجعلها الله للذين يتقون في الدنيا والآخرة بناء على قوله تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » .

كذلك وصف الله تعالى القرآن بأنه رحمة . فقال : « وينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ، ووصف الله الرسولَ في القرآن أكثر من مرة بالرحمة ، كما في قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وفي قوله : جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف

رحيم » . ووصف المؤمنين مع رسولهم بأنهم رحماء : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » . وهكذا يستفيض حديث الرحمة في آيات القرآن الكريم وسوره استفاضةً تدل على أن الإسلام هو أحق الأديان بأن يوصَف بأنه دين الرحمة . وعندما تحدث القرآن عن معاملة الابن لوالديه لم ينس أن يذكر الرحمة في ذلك المقام . فقال : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » . ومن خلال هذه الرحمة المضيئة المشرقة في الإسلام وفي كتاب الإسلام يمكن أن نفهم بيسر أن رسول الله محمداً عليه الصلاة والسلام لا بد أن يكون مثلاً أعلى لهذه الرحمة التي شاعت وانبثت في تعاليم دينه الكريم . ومن هنا حق له أن يصف نفسه بمثل قوله : « أنا رحمة مهداة » . وقوله : « لم أبعث لعاناً . ولكنني بُعثت هادياً ورحمة » .

ولم يكتف الرسول بوصف نفسه بالرحمة ، بل طبق هذا الوصف عملياً في كل حياته . فشملت رحمتُه كلَّ كائن نالته يداه . فكانت تشمل الإنسانَ حتى تبلغ رحمته بالإنسانية أن يخفف صلاته إذا ما سمع في أثنائها بكاء طفل ، خشية أن يكون خلفه أم الطفل فينشغل قلبها الرحيم بسبب بكاء ابنها ، فهو يتجوز في صلاته أو يخفف فيها حتى تسارع الأم إلى إرضاع ابنها .

وشملت رحمتُه الحيوان . ونحن نعلم كيف قال صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النارَ في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها . ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » . ونعرف ما أخبر به عن الرجل الخاطىء الذي غفر الله له بسبب أنه سقى كلباً في الصحراء أصابه العطش . وفي مقام آخر نجده قد أخبرنا عن امرأة خاطئة غفر الله لها بسبب أنها سقت كلباً كان عطشان في الصحراء . ورأيناه كيف تألم عندما رأى أحد الصحابة يأخذ فراخَ العصفورة أو شبهها . فقال : « من روَّع هذه ؟ ردوا عليها فراخها » .

ويروى أنه عندما علم أن بلال بن أبي رباح مر بأسيرتين غير مسلمتين على قتلى لهما تألم من ذلك . وقال : « هل نُزعت الرحمة من قلبك يا بلال حتى تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟ فلقد استنكر رسول الله الرحيم بأن يمر بلال بالمرأتين

على قتلاهما لما في ذلك من إثارة لآلامهما وأحزانهما .

وعندما جاء أحد الأعراب وقال في مجلسه : نراكم تقبلون أولادكم . ونحن لا نقبل أولادنا . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمةَ من قلبك ؟ » .

والرسول الذي تتمثل الرحمة في أقواله . وتوجيهاته بهذه الصورة لا بد أن يضع مبادىءَ وتعاليم تحث على الرحمة . ولذلك كثرت في السنة الأحاديث الناصة على الرحمة ووجوبها . وكونها أدباً أصيلاً من آداب الإسلام . فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن » . « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . « من لا يَرْحم لا يُرْحم » . « ليس منا من لم يرحم صغيرنا . ولم يوقر كبيرنا » . « لا تُنزع الرحمة إلا من شقي » .

ويصف النبي المؤمنين بأنهم لا يمكن أن يكونوا مؤمنين إلا إذا كانت الرحمة أصلاً من أصولهم . فيقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » .

وحين نتدبر قول الله تبارك وتعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . نجد في تفسير هذه الآية مذهبين قد نرتضي أحدهما أكثر من الآخر . هناك من يقول إن معنى رحمة الرسول للعالمين . أنه رحمة للمؤمنين وللكافرين . هو رحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة . في الدنيا بالتوجيه الذي استجابوا له . وفي الآخرة بالثواب العظيم الذي ينالونه بسبب اتِّباعهم له . وهو رحمة للكافرين في الدنيا بسبب إمهال الله لهم . دون أخذهم بأنواع العذاب السابقة في الأمم الماضية من الخسف والمسخ والإغراق والإحراق . وغير ذلك .

والتفسير الثاني . وهو الذي تميل إليه النفس . هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً . هو رحمة لهم بمعنى أنه سبب رحمة متهيىء كل عاقل ولكل مستجيب . فما من أحد يجرد نفسه من الهوى والضلال

والتعصب ويقبل على هدى الله . وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويتفهمه التفهمَ الحق . إلا ويجد فيه أسبابَ الخير والسعادة ، والهداية في الدنيا والآخرة . فهو رحمة بالفعل والواقع لكل من استجاب له من العالمين ، وهو رحمة مهيأة . ورحمة مهداة إلى الله لكل من يجعل نفسه إنساناً عاقلاً ، فيقبل على هدى الله ، وعلى سبب رحمة الله . فيأخذ منه ما يستطيع به أن يضمن السعادة في الدنيا والآخرة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

العبادة لله وحده

السؤال : **يقال : إن محمدا يعبد أحمد ، وأحمد يعبد آدم ، وآدم يعبد الله . والله يعبد محمدا ؟ فهل هذا الكلام صحيح ؟ .**

الجواب :

إن هذا الكلام نوع من التخريف والباطل . فهو لا يستقيم عقلاً . ولا يستقيم شرعاً ، وهو يناقض عقيدة التوحيد . ولا يجوز لمسلم أن يردده . ومن الواجب الاعتراض عليه ومقاومته . لأن ترديده واعتقاده يؤدي إلى الكفر والإشراك . ونعوذ بالله من ذلك .

والمعبود هو الله وحده لا شريك له . هكذا يقرر القرآن الكريم ويؤكد إن الله جل جلاله يقول في محكم التنزيل : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » . ويقول في سورة النساء : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » . ويعلمنا القرآن أن نخاطب ربنا كل يوم عدة مرات من الصلوات : « إياك نعبد وإياك نستعين » . ويقول : « فاعبد الله مخلصاً له الدين » . ويقول : « قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد». إلى غير ذلك من الآيات

فكيف يجوز بعد ذلك أن يقال : إن محمداً يعبد أحمد . وأحمد يعبد آدم والله يعبد محمداً ؟ ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . إن اعتقاد مثل هذا كفر وضلال . ولا يعتقد هذا مسلم .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الفروق بين المذاهب

السؤال : **هل هناك فروق بين المذاهب الإسلامية في أداء العبادات ؟ وهل من الضروري على المسلم أن يتبع أحد هذه المذاهب في أداء الشعائر ، أو يأخذ من كل مذهب الأسهل فيه ؟**

الجواب :

« إن الدين عند الله الإسلام » هكذا يقول القرآن الكريم . وأصول الدين معروفة بين المسلمين بالضرورة مجمع عليها بينهم . ولا اختلاف فيها ولا اجتهاد ، فالصلاة والصوم والزكاة والحج وفرائض الإسلام المجمع عليها . لا يتصور الإنسان فيها اختلافاً بين المذاهب والفقهاء .

ولكن الاجتهاد يكون في الأمور التي لم يرد فيها نص صريح بحكمها . ويكون في الفروع وطرق التطبيق . والحديث الشريف يقول : « من اجتهد فأصاب فله أجران ؛ ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » .

وعلى الرغم من اختلاف المذاهب . ووجود فروق فرعية بينها في هذا النطاق ، فهي كلها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . لأن هذين المصدرين هما أساس المصادر التي يستمد منها الفقه أو التشريع .

وليس من الضروري على المسلم العادي أن يتبع مذهباً معيناً من المذاهب الإسلامية ويتقيد به . لأن هذه المذاهب الإسلامية الفقهية المعتمدة عند المسلمين. تلقاها المسلمون بالقبول . وإذا لم يكن الإنسان فقيهاً أو متخصصاً في دراسة الدين . فإنه يستطيع أن يقلد إمامه أو واعظه . أو الفقيه التي يعيش معه ويرجع إليه في مسائل الدين ، ما دام أهلاً للتوجيه والإرشاد .

ويمكن للإنسان أن يعمل بمذهب معين في بعض المسائل ، وأن يأخذ بمذهب آخر في مسألة أخرى . دون أن يتتبع الأسهل في كل مذهب . ودون أن يتتبع الرخص وحدها في هذه المذاهب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

تقليد المذاهب

السؤال : **من الذي أوجب على الأمة الإسلامية التقليد والتمسك بأحد المذاهب الفقهية المعينة ؟ .**

الجواب :

هناك مصادر محددة معينة يستنبط منها أحكام الدين وفروع الملة . وفي طليعة هذه المصادر القرآن الكريم . ومن ورائه السنة النبوية . ثم يتفرع عن القرآن والسنة روافد مساعدة . كالإجماع والقياس وغيرهما .

ودراسة هذه المصادر وتفهمها واستخلاص الأحكام منها يحتاج إلى عقل ونظر . وبديهة وبصر . ولقد قامت الدلائل والشواهد على أن أئمة الفقهاء في الإسلام قد بذلوا جهوداً بارعة رائعة حتى كونوا لنا هذا التراث الفقهي العظيم الذي تفخر به الأمة الإسلامية على توالي العصور .

والله تبارك وتعالى يرشدنا إلى طريقة أخذ الأحكام الدينية إذا كنا لا

تملك القدرة على البحث والنظر والتقرير لمصادر الأحكام ، فقال سبحانه : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . ولذلك قال العلماء إن العامي الذي لا تتوافر له أهلية الاجتهاد في الأحكام عليه أن يتبع قول المجتهدين ويعمل بفتواهم ، ومع هذا فإنه لا يجب أن يلتزم الإنسان مذهب مجتهد معين ، فإذا فرضنا مثلاً واتبع شخصٌ مذهب الإمام أبي حنيفة فليس بشرطه أن يقلده او يأخذ برأيه في كل الأحوال ، فالواجب التزامه فقط هو ما أمر به الله تعالى أو أمر به رسوله عليه الصلاة والسلام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حكم توبة المرتد

السؤال : **ما حكم من ارتد عن الإسلام ، ثم رجع وتاب ؟ هل يقبل الله توبته ؟**

الجواب :

إن أفظع الجرائم في حق الله تبارك وتعالى هو الكفر بعد الإيمان . أو الضلالة بعد الهدى ، وإن أكبر الكبائر هي كبيرة الارتداد عن دين الله جل جلاله ، بعد أن ارتضاه الإنسان عقيدة وشريعة . وإذا كان الله سبحانه يقول في سورة النساء : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » فإن الارتداد لا يقل شناعة ولا بشاعة عن الإشراك والكفران ؛ والله سبحانه يقول في سورة محمد : « إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم » .

والحق عز شأنه يهدد الذين أسلموا . ويحذرهم الارتداد والانتكاس . ليثبتوا على الإسلام ، ويحذروا الردة . فيقول لهم في سورة البقرة : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وجملة : « فيمت وهو كافر » نفهم منها أن هذا العقاب الأليم للمرتد . مشروط بشرط ، وهو أن يظل على ارتداده وكفره حتى يموت . ولكن إذا راجع نفسه ، وفاء إلى ربه . وصدق في ندمه على جريمته . وأخلص لله التوبة والاستغفار ، فإنه لا يتعرض لهذا العقاب الشديد . تفضلاً من الله ونعمــــة .

ولذلك قال الفقهاء إن المرتد يستتاب . أي نطلب منه أن يتوب ويعود إلى الإسلام ، فإن تاب أطلقنا سراحه . وإلا أقيم عليه حد المرتد . وهو القتل . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » . وفي حديث آخر قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث » .. أي بواحدة من جرائم ثلاث ، وذكر في أولها قوله : « وكفر بعد إيمان » .

ويقول الإمام الشافعي : إن من يرتد عن الإسلام . ثم يتوب صادقاً ويعود إليه ، فإن عمله الحسن قبل الارتداد لا يفسد عليه ولا يضيع .

وفي بعض كتب التفسير : إن أولئك المرتدين الباقين على ارتدادهم هم الذين بطلت أعمالهم وفسدت في الدارين . كما جاء في آية سورة البقرة التي سبقت ، حتى كأن أحدهم لم يعمل صالحاً قط . لأن الرجوع عن الإيمان إلى إلى الكفر يشبه الآفة التي تصيب المخ والقلب فتذهب بالحياة . فإن لم يمت المصاب بعقله وقلبه . فهو في حكم الميت لا ينتفع بشيء ، وكذلك الذي يقع في ظلمات الكفر بعد أن اهتدى إلى نور الإيمان تفسد روحه ، ويُظلم قلبه . فيذهب من نفسه أثر الأعمال الصالحة الماضية . ولا يعطي شيئاً من أحكام المسلمين الظاهرة ، فيخسر الدنيا والآخرة .

ولكن حبوط الأعمال مشروط بالموت على الكفر . فإذا ارتد المسلم مدة ، ثم عاد عودة صحيحة . وتاب توبة صادقة بعناصرها وشروطها . فإن أعماله لا تضيع . والله يتفضل عليه بقبول توبته . وهو صاحب الفضل العظيم .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

تربية الكلاب – زواج بنت العم – الغيبة في رمضان

السؤال : أ – هل يجوز للمسلم تربية الكلاب ؟ .
ب – هل يجوز لي أن أتزوج بنت عمي ؟ .
ج – ما حكم المسلمين الذين يشتمون الناس ويغتابونهم في شهر رمضان ؟

الجواب :

أ – يجوز للمسلم تربية الكلاب إذا تعلق بها غرض مشروع ، مثل اتخاذها وسيلة للصيد ، ومن المعروف في العرف الإسلامي تدريب أنواع من الكلاب على الاصطياد ، ولها أحكام مذكورة ومفصلة في كتب الفقه الإسلامي ، ومثل اتخاذها لحراسة الدار أو الماشية أو المتاع ، ومثل اتخاذها وسيلة لاقتفاء الأثر ، أو الدلالة على المجرمين .

ب – يجوز للإنسان أن يتزوج بنت عمه ما دام لا يوجد مانع آخر من زواجها ، لأن بنت العم ليست من المحرمات التي ذكرها القرآن الكريم في سورة النساء ، في قوله تبارك وتعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ، إن الله كان غفوراً رحيماً ، والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم » .

ج – الغيبة هي أن تذكر أخاك المسلم بما يكرهه من عيب أو سوء ولو كان فيه ، والغيبة حرام ، بل هي كبيرة من الكبائر ، والقرآن الكريم يقول في سورة الحجرات : « ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم

أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوالله إن الله تواب رحيم » .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أتدرون ما الغيبة ؟! فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ . قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته . وإن لم يكن فيه فقد بهتّه (أي رميته بالبهتان وهو الباطل) .

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق . ومن الكبائر السّبتان بالسبة » أي الرد على الشتيمة الواحدة بشتيمتين .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في إعراضهم .

وإذا كان السب شيئاً لا يليق بالمسلم في كل الأوقات ، فهو أثناء الصوم أقبح ، ومن شتم أو اغتاب وهو صائم فصومه غير مقبول ، ولا ثواب له .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

العبادة فوق القمر

السؤال : **إذا سكن المكلف في القمر فكيف يصوم رمضان . وكيف يقتدي بهدى الرسول في قوله : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ؟ .**

الجواب :

بعض الإخوة في الإسلام مولعون بالأسئلة عن الأمور التي لم تقع بين الناس . أو التي لا نحتاج إليها في حياتنا القائمة . وهذا تضييع للوقت والفكر

والجهد ، فيما لا يترتب عليه فائدة حاضرة ولا منتظرة .

وبعض الأئمة كان إذا سئل عن مثل هذه الأمور قال لمن يسأل : أوقع هذا بين الناس ؟ . فإذا قال السائل : لا . إنه لم يقع ، قال الإمام : إذن دعوه واتركوه حتى يقع ؟ .

إن الصعود إلى القمر لا زال في مرحلة المحاولات التي تستقيم مرة وتتعثر مرات ، ولا زال بين الإنسان والسكنى في القمر عصور ودهور ، فليتنا نؤجل البحث في قيام الساكن فوق القمر بشعائر دينه حتى تستقر إقامته . وعندها — لو تحققت الاقامة بالفعل — نأتي ما نستطيع ان نفعله ، فمن الممكن للساكن هناك عن طريق التوقيت الزمني أن يقسم حياته إلى أيام ، وأيامه إلى ساعات . ويستطيع عن طريق اتصاله بغيره من الناس أن يقارن بين ظروفه وظروفهم ، وأن يوزع فرائض الصلاة مثلاً توزيعاً نسبياً على ساعات اليوم والليلة . ويستطيع أن يحدد الوقت المقابل بشهر رمضان من كل عام كي يكون شهراً للصيام . وحينما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » لم يكن يقصد إيجاب رؤية الهلال شخصياً على كل صائم ، بل يكفي في ذلك شهادة الشهود .

نقول هذا ونحن لم نبلغ بعد حمى هذه الحياة القمرية المتخيلة ، فليتنا نؤجل الجدل حول هذا الموضوع حتى تتحقق سكنى القمر . حبذا لو صحت الأحلام .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

حكم الأغاني

السؤال : **ما حكم المفتي للأغاني العاطفية بين المحبين . بالنسبة إلى المستمعين لها وسماع موسيقاها ؟ وهل يوجد نص من الأحاديث النبوية يدل على تحريمها أو إباحتها ؟**

الجواب :

الإسلام لا يمنع الإنسان من سماع الأغاني إذا كانت عفيفة الألفاظ شريفة المقاصد ، تحض على الدين أو الأخلاق أو محامد الأفعال ، كالشجاعة والطهارة وحب الوطن ، ولقد أباح الرسول الغناء والألحان في الأعراس حين قال : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف » وضرب الدفوف يصحبه في العادة غناء . ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام سمع ضرب الدفوف وترديد الغناء في بعض الأعراس .

والإنسان قد يسيء استخدام الغناء فيكون سيئة ، وقد يحسن استخدامه فيكون مباحاً ، والغناء لا بأس به إذا كان لا يحرض على إثم ، ولا يثير خبيث شهوة ، ولا يصحبه شيء محرم كخمر أو عبث نساء أو نحو ذلك .

والأصل هنا – كما يقول بعض الأئمة المتأخرين – أن الله تبارك وتعالى خلق في الإنسان غريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات التي يشعر بأثر حلولها في نفسه ، فتراه يفرح بالمناظر الجميلة ، كالخضرة المنسقة ، والماء الصافي الذي تترقرق أمواجه ، والوجه الحسن الوسيم الملامح ، والرائحة الزكية . وينشرح صدره بلذة المعرفة في الكشف عن المجهول ، والله تبارك وتعالى يشير إلى طائفة من المشتهيات ، فيقول في سورة آل عمران : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

قد يقول قائل إن النصوص المتحدثة عن الغناء مقصورة على مناسبة العرس ، ونجيب على ذلك بأن « الحدَاء » وهو الغناء للإبل نوع من الغناء ،

وهو يكون عادة عند الأسفار حيث تقام الأفراح والأعراس ، والعرب قد تعودوا هذا الحداء في الجاهلية والإسلام ، ولم ينكره عليهم أحد ، ولقد قيل للإمام أبي يوسف : أيكره الدف في غير العرس تضربه المرأة للصبي في غير فسق ؟ . فقال : لا . فأما الذي يجيء منه فاحش الغناء فإني أكرهه .

ويرى بعض فقهاء العصر أن الأصل هو جواز الغناء والحرمة عارضة لما يصحب مجلس الغناء من منكرات عند العوام ، ويقول : إن سماع الآلات ذات النغمات الحلوة لا يحرم من جهة أنه صوت آلة أو إنسان أو حيوان ، وإنما تأتي الحرمة إذا استعان الإنسان بهذا على شيء محرم .

والله بعد هذا يقول في سورة الأعراف : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

* * *

عمل الطاعة بالمال الحرام

السؤال : **هل يجوز بناء المسجد أو المدرسة من النقود الحرام : مثل القمار والسرقة ؟ .**

الجواب :

لا شك أن بناء المساجد والمدارس وما شابهها طاعة من الطاعات ، وقربة من القربات ، وصالحة من الصالحات الطيبات ، ولكن اللائق بالمسلم المنتظر منه هو أن يقوم بهذه الطاعات والقربات . عن طريق مال حلال طيب . لا بمال حرام خبيث ، وإلا قيل له المثل المشهور : « ليتها لم تزن ولم تتصدق » .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد قال في الحث على الطيب : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » . وقال في التخويف والتحذير والإبعاد عن الحرام : « كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

وليسائل الإنسان نفسه طويلاً في هذا المجال : كيف يثيب الله إنساناً سرق ونهب ، واغتصب وانتهب ، أو قامر وياسر ، ثم جاء ليبني مسجداً أو مدرسة أو مستشفى . من ذلك المال الذي لصّه أو كسبه عن طريق الميسر والقمار ، أو أي طريق خبيث آخر من طرق الكسب الحرام ؟ .

إن الفقهاء قد قرروا أن الواجب على الإنسان إذا أراد الحج أن يكون المال الذي يحج به مالاً حلالاً طيباً ، وقالوا إنه لو أدى الحج بمال حرام لا يقبل الله حجة ولا يثيب عليه ، وإن صح منه الحج ، بأنه يسقط الفرض عليه . ولكن الإنسان يكون آثماً ، وذلك كالشخص الذي يصلي في أرض مغصوبة ، فإن الصلاة في حد ذاتها تصح ، ويسقط بها الفرض ، ولكن الإنسان يكون آثماً .

ويمكن أن يقال مثل هذا في حالة بناء المستشفى أو المدرسة بمال مكسوب بطريق حرام . فلقد يمكن للناس أن ينتفعوا بمثل هذه المنشئات ، ولكن صاحبها لا يثاب عليها كما يثاب ذلك الإنسان الذي يكسب المال الحلال الطيب وينفق منه على القربات والطاعات.

على أن اللائق بالإنسان الذي يحوز مالاً حراماً ، ولا يجد له صاحباً يستحقه ، ولا يستطيع أن يعيده إلى مصادره ، أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً ، وأن يتصدق بهذا المال في أي وجه من وجوه الخير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حضور حفلة عيد الميلاد

السؤال : هل يجوز للمسلم أن يحضر حفلة عيد الميلاد المسيحي في بيت أحد المسيحيين ؟

الجواب :

إن عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، هو عبدالله ونبيه ورسوله ، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على نبيه عيسى في مواطن القرآن الكريم ، وحسبنا أن نجد كتاب الله سبحانه يقول على لسان المسيح عيسى بن مريم في سورة مريم : « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ، ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون » .

وإذا كان أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام قد اصطنعوا لأنفسهم موعداً سنوياً جعلوه ذكرى لميلاد المسيح ، وكان بين المسلم وبين بعض هؤلاء جوار له حقوق ، أو شركة في عمل ، أو زمالة في وظيفة ، وقد جرى العرف بأن يتبادل الطرفان المجاملة في الأعياد أو المواسم أو المناسبات الأخرى ، فإن الإسلام السمح الكريم ، لا يقف حائلاً دون أداء هذه المجاملات ، بشرط أن لا تكون على حساب العقيدة والدين ، وبشرط أن لا يرتكب المسلم في مثل هذه المجاملة ، ما يحرمه عليه الدين أو ينفره منه ، وبشرط أن لا تكون هناك منكرات ترتكب ، مثل شرب الخمر أو تناول المسكر أو المخدر ، أو نحو ذلك .

ولنتذكر أن الحق جل جلاله يقول في القرآن الكريم : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » . وهذا يستتبع تبادل الزيارة والدعوة إلى الطعام وما أشبه ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

إنشقاق القمر

السؤال : **يذكرون من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم معجزة انشقاق القمر ، فما هو المراد به ؟ وما هي معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .**

الجواب :

من الأمور المتفق عليها بين العلماء أن انشقاق القمر وقع في عهد رسول الله عليه الصلام والسلام وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات ، وبعضهم يروي أن القمر قد انشق مرتين لا مرة واحدة ، وقد تحدثت عن ذلك كتب السنة النبوية الصحيحة ، فقد جاء في الصحيح عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين حتى رأوا غار حراء بينهما .

وروى الإمام أحمد عن ابن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد . فقالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . وعن ابن عباس قال : كشف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : سُحر القمر . فنزل قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » . ولقد كان ابن مسعود يردد قوله : لقد انشق القمر .

وحينما انشق القمر وقال الكافرون : سحرنا محمد . قال بعضهم : إن كان قد سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فاسألوا أهل الآفاق وأهل الأسفار هل رأوا ذلك فلما سألوهم قالوا : نعم رأينا .

ولقد كان كفار قريش يظنون أن كل معجزة من النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يصنعها ويأتي بها ، وليس الله هو الذي يأتي بها ، فأرادوا أن يتحدوه فطلبوا منه آية سماوية . واتفقوا على انشقاق القمر ، وتواعدوا معه على ليلة ، فلما جاء الميعاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انظروا ، فنظروا جميعاً

فرأوا أن القمر انشق شقتين . نزلت كل واحدة وحدها . فقال صلى الله عليه وسلم : اشهدوا . فقالوا : لقد سحر الأرض والسماء ، إن هذا سحر مستمر .

ومعجزات النبي كثيرة . اختلف في تحديد عددها العلماء فمنها الإسراء والمعراج ، ومنها نبع الماء من بين أصابعه . ومنها تكثير الماء القليل ببركته ، ومنها جعل قليل الطعام كثيراً حتى وفى بالقوم وزاد، ومنها تسبيح الماء بين يديه، ومنها حنين الجزع ، ومنها انقياد الشجر له.. ومنها سرعة إجابة دعوته .

وإذا كانت هذه المعجزات قد طال حولها الحديث ، وتفاوتت درجات ثبوتها ، فإن جمهور العلماء على أن أعظم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم ، الذي قال فيه رب العزة سبحانه : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ».

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

تطبيق الإسلام

السؤال : هل توجد دولة إسلامية تتمسك بكل مبادىء الإسلام والشريعة دون انتقاص ؟ .

الجواب :

تختلف الدول الإسلامية المعاصرة اختلافاً كبيراً من ناحية التطبيق لمبادىء الإسلام القويمة ، وأحكام الشريعة الغراء ، فهناك دول تصف نفسها بأنها دول إسلامية ، ومع ذلك تخالف أحكام الشريعة الإسلامية في كثير من أحكامها ومعاملاتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية .

وهناك دول إسلامية أخرى تعمل بالأحكام الشرعية في أحوال وتخالفها في أحوال أخرى . وهناك بعض الدول العزيزة التي نرجو لها كل خير ، تعلن في مناسبات مختلفة أنها تحكم نفسها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . وهي تبذل جهوداً طيبة في هذا المضمار . ولكن ليس معنى هذا أنها تخلو تماماً في جميع الأحوال مما يخالف الدين .

وما زال الأمل معقوداً — بفضل الله وعونه — كي يجتمع أبناء الإسلام كلهم على كلمة الله الواحدة الهادية إلى سعادة الدنيا والآخرة ، وما زلنا محتاجين إلى خطوات وخطوات ، حتى نستطيع القول بحق وصدق : إن الدول الإسلامية « تتمسك بكل مبادىء الإسلام وأحكام الشريعة دون انتقاص » كما جاء في عبارة السؤال .

ومن واجب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يبذلوا كل ما في وسعهم لتحقيق هذا الأمل المنشود والخير الموعود ، استجابة لقول الله جل جلاله في سورة المائدة : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

وقول الحق سبحانه في سورة البقرة : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ».

ويوم يحتكم أبناء الإسلام حقاً وصدقاً إلى شريعة الله تعالى : شريعة الحق والعدل . يبلغون غاية السعادة في الدنيا ، وخالد النعيم في الآخرة ، فالله عز شأنه يقول في سورة الإسراء : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

إهمال فرائض الدين

السؤال : هناك رجل لا يصلي ولا يصوم ولا يؤدي الزكاة ، ولكنه تكفل بمصاريف الحج لإمام القرية ، فهل يصح هذا ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة : « اليوم أكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » .

فالإنسان المكلف القادر الذي لا يؤدي الصلاة . مع أنها عماد الدين . من أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها وهدمها فقد هدم الدين ، ولا يصوم رمضان مع أن القرآن يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . ولا يزكى مع أن القرآن يقول : « وآتوا الزكاة » ... ولا يحج ، مع أن القرآن يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .. مثل هذا الرجل كيف يعد نفسه مسلماً متقيداً بالإسلام ؟ .. لا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج ... فماذا بقي لديه من قواعد الاسلام ؟.. ومن هذا الذي يتكفل بمصاريف الحج لغيره والرسول يقول : « ابدأ بنفسك » . فما الذي يحمله على ذلك ؟ . أما كان الأولى به أن يصلح نفسه ؟

ومع ذلك لا نستطيع أن نقول إنه ممنوع من مثل هذه المساعدة ، ولكن الأهم من ذلك والأفضل هو أن يثوب ويتوب ، ويعود إلى صراط ربه المستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإحتفال بالمولد النبوي

السؤال : **ما رأي الدين في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ؟**

الجواب :

إن رسول الله محمداً عليه الصلاة والسلام هو المثل الكامل للإنسان . وهو القدوة العليا في هذه الحياة . والحق تبارك وتعالى يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » . ويقول أيضاً : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » . ويقول : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » . ويقول : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وزعامة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست كزعامة الناس تستمد قوتها وسلطانها من العادات أو التقاليد التي جرى عليها الناس في تعظيم الكبراء من الناس . كالاحتفال بيوم الميلاد . أو ذكرى الوفاة . أو ذكرى الاستيلاء على الحكم . أو نحو ذلك .

ومن هنا لم يعرف الإحتفال بمولد الرسول في عهد الرسول ولا في عهد الصحابة . بل هو شيء حدث بعد ذلك . وعلى هذا لا نستطيع أن نقول إن هذا الاحتفال قد أوجبه الدين أو شرعه أو دعا إليه أو نص عليه .

ولكنا نستطيع أن نقول إن هذا الاحتفال — إذا اعتدل واستقام — عادة حسنة اراد بها الذين يخلصون الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون فرصة طيبة لتذكر شخصية الرسول وسيرته . وأخلاقه وسنته . فإذا تم الاحتفال بهذه الذكرى على صورة إسلامية سامية . منزهة عن كل ما يخالف الدين . فإن نتائجه في النفوس الخيرة تكون نتائج طيبة حميدة . والقرآن يقول : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

ضمان المبيع

السؤال : **اشتريت من شخص كمية من السمك ، واشترطت عليه أن يسلمني السمك في مكان معين ، ودفعت له العربون عن ذلك ، وكلف البائع إحدى الشركات بنقل السمك ، ولكن السفينة التي تحمل السمك المذكور وتتبع الشركة غرقت بالسمك . فمن الذي يتحمل الخسارة ؟ .**

الجواب :

المفهوم من السؤال انه قد تم عقد مشمول بالنفاذ من بين السائل وبائع السمك ، وحيث أن المشتري قد اشترط على البائع تسليم السمك في مكان معين . ودفع الثمن . فإن البائع يتحمل تبعية ذلك . فإما أن يسلم السمك حسب الشرط المتفق عليه . وإما أن يرد إلى المشتري عوض ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

° ° °

الكبائر والصغائر

السؤال : **نعرف أن الذنوب درجات ، وأن هناك كبائر وصغائر ، فما الفرق بينهما ؟**

الجواب :

الذنوب كلها سيئة قبيحة . سواء أكانت كبيرة أم صغيرة . واللائق بالإنسان الذي كرمه ربه . وجعله خليفة في كونه . أن يتجنب الذنوب ما كبر منها وما صغر . وبذلك يحقق الكمال الإنساني في هذا الوجود .

ولكن الذنوب درجات . ولذلك قسم الدين الآثام إلى كبائر وصغائر . والكبائر جمع كبيرة . والكبيرة هي الذنب الفاحش الكثير القبح . وقيل إن

الكبائر هي ما توعد الله عليها بعذاب النار صراحة . أو هي ما لا يغفرها الله إلا بعد التوبة بشروطها . ولذلك روي عن عبدالله بن عباس أنه قال : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب . وقيل إن الكبيرة هي ما شرع الله حداً يعاقب به من يرتكبها .

وقد اختلفوا في عدد الكبائر . فرُوي أنها تسع وهي : قتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف (أي من الجهاد) ، والسحر ، والإلحاد في البيت الحرام .

وذكر بعض العلماء أنها : القمار ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وسب السلف الصالح ، وعدول الحكام عن الحق ، واتباع الهوى ، واليمين الفاجرة (الكاذبة عمداً) ، والقنوط من رحمة الله ، وسب الإنسان لأبويه ، (بأن يسب أبوي شخص فيرد بسب أبوي من شتم أولاً) ، والسعي في الأرض بالفساد . وقيل غير ذلك .

والصغائر جمع صغيرة ، وهي الذنب الصغير بالنسبة إلى غيره ، وقيل الصغيرة هي التي يفعلها صاحبها ثم يسارع إلى الندم عليها والإقلاع عنها . مثل الكلمة النابية أو النظرة المتحررة ، أو نحو ذلك .

وقد أشار القرآن الكريم إلى رحمة الله تعالى ، حيث وعد بتكفير السيئات إذا تجنب الإنسان الكبائر ، وحرص على أداء الفروض ، فقال في سورة النساء : « إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدْخلاً كريماً » . وقال في سورة النجم : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم (صغائر الذنوب) إن ربك واسع المغفرة » . وقال في سورة الشورى عن صفات المؤمنين : « والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون » .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفِّراتٌ ما بينهن ، إذا اجْتُنِبَتْ الكبائر » .

وينبغي أن نلاحظ أن الإصرار على الصغيرة . أي الدوام على ارتكابها – يجعلها كبيرة . ولذلك قال الله تعالى في سورة آل عمران : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

وللإمام القرطبي هنا عبارة جليلة يقول فيها [1] عن الكبائر :

« إنه قد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر . ولكن بعضها أكبر من بعض بالنسبة إلى ما يكثره ضرره . فالشرك أكبر ذلك كله . وهو الذي لا يُغفر . لنص الله تعالى على ذلك ، وبعده اليأس من رحمة الله ، لأن فيه تكذيب القرآن ، إذ يقول وقوله الحق : « ورحمتي وسعت كل شيء » . وهو يقول : لا يغفر له . فقد حجر واسعاً . هذا إذا كان معتقداً كذلك ؛ ولذلك قال الله تعالى : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

وبعده القنوط . قال الله تعالى : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » . وبعده الأمن من مكر الله فيسترسل في المعاصي . ويتكل على رحمة الله من غير عمل ؛ قال الله تعالى : « أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون». وقال تعالى : « وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم فأصبحتم من الخاسرين » .

وبعده القتل ، لأن فيه إزهاق النفوس وإعدام الوجود ، واللواط فيه قطع النسل . والزنى فيه اختلاط الأنساب بالحياة ، والخمر فيه ذهاب العقل الذي هو مناط التكليف . وترك الصلاة والإذان فيه ترك إظهار شعائر الإسلام ، وشهادة الزور فيها استباحة الدماء والفروج والأموال ؛ إلى غير ذلك مما هو بيّن الضرر ، فكل ذنب عظّم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده ، أو عظّم ضرره في الوجود كما ذكرنا ، فهو كبيرة ، وما عداه صغيرة ، فهذا يربط لك هذا الباب ويضبطه . والله أعلم » .

---

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٦٠ .

مس غير المسلم للمصحف

السؤال : هل يجوز لغير المسلم أن يلمس القرآن الكريم ؟ وما حكم المسلم الذي يأخذ مصحفا يهديه إليه غير مسلم ؟

الجواب :

المصحف الشريف يضم القرآن كتاب الله الكريم المجيد . العظيم الحكيم ، الذي يلزم أن يحاط بالتجلة والصيانة والتكريم . وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب حفظ المصحف عن أن يمسه غير المسلمين ، لأنهم محرومون من طهارة الإيمان ، وخشية أن يستهينوا بكرامته وصيانته .

ومن تكريم بعض الفقهاء للمصحف أنهم منعوا مسه لمن عنده جنابة أو حدث أصغر ، أي ليس على وضوء .

ورُوي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يسافر المسلم بالقرآن الكريم إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو . وكذلك جاء في الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم « أن لا يمس القرآن إلا طاهر » والمراد بالقرآن هنا هو المصحف .

واستدلوا كذلك بقول الله تبارك وتعالى في سورة الواقعة : « لا يمسه إلا المطهرون » أي الذين تطهروا من الجنابة والحدث .

ولكن بعض العلماء ذهبوا مذهباً آخر ، فقالوا إن المراد بقوله تعالى : لا يمسه إلا المطهرون » هو الكتاب المحفوظ ، قالوا : وهو الكتاب الذي في السماء . وقال بعضهم : المعنى لا يمسه إلا الملائكة المطهرون . أي لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، وأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي والمنافق .

ويمكن أن نقول إن ظهر لنا أن غير المسلم يريد أن يتعلم في المصحف ، لعله يهتدي إلى سواء السبيل ، فلا مانع من تمكينه من ذلك ، وأما إذا ظهر أنه يريد الاستخفاف به ، فإنه يحرم تمكينه من ذلك .

ولا مانع من أن يأخذ المسلم المصحف من غير المسلم ، فقد يكون هذ أدعى إلى حفظ المصحف وصيانته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

المؤمنون حقـــاً

السؤال : **ما علامات المؤمنين حقا ؟ .**

الجواب :

لعل مفتاح الإجابة على هذا السؤال هو أن نتذكر قول الله تبارك وتعالى في سورة الأنفال :

« إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ؛ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

فذكرت الآية الكريمة طائفة من العلامات والصفات التي نستدل بها على هؤلاء المؤمنين حقاً ، وهي أولاً : « الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم » أي الذين يخافون ربهم إذا سمعوا ذكره ، أو رددوا اسمه ، وإذا أراد أحدهم أو هَمَّ بأن يظلم غيره ، وقيل له : اتق الله وخفْ عقابه ، وجل قلبه ، وخاف ، وكفَّ عن الظلم ، وذلك لقوة إيمانه ، ومراعاته لربه ، وكأنه بين يدي الله ، ليقظة القلب عنده وكمال الإيمان .

ثانياً : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » أي يزيد تصديقهم بدينهم يوماً بعد يوم ، وتزداد صدورهم انشراحاً بكثرة الدلائل وتوالي الآيات .

ثالثاً : « وعلى ربهم يتوكلون » : أي يعتمدون على الله ويثقون فيه ، لأن التوكل على الله هو الثقة به ، واليقين بأنه صاحب القضاء والقدر ، واتباعُ هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، من السعي والعمل والأخذ في الأسباب والإعداد والاستعداد ، فهم لا يرجون سوى الله ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون الا بجنابه ، ولا يرغبون الا اليه ، مع احسان السعي والعمل .

رابعاً : « الذين يقيمون الصلاة » أي يؤدونها تامة كاملة ، سليمة مستقيمة ، مستوفية لأركانها وشروطها وآدابها ، مقسمة على مواقيتها ومواعيدها .

خامساً : « ومما رزقناهم ينفقون » : أي يتصدقون ويتبرعون ويزكون ، ويقدمون جانباً من أموالهم التي آتاهم الله ورزقها لهم ، في سبيل كلمته ، ولأجل المحتاجين من عباده ، أو في مقاصد الخير الكثيرة .

« أولئك هم المؤمنون حقاً » : أي كمل إيمانهم حقيقة ، واستوى في الظاهر والباطن . وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرَّ بصحابي اسمه حارثة . فقال له : كيف أصبحتَ يا حارثة ؟

فأجاب : أصبحت مؤمناً حقاً . فقال له الرسول : انظر ما تقول ، فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ، فقال النبي : يا حارثة ، عرفتَ فالزم .

وقد أضاف الله إلى صفات هؤلاء في سورة الأنفال أيضاً بقية كريمة من الصفات فقال : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم مغفرة ورزق كريم » . فذكر هنا الهجرة في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الله ، والمعاونة للإخوة في الله ، والمناصرة للحق ورفعة كلمة الله .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

مذهب أهل مكة

السؤال : **هل يوجد بمكة المكرمة المذهب الصوفي على طريق أحمد التيجاني ؟**

الجواب :

المعروف أن أهل مكة المكرمة يتبعون الآن مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وهو المذهب الذي نشره في الجزيرة المرحوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه .

وأهل مكة المكرمة — بصفة خاصة — وأهل المملكة العربية السعودية — بصفة عامة — لا تروج بينهم المذاهب الصوفية ، ولا الطرق الصوفية ، بل يسود بينهم مذهب السلف ، وطريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وينبغي لنا أن نعلم أن هذه الطرق الصوفية لم تكن معروفة في صدر الإسلام ؛ ولا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا في عهد الصحابة ، ولا في عهد التابعين ، رضوان الله على الجميع ، وإنما حدثت هذه الطرق بعد ذلك بوقت طويل .

والذي ينبغي لأبناء الإسلام هو أن يحققوا لأنفسهم أولاً وقبل كل شيء التزامهم بما دعا إليه القرآن الكريم ، وهدى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله سنتي » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ليلة القــدر

السؤال : **ما هي ليلة القدر ؟ وما علامتها ؟ وما الذي نفعله فيها ؟ .**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر : تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع القدر » .

والميزة الأساسية لليلة القدر أنها الليلة التي أنزل الله فيها القرآن الكريم ، وكلمة « ليلة القدر » معناها ليلة « الحكم » أو ليلة « التقدير » أي التي يقدّر الله فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القادمة . وقيل إن ليلة القدر معناها ليلة الشرف والمنزلة العظيمة .

والمشهور أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان . وقد رووا في علاماتها أنها ليلة معتدلة ، لا حارة ولا باردة . وأن الشمس في صبيحتها تكون بيضاء لا شعاع لها .

ويروي المفسرون أن الإنسان ينبغي له في ليلة القدر أن يصلي المغرب والعشاء في جماعة ، وينبغي له أن يردد قوله : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وقد رووا في فضائلها أشياء كثيرة . والله تعالى أعلم بالحقائق .

والله تبارك وتعالى هو الهادي إلى سواء السبيل .

• • •

ليلة القدر

السؤال : لماذا سميت ليلة القدر بليلة القدر ؟ وما مكانتها ؟ .

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة . إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم » .

ويقول أيضاً : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر » .

ومن هذا نفهم أن الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم تسمى ليلة القدر ، أي ليلة الشرف والعظمة والمنزلة العالية الرفيعة . وهي ليلة تزدان بها ليالي الشهر الجليل العظيم : شهر رمضان المبارك . وقد وصفها كتاب الله كما سبق بأنها « مباركة » ، وبأنها « يفرق فيها كل أمر حكيم » ، أي يبيّن ويفصّل ، وبأنها « خير من ألف شهر » . وليس المراد من ذكر الألف هنا تحديد العدد . وإنما يذكر « الألف » دلالة على الكثرة ، لأن ليلة القدر خير من مئات الآلاف من الشهور ، والله أعلم بمراده .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ليلة القدر هي « ليلة الله » ، وأن المحروم من خيرها يكون محروماً من كل خير . لأن خيرها الأول والأعظم هو القرآن ، لنزوله فيها ، وإذا أعرض الإنسان عن القرآن ولم يهتد بهدايته ، كان محروماً كل الحرمان » .

والمفهوم من السنة النبوية أن ليلة القدر تلتمس في العشر الأواخر من رمضان ، ولذلك جاء في الحديث المتفق عليه « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . وفي الحديث الثاني : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر

الأواخر من رمضان » . وهذا تخصيص بعد تعميم . وفي الحديث الثالث : « من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » وهذا تخصيص بعد تخصيص .

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله . وشدُّ المئزر كناية عن الجد والاجتهاد في الطاعة .

وعن عائشة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان « يجاوِر » في العشر الأواخر من رمضان ، أي يعتكف في المسجد التماساً لليلة القدر .

الا إنها مفخرة عظمى لرمضان ، أن يضم ليلة القدر : ليلة نــزول القرآن .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

هدم العُزَّى

السؤال : متى هدمت العزَّى ، وكيف ؟

الجواب :

في الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول خالد بن الوليد إلى هدم العزى ، وكانت العزى بيتاً من بيوت الأوثان تعبده قريش وكنانة ومضر ، وكان سدنتها وحجّابها من بني شيبان من بني سليم .

وكانت العزى أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون إليها ويتقربون عندها بالذبائح . وكانوا يقولون عن العزى والأصنام الأخرى : بنات الله . وكانوا يرددون قولهم : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى

إنهن الغرانيق العلى . وإن شفاعتهن لترتجى .

فلما جاء الإسلام نزل قول الله تعالى : « إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » . ويقال إن زيد بن عمرو بن نفيل ترك عبادتها وعبادة غيرها من الأصنام في الجاهلية وقال :

تركتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني عمرو أزور
ولا هُبَلاً أزور وكان ربّا لنا في الدهر إذ حلمي صغير

وتروي السيرة أنه لما سار إليها خالد . وعلم بذلك حاجبها السلمي . قام إليها . وعلق سيفه عليها . ثم مضى نحو الجبل وهو يقول :

أيا عز إن لم تقتلي المرءَ خالداً فبوئي بإثم عاجل . أو تنصري

قيل : وأقبل خالد حتى بلغ العزى فهدمها . كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عاد إلى النبي فأخبره بما فعل . فقال له النبي : ما رأيت ؟

أجاب : لم أر شيئاً . فقال له : ارجع فإنك لم تصنع شيئاً .

فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة شيطانة سوداء . ناشرة شعرها تولول . فعلاها بالسيف فقتلها . وهو يقول :

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم خرّب خالد ذلك البيت . ورجع فأخبر النبي فقال : « تلك العزى . ولا تُعبد أبداً » .

ويروي التاريخ أن أبا أجيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مرض مرضه الذي مات فيه . فدخل عليه أبو لهب يعوده . فوجده يبكي . فقال له : ما يبكيك يا أبا أحيحة ؟ أمن الموت تبكي ولا بد منه ؟ .

فقال : لا . ولكني أخاف ألا تعبدوا العزى بعدي ! .

فقال له أبو لهب : ما عُبدت العزى في حياتك لأجلك ، ولا تُترك عبادتها بعد لموتك .

ففرح أبو أحيحة وقال : الآن علمت أن لي خليفة .

ولكن الله خيّب الأوهام ، فبعث نور الإسلام ، ليهدي إلى الصراط المستقيم .

• • •

معركة عين جالوت

السؤال : **أريد أن أعرف خلاصة عن معركة عين جالوت .**

الجواب :

في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وستمائة وقعت معركة « عين جالوت » التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً على التتار المخربين المدمرين ، الذين اجتاحوا بلاد الإسلام في القرن السابع الهجري ، وفعلوا من المآثم والمظالم ما تقشعر منه الأبدان ؛ وعين جالوت بلدة من أعمال فلسطين المغتصبة ، ردها الله على العرب والمسلمين ، وهي تقع بين بيسان ونابلس في فلسطين .

وبطل هذه المعركة الجليلة هو السلطان المظفر سيف الدين قطز بن عبدالله المعزى ، الذي تولى الحكم في مصر يوم السبت السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة ، وكان صلاح الدين يوسف أن أرسل إلى قطز يستعين به في مقاومة التتار ، لأن هذا واجب المسلمين جميعاً إذا احتل العدو أرض الإسلام .

وأخذ السلطان قطز يستعد للمعركة ، وأمر بالتقشف والتخفف في شهر

المعركة ، وهو شهر رمضان ، وأمر ألا تقام موائد إفطار فيها إسراف . بل يفطر كل واحد على قطعة من اللحم فحسب .

وزحف السلطان بجيشه إلى عين جالوت . حيث كانت جموع التتار محتشدة هناك ، وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان قامت المعركة عنيفة بين الفريقين ، وتقاتلوا قتالاً شديد لم ير الناس مثله ، واشتد الأمر في بدء المعركة على المسلمين ، فاقتحم السلطان قطز ميدان المعركة ، وباشر القتال بنفسه ، وأبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً ، ثم اشتد القتال ، فأخذ السلطان يهتف في يقين وإيمان : « يا ألله . إنصر عبدك قطز على التتار » .

ومع أنه فاز وانتصر ، وكسب المعركة ، وتألق قائداً حكيماً ، وبطلاً فاتحاً ، كان يفخر بنعمة الإسلام كل الفخر ، ويقول : ما أنا إلا مسلم ابن مسلـــم .

وهكذا شهد شهر رمضان المبارك في سنة ثمان وخمسين وستمائة نصراً مؤزراً خالداً باقياً ، في معركة كسبت مجداً عظيماً في تاريخ الإسلام والمسلمين . وهي معركة « عين جالوت » في أرض فلسطين الغالية ، ردها الله على العرب والمسلمين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

فتح مكـــة

السؤال : **متى فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ؟ وكيف ؟**

الجواب :

في اليوم العشرين من شهر رمضان المبارك ، من السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة ، الذي عزّ به الإسلام ، وارتفعت كلمة الإيمان . ونزل فيه

قول الحق تبارك وتعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخذ يتهيأ لفتح مكة خلال الأيام الأولى من شهر رمضان المذكور وأخذت بوادر هذا التهيؤ تظهر في اليوم الثامن منه ، وأخذت جنود الله تبارك وتعالى تتحرك نحو هدفها في اليوم العاشر ، فإن الفتح قد تحقق في اليوم العشرين ، وتكاملت صورته في اليوم الخامس والعشرين .

ولا ريب أن يوم فتح مكة من أيام الإسلام المشرقة الصفحات ، العميقة العظات ، فهو اليوم المشهود الذي أراد الله جل جلاله فيه أن يقضي على الضلال والبهتان في البلد الحرام : مكة المكرمة ، وأن يرفع صوت الإسلام وكلمة الله هنا وهناك ، وأن يتم على المسلمين نعمة كبرى هي فتح مكة بلا معركة ولا اصطدام .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حين الخروج إلى فتح مكة صائماً . والمسلمون كذلك . ولكنه أفطر وهو على الطريق ، وأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، ودعا الرسول بقدح من الماء وشربه أمام المجاهدين ليعلمهم أنه قد أفطر ، ودعاهم إلى الإفطار ، ليكون أقوى لهم على متاعب المعركة . وحينما علم أن بعض المسلمين لم يفطر قال عنهم : أولئك العصاة .

ولقد حرص رسول الله عليه الصلاة والسلام على أن يحيط غزوة فتح مكة بالسرية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، لأنه كان يريد أن يتم الفتح تحت ستار المفاجأة والخطوات السريعة الخاطفة ، حرصاً منه على دماء الناس ، ومراعاة لحرمة بلد الله الحرام ومسجد الله الحرام .

وكثيراً ما ينتهي النصر بنشوة عند المنتصر تفقده توازنه واطمئنانه ، وقد يطغي ويبغي ، ولكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ضرب عقب فتح مكة مثلاً رائعاً في السمو والرفعة ، وفي العفو القوي والصفح الكريم فقد قال لأهل مكة الذين آذوه وأخرجوه ، وقد ظفر بهم وتمكن منهم : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ .

قالوا في خوف ورجاء : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

غزوة بـــدر

السؤال : **أرجو ذكر خلاصة موجزة عن غزوة بدر .**

الجواب :

في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة كانت غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار العظيم الرائع ، والتي تجلى فيه فضل الله على عباده المؤمنين ، وهي أول غزوة أراد العليم الخبير أن تدور رحاها بين كتائب اليقين والإيمان وجموع الشرك والطغيان .

وكان من حديث هذه الغزوة أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما سمع بقافلة التجارة الكبرى التي ترسلها قريش من مكة إلى الشام وتمر بجوار المدينة ، حث قومه على التعرض لها للاستيلاء عليها كتعويض جزئي عما فقده المسلمون عند الهجرة من ديار وعقار ، واستولى عليه المشركون من قريش .

وقبيل المعركة أراد الرسول أن يستوثق من عزائم المجاهدين ، فجمعهم وعرض الأمر عليهم ، ووقف ممثل المهاجرين يقول : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هنا قاعدون ، ولكنا نقول لك : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

وفرح الرسول بهذه الإجابة ، والتفت جهة الأنصار وقال : أشيروا عليَّ

أيها الناس . وفهم الأنصار أن الرسول عليه الصلاة والسلام يريد أن يسمع كلمتهم . فقام ممثلهم يقول :

يا رسول الله . قد آمنا بك وصدقناك . وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا . على السمع والطاعة . . . ... فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . والذي تبعك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك . ما تخلف منا رجل واحد .

فاشتد فرح الرسول وقال : سيروا وأبشروا . فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين : العير والنفير

وسار المجاهدون تحدوهم رعاية الله . ويضيء لهم الإيمان بالله . ويشد من من عزائمهم الثقة بالله . وكانوا قلة . كانوا ثلث عدوهم في العدد . ولكنهم كانوا كالجبال أو أشد رسوخاً . فناضلوا نضال الأبطال وثبتوا ثبات الجبال . وجاهدوا جهاد الأبطال . فحقق الله لهم وعده وحقق لهم النصر العظيم . فانتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الباغية . وصدق العلي الكبير إذ يقول : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

* * *

الجن

السؤال : **هل وجود الجن من الحقائق التي يجب الإيمان بها ؟ .**

الجواب :

من الحقائق الثابتة شرعاً أن الجن نوع من المخلوقات التي خلقها الله عز وجـــل ، ويجب الإيمان بها . فلو أنكرها أحد لكان كافراً بما جاء به الدين ، فالقرآن قد أثبت وجود الجن . وفي كتاب الله سورة تسمى « سورة الجن » . وقد بدأت يقول الله عز شأنه : « قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن

فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً » .

كما جاء في سورة الرحمن قوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » . وفي سورة الإسراء : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . وفي سورة الأحقاف : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » .

وفي صحيح الإمام البخاري باب عنوانه : « باب ذكر الجن » وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه وفد « جن نصيبين » – ونصيبين مدينة مشهورة بالجزيرة كما ذكر النووي في تهذيب الأسماء – وأثنى الرسول عليهـــم .

وجاء أنهم يحاسبون . ويثابون ويعاقبون . وأن ثوابهم أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً كالبهائم . وقيل : لا ثواب لهم إلا النجاة من النار وقيل : إنهم كما يعاقبون بالإساءة يثابون بالإحسان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المشاركة في عمل الحرام

السؤال : **ما رأي الدين في أنني أشتغل في مطعم ، وأقدم المشروبات الروحية للزبائن ؟ هل أنا مذنب ؟ وهل يجوز لي العمل في هذا المطعم ؟ .**

الجواب :

الواجب على المسلم أن يكون عمله حلالاً مشروعاً . وأن يكون مطعمه طيباً . ومشربه طيباً . وأن يعين على الخير . ويتعاون على البر والتقوى ، فإن

لم يستطيع الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والتعاون على البر والتقوى . فلا أقل من الابتعاد على الإثم والعدوان ، فإن الله جل جلاله يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

فالواجب على السائل أن يعمل في عمل مشروع ، أو مكان بعيد عن الآثام والكبائر ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحمل الخمر إلى شاربها ، لأنها خبث ومنكر ، بل هي أم الخبائث .

وعلى السائل أن ينتقل إلى غير هذا المطعم حيث لا تكون هناك خمر ولا تقديم ؛ حتى ولو كان الاجر في المكان الطيب اقل من الآخر في المكان الخبيث ، ما دام هذا الأجر يقضي له ضرورات حياته . فإن لم يجد غير هذا المكان ليعمل فيه ، واضطر إليه اضطراراً ، وخاف على نفسه الهلاك أو الضياع ، فليحذر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً أن يشارك في حمل الخمر إلى شاربيها ، وليبذل كل ما استطاع ليؤدي عملاً غير هذا العمل .

وليبحث بجد واجتهاد عن عمل آخر طيب يشتغل فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تصديق التَّنجيم

السؤال : **ما حكم الدين فيمن يصدق التنبؤ والتنجيم ؟**

الجواب :

إن ادعاء علم المستقبل عن طريق التنجيم أو غيره من الوسائل أمر يحرمه الدين وينهي عنه ، وهو من أعمال الكهانة التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها

أنها قالت : « سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان . فقال : ليسوا بشيء » .

وكذلك روى أحمد وأبو داود عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر » . والسحر حرام . فيكون التنجيم حراماً كالسحر .

وقد شدد الرسول عليه الصلاة والسلام الإنكار على من يصدّق المنبئين بالنجوم . فجاء في صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وكذلك روى مسلم وأحمد قول سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوماً » .

واللائق بالمسلم أن يكل علم الغيب إلى الله علام الغيوب . لأنه القائل في سورة الأنعام : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا ويعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » الآية ٥٩ .

ويقول في سورة لقمان : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إقامة التماثيل في الحديقة

السؤال : **ما حكم إقامة التماثيل الكاملة المجسمة للإنسان والحيوان بقصد تزيين حديقة المنزل ؟ .**

الجواب :

إن كانت التماثيل أو التصاوير المتخذة ، لغير ذي روح ، كالأشجار والأزهار والبحار ، فلا مانع شرعاً من اتخاذها ، وإن كانت التماثيل مجسمة ولذي روح ، كالإنسان والحيوان ، كان اتخاذها حراماً ، كما يذكر الفقهاء ، واستثنوا من ذلك لعب الأطفال والبنات .

وإذا كانت التصاوير غير مجسمة ، فهناك من يحرمها ، وخصوصاً إذا كانت الصورة كاملة الأعضاء ، ويستند هؤلاء المحرمون في قولهم إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » . وكذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة ، يقال لهم : **أحيوا ما خلقتم** » .

وجاء في الحديث أيضاً : « من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » .

ويقول العلماء إن الإسلام قد حرَّم هذه الصور سداً لذريعة الإشراك بالله ، وإغلاقاً لباب عبادة الأصنام والتماثيل ، وخاصة إذا كانت هذه التماثيل والتصاوير مجسمة وموضوعة موضع التكريم والتوقير . وأما إذا كانت الصورة موضوعة موضع التحقير ، كما إذا كانت في سجادة تداس ، فإن ذلك جائز .

ونص المتأخرون من الفقهاء على أن الصور الشمسية جائزة ، لأنها غير مجسمة ، ولأنها بعيدة عن مظنة التعظيم .

ومن هذا البيان نعرف أنه لا يجوز شرعاً إقامة تماثيل كاملة مجسمة لإنسان أو حيوان بقصد تزيين حديقة المنزل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

فهرس